

أبو العتاهية
رائد الزهد في الشعر العربي

- ٤ -

تأليف
أسامة عانوتسي

رسالة مرفوعة الى الدائرة العربية
في الجامعة الاميركية في بيروت لدرجة
ماجستير في الآداب .
بيروت - لبنان -
حزيران سنة ١٩٥٢

المقدمة

كان للزهد في ادب العرب ، ولا سيما في الشعر منه ، شأن كبير . ذلك ان الزهد نفسه كان ذا شأن في حياتهم . بيد ان الدراسات الحديثة لم تتناول موضوع الزهد كما ينبغي في الشعر بما يستحقه من اهتمام ودرس ، فظل مهملًا او كالمهمـل .

وموضوع هذه الأطروحة ، ابو العتاهية ، من اعلام ادباء الزهد الذين لم توفهم البحوث حقهم ، ولم تعرض الى ادبهم بالدرس العميق . وغرض هذه الأطروحة ، قبـل كل شيء ، ان يكشف عن نزعة الزهد في ادب هذا الشاعر وان يتبين معالمها من خلال شعره .

ولا نزم اننا احطنا - في هذا البحث القصير المتواضع - بكل شيء عن الرجل وزهده . فالواقع ، الذي لا نتواضع فيه ولا نجامل ، ان في البحث فجوات عديدة . وعزأونا وهذرنا اننا نبهنا الاذهان الى هذا الموضوع الشائك المهمـل ، ووضعنا لبنة صغيرة قد تحمل سوانا من طلاب الحقيقة وخدامها على ان يوطدوا دعائمها ويقبضوا فوقها بنيانا متيناً شامخاً .

ولا محيص لنا من الاعتراف بان هذا الموضوع ليس فيه من عناصر التشويق شيء كثير . فصبغته الجفاف ، وطبيعته السأم بوجه الاجال . فهو في الزهد ، والتنفير من الحياة ، والاتعاظ بالموت ، وقل ان يطرب احدا صوت الندب والنعي . ولكن الحقيقة اطرب من هذا كله وارفع ، واجدر بالاصغاء ولو تعاورتها الاصوات المنكرة ، او حفت بها الاجواء القاتمة . ولقد خيل اليـنا ان في هذا الموضوع حقيقة تفرس قد سيتها ان يكشف عنها وتجلس . ولا يضيرنا ان لا نكون قد بلغنا الغاية ، وحققنا الغرض ، ما دام رائدنا محاولة الوصول اليه . اما التوفيق فوليـه الله . وحسب هذه الصفحات القليلة المتواضعة ، ان تكون جنـداً معبأة لخدمة الحقيقة والادب العربي . والجند لا تسأل وهي تمضي الى المعركة اتظفراهم تهنـم . وحسبها من فخر ، هذا الجهاد الواجب المقدس .

الخلاصة

قلت في مقدمة هذه الأطروحة ان موضوعها قد كان نصيبه الاهمال والصد من الباحثين لغير سبب ، بالرغم من مكانة ابي العتاهية والزهد في الادب العربي .
وابديت بعض اسباب هذه الجفوة التي يبدو لي ان قوامها عامل نفسي يباعد بين الباحثين وبين هذا الموضوع المسرف في الرصانة والجد الى حد الجفاف والى حد اليأس احيانا .

وارتأيت تمهيدا للبحث وتوضيحا ، ان يتناول القسم الاول دراسة العصر الذي عاش فيه أبو العتاهية والذي كانت فيه بذور النزعة الزهدية في احضان تربة منه صالحة ، فما لبثت ان نمت واينعت وآتت اكلها طائفة كبيرة من زهاد التاريخ العربي كابراهيم بن ادهم ، وشقيق البلخي ، ورابعة العدوية والقضيل بن عياض وغيرهم .
وبيئت ان حركة الزهد هذه ان هي الا مظهر من مظاهر الردة الروحية التي كانت تعبيرا سلبيا - ان شئت - عن النقمة على تطور العصر جملة ، في الاجتماع كما فسي السياسة والفكر . واسترسلت بعض الشيء في استقصاء عوامل هذا التطور ومظاهره، وعزوت الى ذلك جميعا هذه الردة الروحية . ففي الحياة الاجتماعية التي اعان على تطويرها الفتح والاختلاط بالام الاجنبية المغلوبة ، كان ثمة ما يغري بالزهد من فسق وخلاعة ومجون وترف شره . وفي الحياتين السياسية والفكرية كثير مما نفسم عليه الجمهور : المضادات الكلامية وينبوعها الخلافات الحزبية والسياسية ، ونشوء الفرق الكلامية ، والثورات الداخلية ، والحروب الخارجية المتعددة .

اما في القسم الثاني من البحث فقد ربطت بين نشأة ابي العتاهية ونزعة الزهدية التي استعرضتها بتفصيل في القسم الثالث ، بعد ان التفت بين خيوطها المتناثرة ، المتناثرة في شعره الزهدي . ولقد بدا لي حينذاك ان شعره الزهدي يدور في فلكين متميزين : فلك المجتمع والناس اللذين ساء ظنه بهما فرآهما شرا كلهما وهيويا فبسط سوائهما وذمهما . وفلك الحياة والموت حيث يمتلكه الخوف ويستولي عليه عقيدته الخاصة في الفناء ، فيسرف في التثائم ويشتط في القنوط ويصور الحياة اسوأ صورة واقتنها وابعثها

على اليأس ، ويدعو بقوة وحنم الى التخلي منها ، حتى اذا خيل الي ان الصورة عنه قد اتضحت معالمها وبانت قسماها ، زهدت لنفسي انني قادر على ان اتمسح كما عادلا منصفاً على زهد هذا الرجل الذي تضاربت فيه الاحكام وتباينت الآراء . وفحواه ان الرجل لم يكن في معاشه زاهدا كالزهاد المعروفين ، ولكنه كان زاهدا فنيا . ومثل هذا الشعر الزاهد لا ينبعث دوننا احساس داخلي الا وهو يأسه من الحياة ، او قلّ فهمه الخاص لها . وهل اليأس الا بعض الزهد او الجانب النظري منه ؟ فاذا انتقت عنه صفة الزهد العملي ، فان نزعة الزهد كامنة فيه اصلا . وهذا شعره الكثير في الزهد لا يعقل ان يكون صنعة جميعا . فان صبغة الزهد فيه قوية ، واضحة . ومكانة ابي العتاهية في عالم الزهد انما تتركز على هذا الشعر الذي كان يمثل نزعة مضادة لنزعة سائدة في عصره هي نزعة اللهو والمجون . لقد كان للفسق والعبث في عصره شعراء تغنوا بهما واغروا ، ولكن الصلاح والجد لم يقدرا لهما غير ابي العتاهية ينشد لحنهما نشيدا قوى النبرات ، مميّزا لاداء . فهو قد " شعر الزهد " في زمنه ونهج في ذلك نهجا مستحدثا . فقد كان قبله شعر زاهد كثير ، ولكنه جدد في ذلك وابدع ، واتى بما لم يؤت به قبله . بسط معاني الزهد وفلسفها وهرضا ، ثم راح يبدى فيها ويعيد بالوان واشكال مختلفة . فهو اذن جدير بالدراسة من وجهتين ، من الوجهة الخلقية كداعية الى حياة غير الحياة التي كان معاصروه يدعون اليها ويغرّمون بها ، ومن الوجهة الفنية كشاعر بارع ، مطبوع يعبر عن هذه الدعوة الجديدة بادب طيّح ، سائح .

وحسبت ان اختتامى البحث بمختارات من زهدياته ، تثبت ما ذهب اليه من تصوير لنزعة الى الزهد ويأسه من الحياة ، فكان القسم الاخير من الاطروحة عبارة عن مقتطفات مصنفة من شعره الزاهد ، كان هي فيها ان اضم اطراف هذه النزعة للقارئ ما وسعني ذلك عليه يجد فيها بعض الغناء من ديوانه ، وبعض العون في استكمال صورته في ذهنه .

- الباب الاول -

- :-

ابو العتاهية واحوال عصره

- - - - -

غرض هذه الرسالة كما اشرنا في المقدمة تبين نزعة الزهد في ادب ابي العتاهية من خلال شعره . ولا يتسنى ذلك ما لم نتعرف الى بيئته وعصره ، ونقف على الاجواء التي عاش فيها ونربط بينها وبين نزعة الزهد التي ذاعت في ذلك العصر ، والتي اعتنقها ابو العتاهية وتمثلت في شعره . هذه النزعة التي شكَّ في صدقها قوم ، وآمن بصدقها آخرون .

مجلد الوصف لمصره كلمتان : خير وشر ، وصلاح وفساد . كان خير العصور ، وكان شر العصور . كان عصر الايمان وكان عصر الشك ، كان عصر الصلاح وكان عصر الفساد ، كان عصر الارتقاء وكان عصر الانحطاط . وليس يعنينا من وصف العصر الا الصورة الخاطفة الواضحة نستعين بها على وصف البيئة التي شب فيها شاعرنا وترعرع . ولد ابو العتاهية ومات في العهد العباسي الاول ، ورأى ازهى سني الحكم العباسي واخصبها ، واحفلها بالتطورات السياسية والاجتماعية والفكرية . ومرد هذا التطور الى جملة عوامل نذكر منها في الفصل التالي ما كان ذا تأثير واضح في نزعة الزهد .

- الفصل الاول -

عوامل التطور في الحياة العباسية

اهم هذه العوامل على ما بدا لنا اربعة هي :

١ - التناحر العنصرى

٢ - الازدهار الاقتصادى

٣ - الاغراق في الفنون الحضريّة

٤ - التقدم العلمى وتسرب الافكار الفلسفية .

(١) - التناحر العنصرى :

والشعوبية هي الصورة التي تمثل فيها هذا التناحر . ومعنى الشعوبية كما جاء في " لسان العرب " التهمين من شأن العرب والخط من قدرهم " والشعوبى هو الذى يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلا على غيرهم " (١) ويرد التسمية قيم الى كلمة الشعوب في قوله تعالى : " يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ " (٢) معتمد على ان المقصود بالشعوب بطون العجم ، وبالقبايل قبائل العرب (٣) ولم تكن هذه النزعة بارزة في عهد بني امية الذين نعتت دولتهم بصفاء العروبة . ولكنها قويت في حكم بني العباس واشتدت . فقد كان الموالي في الدولة الاموية يسامون الخسف والهوان ، اذا استثنينا من ذلك عهد عمر بن عبد العزيز الذى حاول نصفه الموالي واخذهم بتعاليم الاسلام ولكنه كان يلام ويعارض كلما اتى شيئا من ذلك القبيل بدافع من العصبية المتمكنة

(١) لسان العرب (مادة شعب)

(٢) سورة الحجرات : الآية ١٣

(٣) ضحى الاسلام ٥٢/١

في صدور الامويين كما حدث يوم ولّى مولى على وادى القرى (١) كانت ايدى النبط منهم
مثلا توسم بالمشراط (٢) ، وكانوا ينفون من واسط والبصرة (٣) ، ولكن الامر تبدل فسي
الدولة العباسية التي قامت على اكشاف الاعاجم من الغرس ومساعدتهم واستحالت "عجبة
خراسانية" كما وصفها الجاحظ (٤) . واذا هي وقف على العجم والبرامكة (٥) . وأثار
هذا حفيظة العنصر العربي وسخطه فكانت بين العنصرين مفاخرات ومناظرات في الشعر
كثيرة في النثر ، بل حتى في الحديث والفقه اللذين دس فيهما الفريقان .

واتضح هذا الصراع في مقتل ابي مسلم وفي نكبة البرامكة ، ثم في الفتنة بين
الامين والمأمون ، وما اعقب ذلك من ثورات واحزاب . والقضاء على ابي مسلم اقرار من
العنصر العربي يتناقض خطر العنصر الفارسي ونفوذه . وهذا جعفر بن حنظلة يقول لأبي
جعفر المنصور بعد ان فتك بابي مسلم " يا امير المؤمنين ، عدّ هذا اليوم اول خلافتك " (٦)
وما كاد هذا الصراع يهدأ قليلا حتى تبدى مرة أخرى أعنف وأفجع في نكبة البرامكة
على يدى الرشيد الذى وثقهم من نفسه وقتلهم امور ملكه فقال ليحيى الهرمكي :
" قد قلدتك امر الرعية واخرجته من عنقي اليك فاحكم في ذلك بما ترى من العدل ،
واستعمل من رأيت واعزل من رأيت وامض الامور على ما ترى . ودفع اليه خاتمه " (٧)
وكان الحكم مساجلة بين العرب والغرس ، ومنازعة بينهما . قال الرقاشي
(وقيل ابونواس) عقب نكبة البرامكة :

ودونك سيفاً برمكياً مهنداً
اصيب بسيف هاشمي مهنداً (٨)

ودونك سيفاً برمكياً مهنداً

- | | |
|-----------------------------|---|
| (١) ضحى الاسلام ١ / ٤١ | (٥) ابن خلدون ١٦٠ |
| (٢) شرح نهج البلاغة ١٣٣ / ٤ | (٦) مروج الذهب ١٨٤ / ٦ |
| (٣) محاضرات الادباء ٢٢٠ / ١ | (٧) الطبري الجملة ٣ الجزء ١
صفحة ٦٠٢ - ٦٠٤ |
| (٤) البيان والتبيين ٣٦٦ / ٣ | (٨) ابن الاثير ١٢٢ / ٦ |

كان العرب يحسون انهم مغبونون . فالدولة كلها في ايدي البرامكة ، والعرب مبعدون عنها ، مقصيون عن المناصب الكبرى فيها . قال ابن خلدون : " . . . وانما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجازهم اموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه . فغلبوه على امره ، وشاركوه في سلطانه . ولم يكن له معهم تصرف في امور ملكه ، فعظمت آثارهم ، وبعد صيتهم ، وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واحتازوها عن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابه وسيف وقلم . يقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها اهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لمكان ابيهم يحيى من كفاية هارون ولي عهد وخليفة . . . فتوجه الايثار من السلطان اليهم . وعظمت الدالة منهم وانبسط الجاء عندهم وانصرف نحوهم الوجوه . . . " (١)

وجاء الخلاف ، آخر الامر ، بين الامين والمأمون بعد فترة قصيرة من الراحة من عناء هذه الحرب العنصرية - ان صح التعبير - يشطر المجتمع العباسي شطرين : ينتظم احدهما الفضل بن سهل الفارسي يناصر المأمون الفارسي الام ، وينتظم الآخر الفضل بن الربيع العريسي يناضل عن الأمين العريسي الام . وعدت نصرة المأمون نصرة للفرس (٢) . ولكنها نصرة لم يهنا بها الفرس طويلا . فقد تكشفت للمأمون سياسة الفضل الفارسية البعيدة الاهداف والاغراض ورأى ان عرشه يتلجج وان الرأي العام العربي يتهدى له مغضبا ، ويوشك ان يخلعه (٣) . ففضى على الفضل (٤) . وسواء كان نسي ذلك مختارا ام مرفعا لينقذ ملكه ، فقد كان تدبيره خطوة اخرى خطاها هذا التناحر العنصري الذي اثار كثيرا من العقلاء ، وهو صورة لهذه الحياة العنصرية الحافلة بالقلاقل والمناحرات

(٣) ابن الاثير ٦ / ٢٣٠ والطبري جم ٣

ج ١٠ / ١٠١٣

(٤) الطبري جم ٣ ج ١٠ / ١٠٢٥ - ١٠٢٧

(١) ابن خلدون ١٤

(٢) ضحى الاسلام ١ / ٤٤

التي تضافرت جميعا واغرت فئة من الناس باعتزالها متوسلين لذلك بنزعة الزهد التي
سنعالجها بتفصيل في الكلام على زهد ابي العتاهية .

(٢) - الازدهار الاقتصادي والبذخ :

اتسعت رقعة الملك العباسي في هذا العهد حتى بلغت اكثر من ضعفها
مساحة اوروسيا . واستتب ذلك بالطبع وفرة الخراج . نشوة الحواد في اواسط القرن
الهجري الثالث يقومها زيدان بالنقد اعتمادا على ابن خرداذبة فتساوى ٢٨٣١٩٣٤٠ (١)
درهما بالذهب العباسي . فليس بالبدع اذن ان تتضخم ثروات الافراد . والواقع
ان هذه الثروات لم تتكون طرفة . وانما بدأت تنهيا منذ عصر بني امية ثم أخذت تنمو
بتموالفتح الاسلامي حتى بلغت ما بلغت في العصر العباسي ولا سيما أيام المأمون .
فعبد الرحمن الناصر مثلا كان له خمسة عشر مليون دينار (٢) ، وعبد الرحمن بن محمد
خلف عشرين مليونا . فليس غريبا ان يكون للخيزران مائة وستون مليون درهم (٣) ، ولمحمد
بن سليمان خمسون مليون درهم ، الى جانب الدور والضياح وان يغل كل يوم مائة الف درهم (٤) .

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٥١ / ٢ - والدينار وحدة
نقد ذهبية سكتها العرب على غرار الدينار المرقلي
وهي تزيد وزنا على نصف الليرة الانكليزية بقليل (٦٦
قبة) . وكان الدينار يصرف اول الامر بعشرة دراهم
ثم اخذت اسعار الفضة تتقلب بحيث بلغ احيانا
عشرين درهما .

(٢) ابن خلدون ١٥٢ - ١٥٨

(٣) مروج الذهب ٢٨١ / ٦

(٤) مروج الذهب ٢٨١ / ٦

كانت الاموال تندفق على الدولة ، وعلى فئة قليلة من السكان . وكان البذخ في الهبات من علامات هذا الرفه الاقتصادي . كانت الف درهم ثمن لكل بيت من تصيدة ينشدها مروان بن أبي حفصة للمهدي (١) ، ومليون درهم هدية المأمون الى طبيبه (٢) ومائة الف درهم ثمن الصوت يغنيه اسحق الموصلي يحيى بن خالد (٣) . ولكنه رفه لم يكن عاما بل كان وقفا على طبقة معينة من المجتمع هي طبقة افراد البيت المالك والوجهاء . ففي الحين الذي تبلغ فيه غلة محمد بن سليمان مائة الف درهم كل يوم يعترضه مجنون فيقول له : " يا محمد أمن المعدل ان تكون غلتك في كل يوم مائة الف درهم ، وأنا أطلب نصف درهم فلا أقدر عليه ؟ " (٤) ، فقد كانت الطبقة قائمة فعلا في المجتمع العباسي . وهذا يحيى بن خالد يعيب على بناء ابنه أنه مخالط دور السوق (٥) . فأقطاعية الخلفاء والحكام والوجهاء ، والطبقة ، وتباين الثروات وسوء توزيعها ، كل ذلك كان من عداد العوامل التي أدت الى الاغراق في الملاذ والاقبال على المتع أقبالا نهما أثار الفقراء والمعدمين فنقموا كما أثار الانتقيا فتزهدوا وتقموا (٦) ، حتى قال بعض الزهاد :

قل لمن أظهر التنسك في النـا	س وأسى يُعدّ في الزهـاد
ألنم الشجر والتواضع فيـه	ليس بغداد منزل العبـاد
ان بغداد للملوك محـل	ومناخ للقاري الصيـاد (٧)

(١) الاغانى ٨٧ / ١٠ - ٨٨

(٢) طبقات الاطباء ١٢٨ / ١ - ١٢٩

(٣) حلية الكميت ٧٣

(٤) مروج الذهب ٦ / ٢٩٠

(٥) عيون الاخبار ١ / ٣١١

(٦) ضحى الاسلام ١ / ١٣٧

(٧) معجم البلدان ١ / ٦٩٠

وقال آخر :

بغداد أرض لاهل المال طيبة وللمفالي سردار الضنك والضيقي
أصبحت فيها مضاعا بين أظهرهم كأنني مصحف في بيت زنديقي (١)

ولنستعن على ايضاح ذلك بشرح العامل الثالث

(٣) - الاغراق في الفنون الحضريّة :

حملت الفتوح الاسلاميّة فيما حملت الرقيق من جوار وغلان . فشاعت تجارته
كما هو مشهور . وتفنن النخاسون في جمع الجوارى والعناية بهن وغالى الناس في
اثمانهن . ويبدو أن المزاج العربي كان ميالا اليهن ، فقال احدهم : " عجبت
لمن لبس القصير كيف يلبس الطويل ؟ ولمن احفى شعره كيف اعفاه ، وعجبا لمن
عرف الاماء كيف يقدم على الحرائر ؟ " (٢) . فقد كان ورود هن على المسلمين ورودا
لالوان من الجمال لا عهد لهم بها : روميات ، وحبشيات ، وتركيات ، وسودانيات ،
وهنديات الخ . . . فتنافسوا في اقتنائهن وتهادوهن ، وكان عند أم جعفر منهن
كثيرات " . . . عمت رؤوسهن وجعلت لهن الطرز والاصداغ والاقبية والبستمن
الاقبية والقراطي والمناطق فماست قدودهن وبرزت اردافهن وبعثت بهن اليه (ابنها) ،
فاختلفن بين يديه فاستحسنهن ، واجتذ بن قلبه اليهن ، وبرزهن للناس من الخاصة
والعامة ، فاتخذ الناس من الخاصة والعامة الجوارى المطمومات والبستمن الاقبية والمناطق
وسموهن الغلاميات " (٣) . والرشيذ بذل ثلاثين الف درهم في مغنية اسمها
عنان (٤) . وقيل أن ابنه الامين اشترى جارية بملء حراقة ذهباً أى بما يقم
بعشرين مليون درهم (٥) .

(٤) العقد الفريد ٥٨ / ٦

(٥) الاغاني ١٤٥ / ١٥

(١) معجم البلدان ٦٩٠ / ١

(٢) العقد الفريد ١٢٨ / ٦ - ١٢٩

(٣) مروج الذهب ٢٩٩ / ٨

ولم يكن هذا التهالك على الجوارى وفقا على الخلفاء وحدهم ، فقد كان لابراهيم الموصلي المغنسي عدد كبير منهم بلغ ثمن أحداهن ثلاثين ألف دينار ، وكان لرجل اسمه عون الخياط جارية باعها بمائة ألف دينار (١) . وكانت الجوارى تورث فيما يورث من متاع ومال (٢) . فلا غرو ان يكون تزواج بأعجميات ، فأمهات بعض الخلفاء كن من الاعجميات ، كأم المنصور والمأمون والمعتصم وغيرهن (٣) . ولا غرو ان يكون لهؤلاء الجوارى أثر كبير في توجيه الحياة السياسية والاجتماعية ، وفي نشر الخلاعة والمجون بوجه خاص (٤) . ولقد كانت مجالس اللهو والطرب ميدانا لهذا السبي

” دعاني المأمون وعنده ابراهيم بن المهدي ، وفي مجلسه عشرون جارية قد اجلس عشرا عن يمينه وعشرا عن يساره ومعهن العبدان يضرين بها ” (٥) . ونسي مجلس آخر كان بين يديه عشرون وصيفة رومية ” منرات قد تزين بالديباج الرومي وعلقن في اعناقهن صلبان الذهب وفي ايديهن الخوص والزيتون . . . فلما أخذن الطرب من رقصهن وغنائهن نشر عليهن ثلاثة الاف دينار (٦) .

وكان لهؤلاء الجوارى اثرهن في تطوير الحياة الاجتماعية فبات لمجالس الانس آدابها وظرفاؤها ، ودخلت في الغناء الوان جديدة ، وتلقح المجتمع العباسي كله بتراث الام التي تنتمي اليها هذه الجوارى . فاذا رأيت أن أم المنصور ترصع خفيها بالجواهر (٧) وتتخذ الآلة من الذهب والفضة المكلفة بالجواهر وتبالغ في ملبسها

(١) الطبري ج ٣ ج ١١ / ١٣٣٢

(٢) الاغانى ٢٢٢ / ٥

(٣) المعارف ١٨٨ / ٢٠٠

(٤) ضحى الاسلام ١ / ٩٢

(٥) الاغانى ٢٨٥ / ٥

(٦) الاغانى ١٣٨ / ١١ - ١٣٩

(٧) مروج الذهب ٢٩٨ / ٨

حتى تتفق على ثوب واحد خمسين ألف دينار، وتتخذ القبايا من الفضة والابنوس
والصندل وتوشيهما بالديباج والحرير وتوقد شمع العنبر، وإذا رأيت أن الناس قد
تشبهوا بها (١)، فأعز ذلك الى هذا السببي من الجوارى اللاتي اتين الى
مجتمع العباسيين ببدة الثياب الموشاة بالذهب، او المزدانة بالاشعار، وبالنعال
المزخرفة المحلاة بالكتابة (٢).

اما الغلمان فلقد ملأوا القصور . وهذا الامين صرف اليهم همه حين ولي
الخلافة فأرسل في طلب الخصيان " وغالى بهم وصيرهم لخلوته في ليله ونهاره،
وفرض لهم فرضا ساهم (الجرادية) وفرضا من الحبشان ساهم (الغرابية)
فقال احدهم . . .

لقد اقيمت للخصيان بعلا تحمل منهم ثمم البسوس" (٣)
وكان من اثر هؤلاء الخصيان ان فشت ظاهرة حب الغلمان التي تعزى الى
ازدياد النفوذ الفارسي في ذلك العصر (٤) . فقد ذكر الطبري ان الامين انصرف
بغلمانة عن النساء " ورفض النساء الحرائر والاماء حتى رمي بهن . ففي ذلك يقول
بعضهم :

وما للغانيات لديه حظ
اذا كان الرئيس كذا سقيما
سوى التقطيب والوجه العبوس
فكيف صلاحنا بعد الرئيس (٥)

(١) مروج الذهب ٢٩٨ / ٨

(٢) الموشى ١٢٥ / ٢ وما بعدها وصفحة ١٦٥ - ١٩٢

(٣) الطبري ج ٣ ج ١٠ / ١٥٠ - ١٥١

(٤) الحضارة الاسلامية ١٠٨

(٥) الطبري ج ٣ ج ١٠ / ١٥٠ - ١٥١

وعمت العصر موجة من التهمتك والمجون والخلاعة . وكان بعض الملاح والعقلاء
يبدلون جهدهم في صد هذا التيار القوي بالدعوة الى التقى وبالتزهد بشؤون الدنيا
وملذاتها الاثيمة (١) .

(٤) - التقدم العلمي وتسرب الافكار الفلسفية :

كان لاختلاف عناصر السكان وتباين اقاليمهم أثر بيّن في تسرب الثقافات الاجنبية
الى العباسيين . ويعود الفضل الاكبر في وصل العباسيين بالثقافة الفارسية الهندية
الى مدرسة جنديسابور . فقد كان المنصور يستدعي رئيس اطبائها جورجيس بن بختيشوع
لمعالجته (٢) ، والرشيد يوعز لجبريل بن بختيشوع بانشاء بيمارستان في بغداد
على غرار بيمارستان جنديسابور (٣) . اما الثقافة اليونانية فقد جاءتهم من الاسكندرية
وحران على يد السريان ولا سيما بطريق بيت الحكمة في بغداد . ونخص بالذكر فلسفة
افلوطين المعروفة باسم الافلاطونية الحديثة ، وما خلفته من اثر في الصوفية الاسلامية .
وسنرى فيما بعد ان الثقافة اليونانية قد اثرت في الحياة الفكرية تأثيرا منقطع النظير .
وحسبنا هنا أن نقول أن جماعة الفلاسفة أمثال الفارابي وابن سينا وابن رشد ، وجماعة
المتكلمين الذين كان لهم نصيب وافر في تطوير العصر وأشاعة القلق الروحي فيه ،
قد أقبلوا على النقاش والجدل في المجتمع العباسي مشبعين بتراث اليونان وفكر اليونان .
ذلك القلق الذي حمل نفرا من الملاح على اعتزال الحياة العباسية . فقد كانت المشادات

(١) ضحى الاسلام ١٠٣/١

(٢) طبقات الاطباء ١٢٣/١

(٣) طبقات الاطباء ١٧٤/١

الكلامية والفلسفية على أشدها ، وكانت موضع استهجان كثير من الورعين أو نعمتهم كما سيتضح من سياق الحديث عن الحياة الفكرية . وكذلك الثقافة الهندية فقد اعارها العلماء نصيبا وافرا من الاهتمام ، ولا سيما الحساب ، والعقائير . وهذا ابن النديم يذكر طائفة من الكتب الهندية المشهورة التي نقلت الى العربية (١) . ومن هذه الثقافة الهندية اقتبست الصوفية فكرة الفناء الروحي (النارقانا) وكذلك الصبغة التي اصطبغ بها الزهد حتى تحول من نزعة الى فلسفة (٢) . ولقد ظهرت هذه الثقافة في عقيدة التناسخ التي دانت بها بعض الفرق الدينية ، وفي قول السبئية بتناسخ الجزء الالهي ، وفي جماعة النصيرية التي تزعم ان الذين لا يؤمنون بعلي يرتدون " جمالا او بغالا او حميرا او كلابا او نحو ذلك من اصناف الحيوان " (٣) . وصاحب الاغانى (٤) يذكر مذهب السمنية الذي كان شائعا في ذلك العصر وهو من المذاهب الهندية القائلة بالتناسخ . ولم يكن الاقتباس من الهند في الروحانيات فحسب ، ولكنه كان كذلك في الرياضيات والفلك والادب ، وفي الحكم والطب بوجه خاص .

ونشطت حركة الترجمة في العلم الاعجمية منذ العهد الاموى على يد خالد بن يزيد ، ولكنها كانت محاولات فردية تقتصر على العلم العملية ولا تتعداهما الى العلم العقلية (٥) . غير انها اتسعت في العصر العباسي ، فترجمت الكتب في التجسيم والطب . وكان لتشجيع الخلفاء اكبر الفضل في رواجها حتى قيل ان المؤمن كان يمنح المترجم زنة ما يترجم ذهباً (٦) . ولقد عثر الرشيد في حروبه في انقرة

(١) الفهرست ٣٠٥ ، ٣١٥ - ٣١٦

(٢) امراء الشعر ٥٧

(٣) ضحى الاسلام ٢٥٣ / ١

(٤) الاغانى ١٤٧ / ٣

(٥) ضحى الاسلام ٢٨٤ / ١ - ٢٨٥

(٦) وُجِع تاريخ التمدن الاسلامي ١٤٣ / ٣

وعمرية وسائر بلاد الروم على كتب كثيرة حملها الى بغداد وعهد الى طبيبه يوحنا بن ماسويه بترجمتها (١) . وهو الذي اثار ترجمة كتاب اقليدس والمجسطي .
 الا أن عهد المأمون كان أكثر عناية بكتب الفلسفة . فقد تعددت الفرق والآراء الدينية في القرن الثاني ، وظهر مذهب الاعتزال وكثر المتشيعون له ، وكانت قضية خلق القرآن مستحوزة على اهتمامه وعقيدته ، يعاقب من لا يدن بها ، فيعقد المجالس ويُنظر الفقهاء دفاعا عنها وانتصارا لها (٢) .

ووضعت في هذا العصر اساس كل العلوم تقريبا : جمع الحديث وحققه ، ودرس النحو ، ودونت العروض ، وأقبل العلماء على الشعر يجمعونه وألفت المعاجم ووضعت الكتب في الفقه والتاريخ والسير والمغازي .

وهكذا ترى انه طرأت على الحياة العباسية جملة عوامل أدت الى تطويرها وتوجيهها وجهة جديدة لم تعرض الناس جميعا ، وانما جعلتهم فريقين : فريقا يقبل عليها وينهل من معينها ولذاتها . وفريقا ينقم عليها انها استحدثت وأبدعت ما لم ينزل الله به من سلطان . فلننظر اذن في مظاهر تطور الحياة العباسية بعد ان اجملنا الكلام في اهم عوامل هذا التطور .

(١) طبقات الاطباء ١ / ١٧٥

(٢) حياة الحيوان ١ / ٧٢

- الفصل الثاني -

مظاهر التطور في الحياة العباسية

لا معدى لنا بعد أن ألمنا بابرز عناصر تطور الحياة العباسية من أن نستعرض بعض مظاهر هذا التطور المتمثلة في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية العباسية .

(١) - الحياة السياسية :

خلاصة ما يقال في الحياة السياسية في العصر العباسي الاول ، انها حياة قلقة مضطربة : الشعبية على اشد ما تكون ضراوة بين العرب والفرس . وقد اندست في شتى مناحي الحياة . تسترت تارة بالادب والتشيع والحديث والفقه ، واعتصمت تارة اخرى بحركات الزنادقة ، ولم تأل جهدا في استغلال الفتن الداخلية كما رأينا في نسي الخلاف بين الامين والمامون . ويعتقد احمد امين ان كثيرا من الشعبيين الفرس كانوا يحسون في اعماق انفسهم ، وهم يتكلمون بالعرب الذين يثرون في انحاء المملكة العباسية ، انهم انما ينتقمون من ييم القادسية المشهور (١) . وهو اليم الذي سطر فيه العرب انتصارهم على الفرس وغلبتهم عليهم فتغنوا به طويلا . وظل الفرس يتحسسون المهانة والاسى كلما تمثلوا هذا اليم . فليس غريبا ان ان نشاهد الشعبية ^{وراء} كثير من الاحداث السياسية الداخلية او الثورات التي قامت بعد مقتل ابي مسلم كثورة سنبان ، وهو مجوسي من خراسان ، طالب بدم ابي مسلم وظاهره اهل خراسان ، والراوندية ، وهي جماعة من اتباع ابي مسلم قالت بان الروح التي كانت في عيسى بن مريم حلت في علي ثم في ولده الائمة واحدا واحدا . وزعموا انهم آلهة ، فاستباحوا الحرمات .

ومنهم من ألّٰه ابا جعفر المنصور • وظلّوا على دعواهم بالرغم من تنكيل المنصور بهم
يظهرون تارة في فرقة الخرمية ، اتباع بابك الخرمي الذي ادعى الالهية ، وعاث
في الارض فسادا ، وأباحوا المحرمات وقالوا بالاشتراكية في النساء ، وعظموا ابا مسلم
ولعنوا المنصور • وقوام ديانتهم النور والظلمة • وتارة بالمقنعية الذين خرجوا
بزعامه رجل لقب بالمقنع لانه كان يضع على وجهه القبيح قناعا من ذهب ليخفي به
قبحه • ادعى الالهية ، وقال ان صورة الله حلت بالتسلل في آدم ثم في علي ففي
اولاده ثم في ابي مسلم ثم فيه من بعده • وكان يقول انه لا يظهر بصورته حتى
لا يحترق عباد بنوره • وتعاليمه لا تختلف عن تعاليم سابقيه من اسقاط للفرائض واباحه
لما حرم الله على المسلمين ، وقال بتعاليم مزدك (١) • والمتبّع للتاريخ العربي
والاسلامي يرى ان اسلام الفرس وولاءهم للعرب لم يكونا صادقين ، فظلت تعتمل
في نفوسهم النزعة الدينية (٢) والقومية ، تنبعث كلما تنصمت في الكيان الاسلامي
والعربي رُوح الوهن والضعف ، كما شاهدنا فيما ذكرنا من احداث • فطاهر بن الحسين
وهو من قواد المأمون الذين ولاهم على خراسان ، ما كاد يستتب له فيها الامر ، حتى
تفرد في الحكم ، فاسقط اسم المأمون من خطب الجمعة ، واسس الدولة الطاهرية ،
وهي اول دولة استقلت عن الخلافة العباسية (٣) •

هذا من الناحية العنصرية • اما من الناحية الحزبية - بتعبيرنا الحديث -

فقد كان العصر قلعا كذلك • تعددت فيه الاحزاب السياسية التي ترجع نشأتها الى

(١) تاريخ الاسلام السياسي ١٩/٢ - ١١٣ وفيه ذكر لمصادر عن هذه الفرق •

راجع بصورة خاصة الصفحات ١٠٢ ، ١٠٣ - ١٠٥ •

(٢) الصراع بين الموالى والعرب ٤٠

(٣) راجع الطبري ج ٣ ج ١٠ / ١٠٦٤ - ١٠٦٥

عهد معاوية ومن نهج نهجه من خلفاء بني امية في توطيد دعائم الملك الاموي .
 فالخلاف بين علي ومعاوية ، وانقسام المسلمين حزبين : حزب علي وحزب معاوية ،
 ونشوء الخوارج ، ثم تجدد الخلاف بين الشيعة والامويين اثر مصرع الحسين —
 ومأساة كربلاء ، وقيام حزب الزبيريين الذي دعا لعبد الله بن الزبير في مكة سنة
 ٦٣ للهجرة ، فحزب العباسيين الذي قوض العرش الاموي — كل هذا أدّى
 الى اضطرابات وفتن كثيرة — فالشيعة لم ينسوا حقهم في الخلافة ، فقد ثار محمد
 بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (النفس الزكية) واخوه
 ابراهيم في الحجاز والعراق ، في عهد المنصور ، وثاروا كذلك أيام الهادي بزعامه
 الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي الذي قتل في موقعة
 فخ ، وبعد خراج يحيى وادريس ابنا عبد الله في الديلم والمغرب ، ومحمد بن
 جعفر والقاسم بن ابراهيم بعدهما . وصحيح ان ثورات العلويين قد كُبتت فسي
 الحكم الاموي ، الا ان العلويين لم يعدوا الانصار والمؤيدين . فقد ثاروا ثورة
 الحسين الشهيرة ، وثورة المختار في العراق ، ثم في خراسان حيث تحولت دعوتهم
 من علوية الى عباسية . جميع هذه الثورات مهدت لثوراتهم في الحكم العباسي .
 اما الخوارج وهم الفئة التي خرجت على علي لقبوله بالتحكيم بعد واقعة
 صفين فكانوا اعداء الامويين واعداء العلويين ، يرون ان الخلافة ليست وقفاً
 الا على الأكفأ من المسلمين . لا عبرة في ذلك لحسب او لثروة او لغير ذلك .
 ولقد اصلوا بني امية نارا حامية من ثوراتهم ، وكان ان تفاقم امرهم في عهد آخر
 الخلفاء الامويين مروان بن محمد فثاروا بقيادة ابي حمزة في الحجاز وحضرموت .
 ولم يتغير موقفهم في العهد العباسي ان لم يجدوا فيه ما يرضي عقيدتهم فسي شأن
 الخلافة ، فظفروا في ثورات ، ولا سيما في حكم الهادي ، وكان منشأ الفرق الكلامية

من ذيول هذه الفرق السياسية من شيعة وخوارج • وظهور المعتزلة مثلا يرجع الى قضية مرتكب الكبائر التي اثارها الخوارج بعد موقعة صفين • اذ حسبوا تلك الفتنة من صنع جماعة من المسلمين خرجوا ، في عرفهم ، على الايمان باشغالهم نار هذه الفتنة وعدوهم من اصحاب الكبائر • واقبلت غير جماعة من جمهور المسلمين على هذه النظرية تشبعها درسا وتحجيجا • فانكرها قوم ، وتوسط في امرها آخرون ، واستقر الجدل عند الحسن البصري ، اذ تطورت الى بحث في ماهية الايمان ، وفي منزلة العمل من الايمان • فكان رأيه ان مرتكب الكبائر " ليس بمؤمن ولا كافر ولكنه وسط بين ذلك " (١) • بيد ان احد تلامذته ، وهو واصل بن عطاء ، لم يقنعه هذا الاجتهاد ، فقد كان يرى ان مرتكب الكبائر في منزلة بين المنزلتين : منزلة الكفر ومنزلة الايمان ، وانه فاسق ، معذب بالنار ، غير مخلص فيها • واعتزل مجلس استاذة الحسن فسمي واتباعه باسم المعتزلة •

والمرجئة نشأت كذلك نتيجة هذا الجدل الفلسفي الذي اثارته قضية مرتكب الكبائر ، وهي من ذيول مشكلة الخلافة ، فرأت هذه الجماعتان البحث في ذلك عبث لا طائل وراه ، وان ارجاءه الى الله اجدى واحكم • وهكذا تطورت الخلافات السياسية الى خلافات فلسفية وفكرية • تطورت كما تطورت مذاهب اصحابها حتى غدت علما له طلابه ومعلموه - علم الكلام - • فالخوض في مسألة القضاء والقدر مثلا ، كان من نتائج الفتن بعد خلاف علي ومعاوية • فقد رأت طائفة من المسلمين ان عدل الله لا يبيح مثل هذه الفتن لانه لا يبيح الظلم ، وقالت بان المرء مخير بالتالي •

(١) راجع الملل والنحل للشهرستاني ٦٤/١ ، و٥٤ - ٣١٨ وأقرأ عن هذه الفرق في كتاب الفرق بين الفرق " للبغدادى في صفحة ٩٣ وما بعدها و ١٩٠ وما بعدها • ولقد كان كتاب "معالم الفكر العربي" للدكتور كمال اليازجي رائدا في هذا البحث • (صفحة ٧ • وما بعدها) •

وهذا اصل فرقة "القدرية" الذين اعتقدوا بان الحساب اذن باطل ما دام الله يسطر للناس اعمالهم ثم يحاسبهم عليها . ومقابل هذا الراى في القدرة او الاختيار، كان راى آخر يقول بالقضاء او الجبر تعتقه طائفة الجبرية التي ترى ان الانسان مسير في كل شأن من شؤون حياته .

ولقد تطور الجدل طبعاً وكثر البحث في العقائد ، وتشعب ، واشيرت قضايا العقل والسمع والعدل والتوحيد والوعد والوعيد والصفات الالهية وخلق القرآن . وانقسمت الفرق فيما بينها شيئاً فشيئاً . فالمعتزلة انشعبت الى نحو ثلاث عشرة فرقة ، والخوارج الى عشرين تقريباً ، والشيعية الى زهاء ثلاثين ، والمرجئة الى ما يقرب من السبع (١) .

ومما اعان على نماء هذا العلم ما جدّ في الحياة العباسية من تطور ، فسي التفكير — فقد استراح المسلمون من عناء الفتح واحسوا طمأنينة الاستقرار والهدوء فمال عقلم الى النظر والتأمل في قضايا لم يتّح لاسلافهم المسلمين الاولين بحثها والجدل فيها . واعان على ذلك ايضا ما تسرب من افكار دخليية : فلقد اعتنق الاسلام اقوام مختلفون من ديانات مختلفة : يهودية ومسيحية ومانوية وزرادشتية وهابشية ، لم يتحللوا من عقائد هم الاولى ، فظلوا يفكرون فيها متأثرين بها وهم يناقشون في الدين الجديد الذي تقبلوه . ولقد كان من اغراض بعض هذه الفرق الكلامية كالمعتزلة مثلاً ، الرد على المخالفين والدعوة الى الاسلام (٢) . فكان لا بد لهم وهم يجادلونهم ويردون حججهم من ان يتهجوا نهجهم في المناظرة والنقاش فيطلعوا على عقائد سواهم ، وبعضها كان سلاحه الفلسفة والمنطق اليونانيين ، ولذلك عرف ابن خلدون علم الكلام بقوله :

(١) ضحى الاسلام ٣/ ٣٤٨ ولم يذكر الباحث مصدر هذا التقسيم ولكننا عثرنا عليه في الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٥٧ - ١١٢ ، ١٧٠ ، ٢١٨ ، ٢٣٤ و ٣١٨ - (٢) ابن خلدون ٤٠٠ ، انظر ايضا ٤٠٧ - ٤٠٨

” هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالادلة العقلية والرد على
المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة ، وسر هذه
 العقائد الايمانية هو التوحيد (١) ” . وانقسم الناس شيئا واحزا بين معتزلة
 ومرجئة واشعرية وخوارج وشيعة . وكل واحدة منها انقسمت فيما بينها كما ذكرنا .
 والى جانب هؤلاء جماعة من الشكك متشعبين ثلاث شعب : واحدة شككت حتى في الالهية
 والنبوة واخرى اثبتت الآله وشككت في النبوة ، وثالثة آمنت بالالوهية والنبوة وشككت فيما
 عدا ذلك - ملل ونحل وعقائد لا حصر لها ، ورقعة شاسعة من الارض ، وامم متباينة شتى
 وعقليات جديدة ، واخرى متجددة ، وكل هذا يؤدي الى مجادلة مناظرة وتفكير كما
 رأينا مما اضعف شأن الامة ، ففترت الحماسة الدينية ووقفت الفتوح واتجهت الجهود
 الى اطفاء نار الفتنة الدينية والسياسية . فمن حق جمهور الناس ان ينفر من هذه
 المجادلات والمناظرات الكلامية التي لم يعتدها ولم يمل اليها بطبعه . فابن خلدون
 مثلا يعلق على علم الكلام قائلا : ” وتأمل من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر
 الى الاسباب والوقوف معها فانه واد يديم فيه الفكر ولا يحلومنه بطائل ولا يظفر
 بحقيقة ” (٢) . فعنده ان النظر في الاسباب قد نهى عنه الشرع وانه كفر وانسه
 امر بان تقربا لايمان الخالص العميق ” فاننا الضامن له ان لا يعود الا بالخيبة
 فلذلك نهانا الشارع عن النظر في الاسباب وامرنا بالتوحيد المطلق قل هو الله احد . . . ” (٣)

(١) راجع ابن خلدون ٧-٨-٩-١٠-١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣١-٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩-٥٠-٥١-٥٢-٥٣-٥٤-٥٥-٥٦-٥٧-٥٨-٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-٧٢-٧٣-٧٤-٧٥-٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥-٨٦-٨٧-٨٨-٨٩-٩٠-٩١-٩٢-٩٣-٩٤-٩٥-٩٦-٩٧-٩٨-٩٩-١٠٠-١٠١-١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨-١٠٩-١١٠-١١١-١١٢-١١٣-١١٤-١١٥-١١٦-١١٧-١١٨-١١٩-١٢٠-١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٢٦-١٢٧-١٢٨-١٢٩-١٣٠-١٣١-١٣٢-١٣٣-١٣٤-١٣٥-١٣٦-١٣٧-١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٤١-١٤٢-١٤٣-١٤٤-١٤٥-١٤٦-١٤٧-١٤٨-١٤٩-١٥٠-١٥١-١٥٢-١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٦-١٥٧-١٥٨-١٥٩-١٦٠-١٦١-١٦٢-١٦٣-١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٧-١٦٨-١٦٩-١٧٠-١٧١-١٧٢-١٧٣-١٧٤-١٧٥-١٧٦-١٧٧-١٧٨-١٧٩-١٨٠-١٨١-١٨٢-١٨٣-١٨٤-١٨٥-١٨٦-١٨٧-١٨٨-١٨٩-١٩٠-١٩١-١٩٢-١٩٣-١٩٤-١٩٥-١٩٦-١٩٧-١٩٨-١٩٩-٢٠٠-٢٠١-٢٠٢-٢٠٣-٢٠٤-٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢٠٩-٢١٠-٢١١-٢١٢-٢١٣-٢١٤-٢١٥-٢١٦-٢١٧-٢١٨-٢١٩-٢٢٠-٢٢١-٢٢٢-٢٢٣-٢٢٤-٢٢٥-٢٢٦-٢٢٧-٢٢٨-٢٢٩-٢٣٠-٢٣١-٢٣٢-٢٣٣-٢٣٤-٢٣٥-٢٣٦-٢٣٧-٢٣٨-٢٣٩-٢٤٠-٢٤١-٢٤٢-٢٤٣-٢٤٤-٢٤٥-٢٤٦-٢٤٧-٢٤٨-٢٤٩-٢٥٠-٢٥١-٢٥٢-٢٥٣-٢٥٤-٢٥٥-٢٥٦-٢٥٧-٢٥٨-٢٥٩-٢٦٠-٢٦١-٢٦٢-٢٦٣-٢٦٤-٢٦٥-٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨-٢٦٩-٢٧٠-٢٧١-٢٧٢-٢٧٣-٢٧٤-٢٧٥-٢٧٦-٢٧٧-٢٧٨-٢٧٩-٢٨٠-٢٨١-٢٨٢-٢٨٣-٢٨٤-٢٨٥-٢٨٦-٢٨٧-٢٨٨-٢٨٩-٢٩٠-٢٩١-٢٩٢-٢٩٣-٢٩٤-٢٩٥-٢٩٦-٢٩٧-٢٩٨-٢٩٩-٣٠٠-٣٠١-٣٠٢-٣٠٣-٣٠٤-٣٠٥-٣٠٦-٣٠٧-٣٠٨-٣٠٩-٣١٠-٣١١-٣١٢-٣١٣-٣١٤-٣١٥-٣١٦-٣١٧-٣١٨-٣١٩-٣٢٠-٣٢١-٣٢٢-٣٢٣-٣٢٤-٣٢٥-٣٢٦-٣٢٧-٣٢٨-٣٢٩-٣٣٠-٣٣١-٣٣٢-٣٣٣-٣٣٤-٣٣٥-٣٣٦-٣٣٧-٣٣٨-٣٣٩-٣٤٠-٣٤١-٣٤٢-٣٤٣-٣٤٤-٣٤٥-٣٤٦-٣٤٧-٣٤٨-٣٤٩-٣٥٠-٣٥١-٣٥٢-٣٥٣-٣٥٤-٣٥٥-٣٥٦-٣٥٧-٣٥٨-٣٥٩-٣٦٠-٣٦١-٣٦٢-٣٦٣-٣٦٤-٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧-٣٦٨-٣٦٩-٣٧٠-٣٧١-٣٧٢-٣٧٣-٣٧٤-٣٧٥-٣٧٦-٣٧٧-٣٧٨-٣٧٩-٣٨٠-٣٨١-٣٨٢-٣٨٣-٣٨٤-٣٨٥-٣٨٦-٣٨٧-٣٨٨-٣٨٩-٣٩٠-٣٩١-٣٩٢-٣٩٣-٣٩٤-٣٩٥-٣٩٦-٣٩٧-٣٩٨-٣٩٩-٤٠٠-٤٠١-٤٠٢-٤٠٣-٤٠٤-٤٠٥-٤٠٦-٤٠٧-٤٠٨-٤٠٩-٤١٠-٤١١-٤١٢-٤١٣-٤١٤-٤١٥-٤١٦-٤١٧-٤١٨-٤١٩-٤٢٠-٤٢١-٤٢٢-٤٢٣-٤٢٤-٤٢٥-٤٢٦-٤٢٧-٤٢٨-٤٢٩-٤٣٠-٤٣١-٤٣٢-٤٣٣-٤٣٤-٤٣٥-٤٣٦-٤٣٧-٤٣٨-٤٣٩-٤٤٠-٤٤١-٤٤٢-٤٤٣-٤٤٤-٤٤٥-٤٤٦-٤٤٧-٤٤٨-٤٤٩-٤٥٠-٤٥١-٤٥٢-٤٥٣-٤٥٤-٤٥٥-٤٥٦-٤٥٧-٤٥٨-٤٥٩-٤٦٠-٤٦١-٤٦٢-٤٦٣-٤٦٤-٤٦٥-٤٦٦-٤٦٧-٤٦٨-٤٦٩-٤٧٠-٤٧١-٤٧٢-٤٧٣-٤٧٤-٤٧٥-٤٧٦-٤٧٧-٤٧٨-٤٧٩-٤٨٠-٤٨١-٤٨٢-٤٨٣-٤٨٤-٤٨٥-٤٨٦-٤٨٧-٤٨٨-٤٨٩-٤٩٠-٤٩١-٤٩٢-٤٩٣-٤٩٤-٤٩٥-٤٩٦-٤٩٧-٤٩٨-٤٩٩-٥٠٠-٥٠١-٥٠٢-٥٠٣-٥٠٤-٥٠٥-٥٠٦-٥٠٧-٥٠٨-٥٠٩-٥١٠-٥١١-٥١٢-٥١٣-٥١٤-٥١٥-٥١٦-٥١٧-٥١٨-٥١٩-٥٢٠-٥٢١-٥٢٢-٥٢٣-٥٢٤-٥٢٥-٥٢٦-٥٢٧-٥٢٨-٥٢٩-٥٣٠-٥٣١-٥٣٢-٥٣٣-٥٣٤-٥٣٥-٥٣٦-٥٣٧-٥٣٨-٥٣٩-٥٤٠-٥٤١-٥٤٢-٥٤٣-٥٤٤-٥٤٥-٥٤٦-٥٤٧-٥٤٨-٥٤٩-٥٥٠-٥٥١-٥٥٢-٥٥٣-٥٥٤-٥٥٥-٥٥٦-٥٥٧-٥٥٨-٥٥٩-٥٦٠-٥٦١-٥٦٢-٥٦٣-٥٦٤-٥٦٥-٥٦٦-٥٦٧-٥٦٨-٥٦٩-٥٧٠-٥٧١-٥٧٢-٥٧٣-٥٧٤-٥٧٥-٥٧٦-٥٧٧-٥٧٨-٥٧٩-٥٨٠-٥٨١-٥٨٢-٥٨٣-٥٨٤-٥٨٥-٥٨٦-٥٨٧-٥٨٨-٥٨٩-٥٩٠-٥٩١-٥٩٢-٥٩٣-٥٩٤-٥٩٥-٥٩٦-٥٩٧-٥٩٨-٥٩٩-٦٠٠-٦٠١-٦٠٢-٦٠٣-٦٠٤-٦٠٥-٦٠٦-٦٠٧-٦٠٨-٦٠٩-٦١٠-٦١١-٦١٢-٦١٣-٦١٤-٦١٥-٦١٦-٦١٧-٦١٨-٦١٩-٦٢٠-٦٢١-٦٢٢-٦٢٣-٦٢٤-٦٢٥-٦٢٦-٦٢٧-٦٢٨-٦٢٩-٦٣٠-٦٣١-٦٣٢-٦٣٣-٦٣٤-٦٣٥-٦٣٦-٦٣٧-٦٣٨-٦٣٩-٦٤٠-٦٤١-٦٤٢-٦٤٣-٦٤٤-٦٤٥-٦٤٦-٦٤٧-٦٤٨-٦٤٩-٦٥٠-٦٥١-٦٥٢-٦٥٣-٦٥٤-٦٥٥-٦٥٦-٦٥٧-٦٥٨-٦٥٩-٦٦٠-٦٦١-٦٦٢-٦٦٣-٦٦٤-٦٦٥-٦٦٦-٦٦٧-٦٦٨-٦٦٩-٦٧٠-٦٧١-٦٧٢-٦٧٣-٦٧٤-٦٧٥-٦٧٦-٦٧٧-٦٧٨-٦٧٩-٦٨٠-٦٨١-٦٨٢-٦٨٣-٦٨٤-٦٨٥-٦٨٦-٦٨٧-٦٨٨-٦٨٩-٦٩٠-٦٩١-٦٩٢-٦٩٣-٦٩٤-٦٩٥-٦٩٦-٦٩٧-٦٩٨-٦٩٩-٧٠٠-٧٠١-٧٠٢-٧٠٣-٧٠٤-٧٠٥-٧٠٦-٧٠٧-٧٠٨-٧٠٩-٧١٠-٧١١-٧١٢-٧١٣-٧١٤-٧١٥-٧١٦-٧١٧-٧١٨-٧١٩-٧٢٠-٧٢١-٧٢٢-٧٢٣-٧٢٤-٧٢٥-٧٢٦-٧٢٧-٧٢٨-٧٢٩-٧٣٠-٧٣١-٧٣٢-٧٣٣-٧٣٤-٧٣٥-٧٣٦-٧٣٧-٧٣٨-٧٣٩-٧٤٠-٧٤١-٧٤٢-٧٤٣-٧٤٤-٧٤٥-٧٤٦-٧٤٧-٧٤٨-٧٤٩-٧٥٠-٧٥١-٧٥٢-٧٥٣-٧٥٤-٧٥٥-٧٥٦-٧٥٧-٧٥٨-٧٥٩-٧٦٠-٧٦١-٧٦٢-٧٦٣-٧٦٤-٧٦٥-٧٦٦-٧٦٧-٧٦٨-٧٦٩-٧٧٠-٧٧١-٧٧٢-٧٧٣-٧٧٤-٧٧٥-٧٧٦-٧٧٧-٧٧٨-٧٧٩-٧٨٠-٧٨١-٧٨٢-٧٨٣-٧٨٤-٧٨٥-٧٨٦-٧٨٧-٧٨٨-٧٨٩-٧٩٠-٧٩١-٧٩٢-٧٩٣-٧٩٤-٧٩٥-٧٩٦-٧٩٧-٧٩٨-٧٩٩-٨٠٠-٨٠١-٨٠٢-٨٠٣-٨٠٤-٨٠٥-٨٠٦-٨٠٧-٨٠٨-٨٠٩-٨١٠-٨١١-٨١٢-٨١٣-٨١٤-٨١٥-٨١٦-٨١٧-٨١٨-٨١٩-٨٢٠-٨٢١-٨٢٢-٨٢٣-٨٢٤-٨٢٥-٨٢٦-٨٢٧-٨٢٨-٨٢٩-٨٣٠-٨٣١-٨٣٢-٨٣٣-٨٣٤-٨٣٥-٨٣٦-٨٣٧-٨٣٨-٨٣٩-٨٤٠-٨٤١-٨٤٢-٨٤٣-٨٤٤-٨٤٥-٨٤٦-٨٤٧-٨٤٨-٨٤٩-٨٥٠-٨٥١-٨٥٢-٨٥٣-٨٥٤-٨٥٥-٨٥٦-٨٥٧-٨٥٨-٨٥٩-٨٦٠-٨٦١-٨٦٢-٨٦٣-٨٦٤-٨٦٥-٨٦٦-٨٦٧-٨٦٨-٨٦٩-٨٧٠-٨٧١-٨٧٢-٨٧٣-٨٧٤-٨٧٥-٨٧٦-٨٧٧-٨٧٨-٨٧٩-٨٨٠-٨٨١-٨٨٢-٨٨٣-٨٨٤-٨٨٥-٨٨٦-٨٨٧-٨٨٨-٨٨٩-٨٩٠-٨٩١-٨٩٢-٨٩٣-٨٩٤-٨٩٥-٨٩٦-٨٩٧-٨٩٨-٨٩٩-٩٠٠-٩٠١-٩٠٢-٩٠٣-٩٠٤-٩٠٥-٩٠٦-٩٠٧-٩٠٨-٩٠٩-٩١٠-٩١١-٩١٢-٩١٣-٩١٤-٩١٥-٩١٦-٩١٧-٩١٨-٩١٩-٩٢٠-٩٢١-٩٢٢-٩٢٣-٩٢٤-٩٢٥-٩٢٦-٩٢٧-٩٢٨-٩٢٩-٩٣٠-٩٣١-٩٣٢-٩٣٣-٩٣٤-٩٣٥-٩٣٦-٩٣٧-٩٣٨-٩٣٩-٩٤٠-٩٤١-٩٤٢-٩٤٣-٩٤٤-٩٤٥-٩٤٦-٩٤٧-٩٤٨-٩٤٩-٩٥٠-٩٥١-٩٥٢-٩٥٣-٩٥٤-٩٥٥-٩٥٦-٩٥٧-٩٥٨-٩٥٩-٩٦٠-٩٦١-٩٦٢-٩٦٣-٩٦٤-٩٦٥-٩٦٦-٩٦٧-٩٦٨-٩٦٩-٩٧٠-٩٧١-٩٧٢-٩٧٣-٩٧٤-٩٧٥-٩٧٦-٩٧٧-٩٧٨-٩٧٩-٩٨٠-٩٨١-٩٨٢-٩٨٣-٩٨٤-٩٨٥-٩٨٦-٩٨٧-٩٨٨-٩٨٩-٩٩٠-٩٩١-٩٩٢-٩٩٣-٩٩٤-٩٩٥-٩٩٦-٩٩٧-٩٩٨-٩٩٩-١٠٠٠-١٠٠١-١٠٠٢-١٠٠٣-١٠٠٤-١٠٠٥-١٠٠٦-١٠٠٧-١٠٠٨-١٠٠٩-١٠١٠-١٠١١-١٠١٢-١٠١٣-١٠١٤-١٠١٥-١٠١٦-١٠١٧-١٠١٨-١٠١٩-١٠٢٠-١٠٢١-١٠٢٢-١٠٢٣-١٠٢٤-١٠٢٥-١٠٢٦-١٠٢٧-١٠٢٨-١٠٢٩-١٠٣٠-١٠٣١-١٠٣٢-١٠٣٣-١٠٣٤-١٠٣٥-١٠٣٦-١٠٣٧-١٠٣٨-١٠٣٩-١٠٤٠-١٠٤١-١٠٤٢-١٠٤٣-١٠٤٤-١٠٤٥-١٠٤٦-١٠٤٧-١٠٤٨-١٠٤٩-١٠٥٠-١٠٥١-١٠٥٢-١٠٥٣-١٠٥٤-١٠٥٥-١٠٥٦-١٠٥٧-١٠٥٨-١٠٥٩-١٠٦٠-١٠٦١-١٠٦٢-١٠٦٣-١٠٦٤-١٠٦٥-١٠٦٦-١٠٦٧-١٠٦٨-١٠٦٩-١٠٧٠-١٠٧١-١٠٧٢-١٠٧٣-١٠٧٤-١٠٧٥-١٠٧٦-١٠٧٧-١٠٧٨-١٠٧٩-١٠٨٠-١٠٨١-١٠٨٢-١٠٨٣-١٠٨٤-١٠٨٥-١٠٨٦-١٠٨٧-١٠٨٨-١٠٨٩-١٠٩٠-١٠٩١-١٠٩٢-١٠٩٣-١٠٩٤-١٠٩٥-١٠٩٦-١٠٩٧-١٠٩٨-١٠٩٩-١١٠٠-١١٠١-١١٠٢-١١٠٣-١١٠٤-١١٠٥-١١٠٦-١١٠٧-١١٠٨-١١٠٩-١١١٠-١١١١-١١١٢-١١١٣-١١١٤-١١١٥-١١١٦-١١١٧-١١١٨-١١١٩-١١٢٠-١١٢١-١١٢٢-١١٢٣-١١٢٤-١١٢٥-١١٢٦-١١٢٧-١١٢٨-١١٢٩-١١٣٠-١١٣١-١١٣٢-١١٣٣-١١٣٤-١١٣٥-١١٣٦-١١٣٧-١١٣٨-١١٣٩-١١٤٠-١١٤١-١١٤٢-١١٤٣-١١٤٤-١١٤٥-١١٤٦-١١٤٧-١١٤٨-١١٤٩-١١٥٠-١١٥١-١١٥٢-١١٥٣-١١٥٤-١١٥٥-١١٥٦-١١٥٧-١١٥٨-١١٥٩-١١٦٠-١١٦١-١١٦٢-١١٦٣-١١٦٤-١١٦٥-١١٦٦-١١٦٧-١١٦٨-١١٦٩-١١٧٠-١١٧١-١١٧٢-١١٧٣-١١٧٤-١١٧٥-١١٧٦-١١٧٧-١١٧٨-١١٧٩-١١٨٠-١١٨١-١١٨٢-١١٨٣-١١٨٤-١١٨٥-١١٨٦-١١٨٧-١١٨٨-١١٨٩-١١٩٠-١١٩١-١١٩٢-١١٩٣-١١٩٤-١١٩٥-١١٩٦-١١٩٧-١١٩٨-١١٩٩-١٢٠٠-١٢٠١-١٢٠٢-١٢٠٣-١٢٠٤-١٢٠٥-١٢٠٦-١٢٠٧-١٢٠٨-١٢٠٩-١٢١٠-١٢١١-١٢١٢-١٢١٣-١٢١٤-١٢١٥-١٢١٦-١٢١٧-١٢١٨-١٢١٩-١٢٢٠-١٢٢١-١٢٢٢-١٢٢٣-١٢٢٤-١٢٢٥-١٢٢٦-١٢٢٧-١٢٢٨-١٢٢٩-١٢٣٠-١٢٣١-١٢٣٢-١٢٣٣-١٢٣٤-١٢٣٥-١٢٣٦-١٢٣٧-١٢٣٨-١٢٣٩-١٢٤٠-١٢٤١-١٢٤٢-١٢٤٣-١٢٤٤-١٢٤٥-١٢٤٦-١٢٤٧-١٢٤٨-١٢٤٩-١٢٥٠-١٢٥١-١٢٥٢-١٢٥٣-١٢٥٤-١٢٥٥-١٢٥٦-١٢٥٧-١٢٥٨-١٢٥٩-١٢٦٠-١٢٦١-١٢٦٢-١٢٦٣-١٢٦٤-١٢٦٥-١٢٦٦-١٢٦٧-١٢٦٨-١٢٦٩-١٢٧٠-١٢٧١-١٢٧٢-١٢٧٣-١٢٧٤-١٢٧٥-١٢٧٦-١٢٧٧-١٢٧٨-١٢٧٩-١٢٨٠-١٢٨١-١٢٨٢-١٢٨٣-١٢٨٤-١٢٨٥-١٢٨٦-١٢٨٧-١٢٨٨-١٢٨٩-١٢٩٠-١٢٩١-١٢٩٢-١٢٩٣-١٢٩٤-١٢٩٥-١٢٩٦-١٢٩٧-١٢٩٨-١٢٩٩-١٣٠٠-١٣٠١-١٣٠٢-١٣٠٣-١٣٠٤-١٣٠٥-١٣٠٦-١٣٠٧-١٣٠٨-١٣٠٩-١٣١٠-١٣١١-١٣١٢-١٣١٣-١٣١٤-١٣١٥-١٣١٦-١٣١٧-١٣١٨-١٣١٩-١٣٢٠-١٣٢١-١٣٢٢-١٣٢٣-١٣٢٤-١٣٢٥-١٣٢٦-١٣٢٧-١٣٢٨-١٣٢٩-١٣٣٠-١٣٣١-١٣٣٢-١٣٣٣-١٣٣٤-١٣٣٥-١٣٣٦-١٣٣٧-١٣٣٨-١٣٣٩-١٣٤٠-١٣٤١-١٣٤٢-١٣٤٣-١٣٤٤-١٣٤٥-١٣٤٦-١٣٤٧-١٣٤٨-١٣٤٩-١٣٥٠-١٣٥١-١٣٥٢-١٣٥٣-١٣٥٤-١٣٥٥-١٣٥٦-١٣٥٧-١٣٥٨-١٣٥٩-١٣٦٠-١٣٦١-١٣٦٢-١٣٦٣-١٣٦٤-١٣٦٥-١٣٦٦-١٣٦٧-١٣٦٨-١٣٦٩-١٣٧٠-١٣٧١-١٣٧٢-١٣٧٣-١٣٧٤-١٣٧٥-١٣٧٦-١٣٧٧-١٣٧٨-١٣٧٩-١٣٨٠-١٣٨١-١٣٨٢-١٣٨٣-١٣٨٤-١٣٨٥-١٣٨٦-١٣٨٧-١٣٨٨-١٣٨٩-١٣٩٠-١٣٩١-١٣٩٢-١٣٩٣-١٣٩٤-١٣٩٥-١٣٩٦-١٣٩٧-١٣٩٨-١٣٩٩-١٤٠٠-١٤٠١-١٤٠٢-١٤٠٣-١٤٠٤-١٤٠٥-١٤٠٦-١٤٠٧-١٤٠٨-١٤٠٩-١٤١٠-١٤١١-١٤١٢-١٤١٣-١٤١٤-١٤١٥-١٤١٦-١٤١٧-١٤١٨-١٤١٩-١٤٢٠-١٤٢١-١٤٢٢-١٤٢٣-١٤٢٤-١٤٢٥-١٤٢٦-١٤٢٧-١٤٢٨-١٤٢٩-١٤٣٠-١٤٣١-١٤٣٢-١٤٣٣-١٤٣٤-١٤٣٥-١٤٣٦-١٤٣٧-١٤٣٨-١٤٣٩-١٤٤٠-١٤٤١-١٤٤٢-١٤٤٣-١٤٤٤-١٤٤٥-١٤٤٦-١٤٤٧-١٤٤٨-١٤٤٩-١٤٥٠-١٤٥١-١٤٥٢-١٤٥٣-١٤٥٤-١٤٥٥-١٤٥٦-١٤٥٧-١٤٥٨-١٤٥٩-١٤٦٠-١٤٦١-١٤٦٢-١٤٦٣-١٤٦٤-١٤٦٥-١٤٦٦-١٤٦٧-١٤٦٨-١٤٦٩-١٤٧٠-١٤٧١-١٤٧٢-١٤٧٣-١٤٧٤-١٤٧٥-١٤٧٦-١٤٧٧-١٤٧٨-١٤٧٩-١٤٨٠-١٤٨١-١٤٨٢-١٤٨٣-١٤٨٤-١٤٨٥-١٤٨٦-١٤٨٧-١٤٨٨-١٤٨٩-١٤٩٠-١٤٩١-١٤٩٢-١٤٩٣-١٤٩٤-١٤٩٥-١٤٩٦-١٤٩٧-١٤٩٨-١٤٩٩-١٥٠٠-١٥٠١-١٥٠٢-١٥٠٣-١٥٠٤-١٥٠٥-١٥٠٦-١٥٠٧-١٥٠٨-١٥٠٩-١٥١٠-١٥١١-١٥١٢-١٥١٣-١٥١٤-١٥١٥-١٥١٦-١٥١٧-١٥١٨-١٥١٩-١٥٢٠-١٥٢١-١٥٢٢-١٥٢٣-١٥٢٤-١٥٢٥-١٥٢٦-١٥٢٧-١٥٢٨-١٥٢٩-١٥٣٠-١٥٣١-١٥٣٢-١٥٣٣-١٥٣٤-١٥٣٥-١٥٣٦-١٥٣٧-١٥٣٨-١٥٣٩-١٥٤٠-١٥٤١-١٥٤٢-١٥٤٣-١٥٤٤-١٥٤٥-١٥٤٦-١٥٤٧-١٥٤٨-١٥٤٩-١٥٥٠-١٥٥١-١٥٥٢-١٥٥٣-١٥٥٤-١٥٥٥-١٥٥٦-١٥٥٧-١٥٥

نقد قول هذا العلم من جمهور المسلمين قبولاً تعوزه الحفاوة . فمالك بن انس يقول
 " امض الحديث كما ورد بلا كيف ولا تحديد الا بما جاء به الآثار وبما جاء به
 الكتاب " (١) . ويقول عن الاستواء على العرش : " الاستواء معلم ، والكيف
 مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة " (٢) .

اذن ، فقد كانت هذه الطفرة الفكرية موضع السخط والنقمة . وهذا احمد
 بن حنبل يُنتَلَى بقضية خلق القرآن وتنزل به المحنة المعروفة (٣) . وما ذلك
 الا لون من ألوان هذا الصراع الفكري الذي تلبس لباس السياسة فيما بعد . وابو
 يوسف القاضي يقول عن علم الكلام " من طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب المال
 بالكيمياء افلس ، ومن طلب غرائب الحديث كذب " (٤) . وقال ايضا : " طلب
 العلم بالكلام هو الجمل والجهل بالكلام هو العلم " (٥) . والامام الشافعي
 يحذر الناس من هذا العلم فيقول : " لو يعلم الناس ما في الكلام من الاهواء لغروا
 منه فرارهم من الاسد " " ولان يلتقى الله تبارك وتعالى العبد بكل ذنب ما خلا
 الشرك خير له من ان يلقاه بشيء من علم الكلام " (٦) . فقد حرم الفقهاء كالشافعي

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٢٠١ / ٢

(٢) طبقات الشافعية ١٢٦ / ٣ . راجع ايضا شرح العيون ١٤٢ بنص يختلف اختلافا
 يسيرا جدا .

(٣) راجع مناقب الايمان احمد بن حنبل صفحة ٣١٠ - ٣٤٠

(٤) عيون الاخبار ١٤١ / ٢

(٥) تاريخ بغداد ٦١ / ٢

(٦) حياة الحيوان ١١ / ١

ومالك وابن حنبل وسفيان وأهل الحديث جميعاً علم الكلام (١) . ألم يفت الشافعي بتفسير طالب هذا العلم : ألم يعدّه موجياً لغضب الله؟ " ولأن يُبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في علم الكلام . . . وقال أيضاً : " إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له " (٢) . إذن فالمجادلون والمتكلمون كفرة ، وحكم الشرع فيهم يصدره الشافعي نفسه ، " حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام " (٣) والامام أحمد بن حنبل يرى رأى الشافعي " لا يفلح صاحب الكلام أبداً ، ولا تكاد ترى أحد ينظر في الكلام إلا وفي قلبه مرض " (٤) .

ولكن هذا الحكم القاسي لم يكن الحكم العام . كان شقاً لجماعة من المفكرين وقفوا وراء هذا العلم يناصرونه ويشدون أزره ، وكان كذلك جماعة من الدارسين المشغوفين بهذا العلم الجديد .

إذن فالمجتمع العباسي فريقان في ذلك : فريق المتكلمين المتفلسف ، وفريق أهل السنة المتحفظ . ومنه الامام أحمد الذي حكم على المتكلمين بالفشل والهوى ، يقطع الحرث المحاسبي على ورعه وزهده لأنه جادل علماء الكلام ويقول له : " ويحك . أأنت تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم ؟ أأنت تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة كلام أهل البدعة والتفكير فيه فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث ؟ " (٥) .

(١) حياة الحيوان ١١ / ١

(٢) حياة الحيوان ١١ / ١

(٣) حياة الحيوان ١١ / ١

(٤) حياة الحيوان ١١ / ١

(٥) حياة الحيوان ١١ / ١

وكيف يقبل الناس على مواطن الوباء ، ويقربون مظان العدوى ، وكيف يقرأون اقوال المتكلمين وهم زنادقة لا تجوز لهم شهادة في عرف المحتججين بقول مالك " لا تجوز شهادة اهل البدع والاهواء " (١) . ولم يقف المتكلمون مكتوفي الايدي بالطبع . بل لقد هاجموا اصحاب الحديث وكذبوهم وسفّهموا رواياتهم وحاولوا ابطال الحديث من الاساس . وقامت بين الفريقين مشادات (٢) . وتعدت النعمة جماعة الفقه والسنة الى الابداء .

قال الاصمعي :

واني لاغنى الناس عن متكلم يرى الناس ضلالا وليس يمهتدي (٣)

وقال محمد بن بشير :

دع من يقود الكلام ناحية فما يقود الكلام ذر ورع (٤)

وعبد الله بن مصعب :

...

ل يوشك افيائها ان تزولا	فان مقاتلهم كالظلالا
وكان الرسول عليها دليلا	وقد احكم الله آياتـــــــــــــــــه
فلا تتبعن مواها سبيلا	واوضح للمسلمين السبيـــــــــــــــــل
ويخفون في الجوف منها غليلا (٥)	اناس بهم ربيعة في الصدور

اهواء وفرق ومشادات . فاذا اضفت الى هذا الجوال عباسي المحموم بالمنازعات العرقية والكلامية والفلسفية ، المنازعات السياسية الداخلية من ثورات علوية وخارجية ، كما وصفنا في مستهل الحديث عن الحياة العباسية ، وحروب خارجية ، ودسيسة ورشوة وظلم ، ادركت اى جو صاخب مضطرب كانت تنفس فيه الحياة العباسية .

(١) حياة الحيوان ١١ / ١

(٢) تأويل مختلف الحديث صفحة ٢ وما بعدها

(٣) عيون الاخبار ١٤١ / ٢

(٤) تأويل مختلف الحديث ٢٥

(٥) تأويل مختلف الحديث ٢٥ (راجع لهذا القسم من البحث كتاب " المعتزلة ")
لزهدي جار الله ولا سيما صفحة ٢٤١ وما بعدها

(٢) - الحياة الاجتماعية :

قلنا في الحديث عن حركة علم الكلام والفرق الكلامية ، ان من الاسباب التي اسهمت في نشأتها وتطويرها حياة الاستقرار بعد غناء الفتوح . ولا محيص من ان يواكب هذا الاستقرار رخاء في الحياة الاجتماعية . ولقد اشرنا الى شيء من هذا القبيل في معرض كلامنا عن اغراق الناس في الفنون الحضريّة على اثر الرفه الاقتصادي الذي كان يغمر الدولة وارباب الثراء . فالزراعة والتجارة والصناعة في ازد هار كبير . ففارس تصدر كل سنة ثلاثين الف قارورة من ماء الورد مثلاً ، وخراسان تصنع عشرين الف ثوب ، وطبرستان والرويان ونهاوند ستائة قطعة من الغري ، ومائتين من الاكسية . يضاف الى هذا الوف القناطير من الزيت والعسل والتمر من سائر انحاء المملكة^(١) .

فقد اعار العباسيون الزراعة اهتماماً ورعاية بالغين ، حفروا الانهار والترع ، واقاموا الجسور ، فاذا " بين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترق اليه انهار من الفرات^(٢) " . وطبيعي ان يرافق هذا الازدهار الزراعي ازدهار تجاري . ولقد كانت السفن العباسية تبلغ سومطرة وزنجبار وكلكتا وجزائر الهند والصين ومدغشقر والاندلس . والمصطلحات التجارية التي اقتبسها الفرنجة من اللغة العربية تشهد بهذا التوسع التجاري الفذ^(٣) فقد بلغوا في تجارتهم الصين . وهذا المقدسي يشيد بالاقليم الذي يتهل بحره

(١) ابن خلدون ١٥٦ - ١٥٧

(٢) مسالك الممالك ٨٥

(٣) امراء الشعر ٣٤

بالصين ويقول عن تجارات الصين ان بها تضرب الامثال ^(١) . وتاجروا بالحجارة
الكريمة والمسك والعنبر والزجاج والخزف والارز والعقاقير والبنوس والحديد
والرصاص والصندل والبلور وجلود النمر والرقيقى ^(٢) وان من التجار من كان نسي
بضاعته ما يبلغ ثمنه ملايين الدراهم . ولقد روى لنا الطبري من ذلك ان جعفر
الهمكي سام جوهريا على سبط من الجوهر بسبعة ملايين درهم ^(٣) . ولا نستغرب
هذا والثروات تدفق تدفقا على الدولة وعلى بعض الافراد . فاذا اغننا الى دخل
الدولة الرسمي الذي بلغ الملايين ، الدخل الفردي ، وقفنا على مبلغ الرقعة الاقتصادية .
فالمنصور يخلف اكثر من اربعة عشر مليون دينار وستمئة مليون درهم ^(٤) . والرشيد
يموت عن تسعمائة مليون درهم ^(٥) . وللخيرزان ربع يناهز مائة وستين مليون
درهم ^(٦) . فاذا عدلنا عن الخلفاء الى الوجهاء طالعنا ثروات البرامكة وهي
اشهر من ان تذكر . فخالد منح بشارا الف درهم لكل بيت من قصيدته التي مدحه
بها ^(٧) ، ويحيى بن خالد وهب اسحق الموصلي مائة الف درهم ووهبه كل من
ولديه مثل ذلك ^(٨) .

-
- (١) احسن التقاسيم ١٧
(٢) احسن التقاسيم ١٧
(٣) الطبري ج ٢ ج ١٠ / ٧٠٣
(٤) مروج الذهب ٦ / ٢٢٢
(٥) الطبري ج ٣ ج ١٠ / ٧٦٤
(٦) مروج الذهب ٦ / ٢٨٩
(٧) الاغانى ١٧٢
(٨) حلبة الكميت ٧٣

ولم تكن كل هذه الاموال مشروعة . بل كان جزء كبير منها مصادرة . فالهدايا التي بعث بها علي بن عيسى بن ماهان عامل الرشيد في خراسان الى الخليفة ، قال عنها يحيى بن خالد انها " ما اجتمعت له حتى ظلم فيها الاشراف واخذها اكثرها ظلما وتعديا . ولو امرني امير المؤمنين لاتي بضعفها الساعة من بعض تجار الكرخ . قال وكيف ذاك ؟ قال : قد ماومنا عوننا على السفط الذي جاءنا به من الجوهر واعطيناه به سبعة آلاف الف فأبى ان يبيعه ، فابعث اليه الساعة بحاجبي يأمره ان يرد الينا لنعيد فيه نظرنا ، فاذا جاء به جحدناه وريحنا سبعة آلاف ألف ، ثم كنا نفعل بتاجرهم من كبار التجار مثل ذلك ، وعلى ان هذا اسلم عاقبة ، واستراما من فعل علي بن عيسى في هذه الهدايا باصحابها ، فاجمع لامير المؤمنين في ثلاث ساعات اكثر من قيمة هذه الهدايا باهون سعي وأيسر امر ، واجمل جباية ، مما جمع علي في ثلاث سنين " (١) . ولا شك في ان يحيى خبير بمثل هذه الامور ان شهادته شهادة مجرب موثوق بتجربته !

وقد عمت سنة المصادرة هذه ، ولا سيما ايام حكم المتوكل والمعتمد والمقتدر والقاهر ، اضاف الى هذا ما كان يصادره الترك والد يلزم (٢) .

وطبيعي ان يعسم الحياة العباسية ترف وبذخ ، في الانفاق ، واللباس ، والطعام ، ومجالس اللهو والسمر . فالرشيد يجري على ابي العتاهية خمسين الف درهم في السنة (٣) ، ويجيز مروان بن ابي حفصة بعدد ابيات قصيدته الرثاء ، وقبله اجازة المهدي بمائة الف لما مدحه بقصيدته :

(١) الطبري ج ٣ ج ١٠ / ٢٠٢-٢٠٣
 (٢) تاريخ اليعقوبي ٢٠٦/٣ - ٢١٣ راجع ايضا طبقات الاطباء ١٢٩/١ ، ١٣٨
 (٣) الاغانى ٦٣/٤

طرقتك زائرة فحيّ خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها

” فكانت اول مائة الف درهم اعطيتها شاعر في ايام بني العباس “ (١) . والمهدى وهب ابن دحمان المغني مائة الف دينار مرة واحدة (٢) . وقد يبالغون في هذا الترف حتى ليعدوا به حد البطر والشره كما فعل المأمون لما فرق في يوم واحد ستة وعشرين مليون درهم (٣) . وغير بعيد ان تكون هذه الروايات مبالغاً فيها .

فقصة المعتصم حين ملأ فم الحسين بن الضحاك بالجواهر (٤) لما هنأه بقصيدة في الخلافة ، تحتل كثيراً من الشك ، ولكنها تعكس لنا اتجاهها مألوفاً في الحياة العباسية بلا ريب . واخبار زواج المأمون ببوران كثيرة ، فقد زعم الطبري ان ابا بوران ، الحسن بن سهل ، فرق على قواد المأمون في ذلك اليوم خمسين مليون درهم (٥) ، وان المأمون دفع الى الحسن عشرة ملايين درهم من مال فارس واقطعه الملع (٦) .

والحسن بن سهل هذا بلغ من الثراء حدا يصور الترف الذي كانت ترتع فيه طبقة الوجهاء العباسيين ، فقد كتب اسماً ضياعه في رقاع صغيرة ثم نشرها على المدعوين الى عرس ابنته ” فمن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها “ (٧) . ولقد

(١) الاغاني ٨٨ / ١٠

(٢) الاغاني ٢٢ / ٦

(٣) فوات الوفيات ٥٠٣ / ١

(٤) الاغاني ١٥٢ / ٧ - ١٥٣

(٥) الطبري ج ٣ ج ١٠ / ١٠٨٣

(٦) الطبري ج ٣ ج ١٠ / ١٠٨٣

(٧) الطبري ج ٣ ج ١٠ / ١٠٨٤

انفقت حمدة في ذلك العرس خمسة وعشرين مليون درهم فاستهوتها ام جعفر وقالت لها " ما صنعت شيئا . قد انفقت ما بين خمسة وثلاثين الف الف السي سبعة وثلاثين الف الف درهم (١) " . حتى ان المأمون نعت انفاق آل بوران على عرسها ومخالاتهم في البذخ بأنه سرف " واوقد في تلك الليلة شمعة غير فيها اربعون مثاقيل في تور ذهب فانكرو المأمون ذلك عليهم وقال هذا سرف (٢) " . وهو نفسه الذي امر قبل دقائق من هذا ، لما نثرت جددة بوران عليها الفادرة تبلغ الف حبة من الدر ، بجمع هذا الدر ، وذهب بوران . وكان قد وجدته ناقصة عشر حبات اخذها احد الحاضرين ، فامر بردّها ووعده بان يخلفها عليه (٣) . وهو نفسه الذي امهر بوران الف حصاة من الياقوت ، وبسط لها فرشاً منسوجة بالذهب مكللة بالدر والياقوت . (٤) وهكذا كان الانفاق سمة من سمات الحياة العباسية المترفة ، ومدعاة الى التنافس والتفاخر . ولكنه كان كذلك مدعاة الى النعمة على هذه الحياة المنحرفة ، نعمة سلبية تتجلى في الردة الروحية .

وهذا الانفاق جانب واحد من جوانب هذا المجتمع الذي نهض في كل ناحية من نواحي الحياة . فقد قلنا ان تكاثر الاماء والخلمان يرجع الى الفتوح والحروب وما استتبع ذلك من اسر . وكان هذا الرقي من ام شتى يحمل ثقافات ومدنيات مختلفة . وقد رأينا ان غرام العرب به وتأثرهم كان كبيراً . فملا قصورهم زوجات ومحظيات وخدماء . وان عنايتهم بالجوارى منه كانت بالغة : نفقوهن وعلموهن اصول الغناء ، وتمادوهن ، وغالوا في اثمانهن واستعانوا بهن على مجالس لهموم . فبديهي ان تنتقل

(١) الطبري ج ٣ ج ١٠ / ١٠٨٤

(٢) الطبري ج ٣ ج ١٠ / ١٠٨٣

(٣) الطبري ج ٣ ج ١٠ / ١٠٨٢

(٤) ابن خلدون ١٥١

عن طريقهن عادات ونظم اجتماعية وخلقية وفكرية كثيرة . فالجيل الجديد العباسي كان اذن ملقحا بلفاح الاعاجم بدنا او عقلية ، او كليهما معا ، بطريقي الاتصال بهؤلاء الجوارى بالزواج ، او الاحتكاك بالموالي جملة . بل ان الامويين الذين اُثر عنهم صفاء الدولة ، وخصوص حياتهم من الاعاجم ،^(١) كانوا متأثرين بعادات الفرس بعض التأثير . وهذا الحجاج بن يوسف العتيبي ، ذو البأس والجد ، يستدعي احد الدهاقين ، لما عنم على الاحتفال باختتان ابنه ، ويسأله عن ولائم الفرس ليقلد هم في ذلك ^(٢) . فليس بدعا ان نرى عصر بني العباسي - وميزته تعدد العناصر واختلافها في نقلة سريعة واسعة الخطو في التغير والتطور . واذا مستوى العيش كله في ارتفاع . فبعد ان كان العرسى يحسب المرقق رقعا لما ملك فارس والرم ، والكافور ملحا يذره في عجينه ^(٣) ، صار يأكل الدجاج الهندي كما كان يفعل سليمان بن عبد الملك ^(٤) ، والبسط ^(٥) ، ويتفنن في مزج الاطعمة وتحضيرها . فالمصور يستجيد العجة من المنع والسكر ^(٦) . والمهدى يأتي لطباخه بمن يلغنه صنع الوان " المنع المعقود بالسكر الطبرزد والعسل وغير ذلك " ^(٧) . وغالوا في النفقة على موائدهم ، وان منهم من كان ينفق على طعامه ثلاثين الف درهم كل شهر ^(٨) ،

(١) البيان والتبيين ٣ / ٣٦٦

(٢) ابن خلدون ١٥١

(٣) ابن خلدون ١٥٠

(٤) العقد الفريد ٤ / ٤٣١

(٥) انساب الاشراف جزء ٤ قسم ٢ / ٨٦

(٦) مروج الذهب ٦ / ١١٨

(٧) مروج الذهب ٦ / ٢٢٦ - ٢٢٧

(٨) حلبة الكمي ٦٣

ويرسي الطيور الداجنة فيعلفها الجوز المقشر ويسقيها اللبن الحليب او يأكل
الدجاج المشوى (١) ، ويعدّ كل طعام سخّن مرتين فاسدا (٢) . واقبلوا على
سائر الملائد ينتهبونها انتهابا ، تغنوا في اللباس ديباجا وحريرا وخزا ، وفي الاثاث
والزينة (٣) قيل انه كان للرشييد خاتم باربعين الف دينار نقش عليه اسمه (٤) .
واخته عليّة بنت المهدي كانت تتخذ المعائب المكلفة بالجوهر لتستر عيبا في
جبينها " فحدثت والله شيئا ما رأيت فيما ابتدعته النساء وحدثته احسن منه " (٥) .
واتخذوا القباب من الفضة والابنوس والعندل وكلايهما من الذهب والفضة ملبسة
بالوشى والسمور والديساج واللوان الحرير (٦) . واغرموا بالسباق والشطرنج والنرد (٧) ،
والصيد ، فكان المأمون يبلغ في رحلات صيده الشام (٨) . ولقد مات عيسى بن الرشيد
وهو يصيد الخنازير وقد سقط عن ظهر الدابة (٩) . وقبله سأل السفاح ابا دلامة
حاجته فطلب كلبا يتصيد به ، ودابة يتصيد عليها ، وغلاما يصيد بالكلب ويقوده ، وجارية
تصلح له الصيد (١٠) . والجاحظ يورد لنا كثيرا من الشعر في الصيد كقصيدة ابن ابي كريمة
في الكلب والصيد به (١١) . واغرموا كذلك بالمهارشة بالديوك والكلاب واللعب بالطيور عامة (١٢)

(١) طبقات الاطباء ١٤٠ / ١	(٧) مروج الذهب ٢٩٨ / ٨
(٢) المستطرف ٢١١ / ١	(٨) مروج الذهب ٣٤٨ / ٨ و ٢٩٥ - ٢٩٦
(٣) راجع التاج ١٥٤	(٩) الاغانى ٣٥٣ / ٤٠
(٤) راجع مروج الذهب ٢٣٤ / ٦	(١٠) الاغانى ١٩٠ / ١٠
(٥) مروج الذهب ٣٧٦ / ٧	(١١) الاغانى ٢٤٦ / ١٠
(٦) الاغانى ١٦٢ / ١٠	(١٢) الحيوان ٣٦٢ / ٢
	(١٣) الحيوان ٣٦٦ - ٣٦٧

اما مجالس غنائهم ولهمهم فينقطع دونهما الوصف • كانوا بالغناء مغرومين •
 بالجوارى مفتونين (١) • فلا بد ان تكون مجالسهم حافلة بضروب الفحشاء والمنكر •
 واقتدى الناس بالحكام والاغنياء في معاشهم • وغرقت القصور في اللذائذ تمنع في الارتشاف
 من رحيقها حتى تفقد صوابها • وتستمرسل في غيها مليسا ومأكلا ومشربا ومعاشا •
 كل هذا حل في ثنائيه طلائع الردة الروحانية التي تمثلت في حركة الزهد • مجتمع
 صاحب ماجن • راع في اللهو والترف • واقلية ناعمة مترفة باغية تتحكم باكثرية
 يائسة معدمة • مهينة الجناح • وتفاوت بين الطبقات كبير • وتباين في اساليب
 المعاش ودرجاته شاسع • فكيف يُرضي هذه الحال ذلك النفس الوادع الهادي
 من عباد الله واوليائه الصالحين ؟

(٢) - طلائع النهضة الفكرية :

كان من نتائج هذه الحياة الاجتماعية المتحضره ازدهار الحياة الفكرية والعلمية •
 فقد شملت الفتوح الاسلامية - فيما شملت - مناطق قامت فيها مراكز العلم الكبرى
 كالاسكندرية وجنديسابور والرها ونهبيين وحران وقنسرين • ولم يلبث المسلمون
~~الاطباء~~ حتى نقلوا العلم التي ازدهرت في المعاهد هناك من طب ورياضيات وفلك •
 وكان قد تسرب شيء منها اليهم عن طريق الموالى قبل ذلك • ومن هذه المراكز انساب
 الفكر اليوناني والسرياني والهندي • واقبل المسلمون على النقل والترجمة أيضا اقبال •

وكان قوام تأثرهم بالفكر اليوناني اعتقادهم الراسخ "بسمو العلم اليوناني ، حتى لم يكن يخالط نفوسهم ريب في انه قد بلغ أعلى درجات اليقين " (١) . وجاز الفكر الاسلامي طور علم الكلام وبلغ طور الفلسفة . وكان جل اعتماده على مذهب افلاطون في المثل ومذهب ارسطو في العلة . وتأثر كذلك بالافلاطونية الحديثة التي اطلقوا عليها اسم "مذهب الاسكدرانيين " ويسمى الشهرستاني داعية هذا المذهب (افلوطين) " الشيخ اليوناني " (٢) ، وهو القائل بان هذا الوجود صدر عن واحد ازلي ابدى هو علة العلل لا شبيه له وهو الله . وان اول ما انبثق منه العقل ، ومنه فاضت نفس العالم او النفس الكلية ومنها جاءت الطبيعة (نظرية الانبثاق) .

ونمت فلسفة ارسطو التي قبسوا منها ونهلوا .

هذه هي الدعائم اليونانية الثلاث التي استند اليها الفكر الاسلامي وتأثر بها . فالمعتزلة مثلاً قالوا بحدوث العالم واولية الزمان والحركة (٣) . وهذا مقتبس من افلاطون . وارسطو نحلوه كتباً ، ككتاب " في العالم " (٤) . وايدوا بفلسفته نظريتهم في الخلود وردوا عليه بكتب كثيرة (٥) . ووجدوا في الافلاطونية الحديثة ما يوفق بين مذاهب الفلاسفة اليونان ، فنهجوا النهج نفسه " وكان الفريق الاول من الآخذين بمذهب ارسطو مضطرين الى الوقوف موقف الرد على خصومهم

-
- (١) دي بـ ٣٩
 (٢) قصة الفلسفة اليونانية ٣٣٣
 (٣) دي بـ ٣٥ (الهامش)
 (٤) دي بـ ٣٦
 (٥) دي بـ ٣٥

والدفاع عن انفسهم . فلم يكن لهم بد ، على وفاق كانوا مع الجماعة الاسلامية ام على خلاف ، من فلسفة ملتزمة الاجزاء ، يجد فيها الانسان الحق الذي لا حق غيره .
وقد اظهر علماء المسلمون فيما بعد من التقدير لكتب المعلم اليونانية مثل ما اظهر
محمد (عليه الصلاة والسلام) من تقدير لكتب اليهود والنصارى المقدسة " (١) .

وحاولوا كذلك التوفيق بين افلاطون وأرسطو متمثلين باصحاب الافلاطونية
الحدیثة واتجهوا الى فلسفة أرسطو الصحيحة والمدسوسة يقتبسون منها كل ما من
شأنه أن يقوى الايمان " وانما فعلوا ذلك ليمهدوا السبيل لقبول آرائه العلمية " (٢) .

ومن المجارى الفكرية التي استرقدوها الفكر الهندي . يتمثل هذا فسي
الروحانية التي اصطفت بها نزعة الزهدة التي استحالت الى تصوف . ففكرة الفناء
الروحي مثلاً أصلها في " النارفانا " الهندية ، ومذهب " اليوجا " في
التنسك كان له تأثير عظيم في فارس (٣) . حتى ان بعض الباحثين كفولك زيهر
يرون ان المثل الاعلى للحياة عند الهنود قد تسرب الى الاسلام . ويستدل على ذلك
ببيتين من زهديات ابي العتاهية في وصف الرجل الفاضل :

يا من ترفع للنبياء وزينتها ليس الترفع رفع الطين بالطين
اذا أردت شريف الناس كلهم فانظر الى ملك في زي مسكين

ويتساءل فولك زيهر بعد ذلك : " او ليس هو بوزا ؟ " (٤)

فقد ضمت حركة الترجمة " فيما ضمت - كثيراً من تراث الهند في الطب

والنجم والحكم والعقاقير . وهذا ابن النديم يورد قائمة باسماء بعض ما ترجم

من ذلك (٥) . وحركة الترجمة ابتدأت في الحكم الاموي ، ولكنها كانت جهوداً فردية

(٤) راجع ذلك في كتاب " دراسات في الادب

الاسلامي " لمحمد احمد خلف الله

صفحة ٩٦ - ٩٧

(٥) الفهرست ٣٠٣

(١) دي بور ٣٩

(٢) دي بور ٤٠

(٣) دي بور ٩٩

غير منتظمة كجهود خالد بن يزيد في الكيمياء ، وروان بن الحكم - عن طريق ماسرجويه - في الطب ، وعمر بن عبد العزيز الذي أوعز بترجمة بعض الكتب الطبية . بيد انها نشطت في حكم العباسيين وتعززت (١) . فالمنصور كان " اول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم " (٢) . وهو اول خليفة ترجمت له الكتب الى العربية . من ذلك كتاب " كليله ودمية " و " السند هند " ، وكتب ارسطو في المنطق ، والمجسطي لبطليموس ، وكتاب اقليدس والارتباطيقي وغيرها كثير من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والبريانية " واخرجت الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها . وفي ايامه وضع محمد بن اسحاق كتب المغازي والسير واخبار المبتدأ . ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مصنفه " (٣) . ولم تكن عنايته بالطب دون عنايته بهذه العلم . فقد عهد الى جورجيس بن بختيشوع رئيس اطباء بيمارستان جند سابور الذي استقدمه ليعالجه من مرض في معدته ، بنقل بعض الكتب الطبية اليونانية الى العربية .

اما حكم المأمون فكان أخصب عهود الترجمة وأشدها ازدهارا ، تعددت في ايامه الفرق ، وتشعبت العقائد الدينية ، وكان المأمون ميالا بطبعه الى القياس . اقبل على مذهب المعتزلة فأغرم به وناصره علانية ، وجاهر بآراء اصحابه وتبناها - وكانوا يسرونها خشية الفقهاء - . وكانت قضية خلق القرآن هي القضية التي استحوذت على تفكيره واعجابه . فعقد المجالس للمناظرة ، ثم عمد الى العنف فامتحن الناس في عقيدتهم فيها . وكان يمنح المترجم ، على ما يزعمون ،

(١) معالم الفكر العربي ٤٣

(٢) مروج الذهب ٢٩٠ / ٨

(٣) مروج الذهب ٢٩١ / ٨

زنة ما يترجمه ذهباً (١) . فاقندى به بعض الخاصة والرجاء في الترجمة والقراءة ، فكثرت الوراقون وباعة الكتب وانتشرت مجالس العلم . والواقع ان المأمون لم يتفرد بهذا التشجيع . فقد كان تشجيع أسلافه كذلك للعلماء فوق الرصف . فالمنصور كان يأمر لطبيبيه المسيحي جورجيموسين بختيشوع بالشراب فسي مجلسه (٢) ، والرئيسد يدعوا لطبيبيه جبرائيل بن بختيشوع وهو يحسج في مكة فينكر عليه قيم دعاءه هذا فيجيبهم : ان في صلاح بدنه صلاح الرعية ، وان في صلاح طبيبيه وعافيته صلاح هذا البدن وعافيته (٣) . والمأمون يصل جبريل هذا بمليون درهم مشفوعة بالفكر من الحنطة لما ابرأه من مرض ألم به (٤) ، ويقرض في مدحه الشعر (٥) . فلا غرو ان تكثر المترجمات ويكثر المترجمون ، في زمن المأمون خاصة ، وهو الذي " كان نجم بني العباس في العلم والحكمة " كما قال عنه الدميري (٦) . فقد كان شغوفاً بالكتب القديمة يقرأها ويدرسها ويقرب اليه العلماء ويغري اصحاب المذاهب الفكرية بالجدل والنقاش (٧) . وهذا " بيت الحكمة " الذي يرجح ان الرشيد انشأه لجمع ما نقل من كتب الى العربية ، جعل منه المأمون مجلساً للترجمة والنسخ والدرس والتأليف خاصة ، وجعل للبيت قوماً يديره ويدبر امره (٨) .

-
- (١) راجع تاريخ التمدن الاسلامي ١٤٢ / ٣
 - (٢) طبقات الاطباء ١ / ١٢٤
 - (٣) طبقات الاطباء ١ / ١٣٠
 - (٤) طبقات الاطباء ١ / ١٢٨ - ١٢٩
 - (٥) طبقات الاطباء ١ / ١٣٧ - ١٣٨
 - (٦) حياة الحيوان ١ / ٧٢
 - (٧) مروج الذهب ٨ / ٣٠١
 - (٨) تاريخ التمدن الاسلامي ٣ / ٢٠٧ - ٢٠٨

ولا غرو ان نعتن حركة الترجمة هذه بحركة تأليف تدانها ازدهارا وسعة :
 فوسائل التشجيع التي ترقت بها الترجمة اسهمت في تنشيط حركة التأليف ،
 وكان لصناعة الورق في ذلك يد طولى (١) . فكثرت المؤلفات في كل شيء وتفرعت
 العلوم (٢) . وكان من نتائج هذه النهضة الفكرية ان تشعبت الآراء الدينية
 وتعددت البدع ، فكثر الجدل وتباينت آراء الفقهاء والمحدثين والمشرعيين . ولم
 يكن المجتمع العباسي كله راضيا عن هذه الآراء والمباحثات الدينية والفكرية .
 فلم ير المناهضون له وسيلة يردون بها عليها اجدى من ان ينفذوا ايديهم
 منها ويعتزلوا هذا المجتمع المتلاطم فوجدوا في الزهد بغيتهم .

فخلاصة ما يوجز به وصف عصر شاعرنا اذن ، انه كان العصر الذي
 تصارعت فيه نزعات السياسة ونزعات الدين ونزعات الاجتماع ونزعات الفكر . ولعلنا
 لا نتجنس عليه لوقلنا انه عصر المتناقضات . ألم يكن عصر الشك كما كان عصر
 اليقين ؟ أ ولم يكن عهد الفتح والامجاد الحربية كما كان عهد الثورات والفتن
 الداخلية ؟ أما حفل بالزنادقة والمتشككين كما حفل بالمؤمنين والورعيين ؟
 أما سار فيه المترفون المسرفون الى جانب الفقراء المحرومين ؟ ألم تحق به جماعة
 العلماء كما ملائه طائفة الفساق ؟ خليفة يسمع وعظ الواعظ فيبكي من خشية الله ،
 وهو نفسه بعد دقائق في مجلس اللهو يصغي الى وقع الوتر والكأس وشدة القيان
 فيبكي من الطرب لا من الخشية ؟ هبات تبلغ الملايين ، وغلal تبلغ الملايين ،

(١) صبح الاعشى ٤٧٥/٢ - ٤٧٦
 (٢) راجع تاريخ التمدن الاسلامي ١٢٤/٣

وأنا من ينقطع منهم النعم دون نصف درهم في اليوم . طبقة يوتى لها بالطير
والفاكهة ، ويعلف بطها بالجوز المقشر واللبن الحليب ، وطبقة تنوء بتكاليف
المعاش وتشكو شظف الحياة . محظوظ يرفع ، ومغضوب عليه يخفض . السلطان
ساخط في الصباح راض في المساء . فرق وآراء كلامية وفقهاء يتخرجون فيرون
في ذلك اثما وكفرا ، ويعدون الخوض في هذه الشؤون زندقة .

كان عصر الاقبال على الحياة وكان عصر الادبار من الحياة . ولقد
أبنا بعض الابانة جانب الاقبال هذا . فلنشع الآن في الكشف عن الجانب
الآخر المتمثل في الردة الروحية التي تزعمها نفر الزهاد في تلك الفترة الحافلة
العجيبة . (١)

(١) كان جل الاعتماد في هذا الفصل على كتابي " تاريخ التمدن الاسلامي "
 لجرجي زيدان و " ضحى الاسلام " ل احمد امين .

الردة الروحية :

يبدو أن تعايشنا لآضداد بعضها الى جانب بعض من طبيعة الحياة وسننها ، القوة وحيالها الضعف ، والثروة وازاءها الفقر . وقد ترى النملة الصغيرة تدب على مقربة من قوائم الفيل الضخم ، والفتاة الشابة الحسنة تزف الى الشيخ الدميم ، وقد يجمع مقعد واحد بين تلميذ مفرط في الذكاء وتلميذ بالغ الغباء . فلا بدع اذا رأينا حياة الخلاعة والمجون في هذا العصر تعترضها حياة الورع والتقوى . ولا بدع اذا كان الزهد صدى الفسق . ورب حياة ماجنة فاسدة تحمل في ثناياها جراثيم الخير وعناصر الصلاح . ففي الحياة الاموية المرححة العابثة كان شسبي من هذا القبيل . فقد كان نشاط العلماء والحركة الدينية موازيا لنشاط الماجنين واقبالهم على العبث واللغو (١) . كأن الامر " رد فعل " كما يقولون .

كان كل ما في المجتمع العباسي يحمل على الردة ويفرغ الصلاح بالثورة . وقد تكون سلبية مكبوتة كما تمثلت في حركة الزهد : لا الاموال موزعة توزيعا عادلا . فقد رأينا الخليفة يسطر على الملايين ، ويحشد ها ليوزعها في لحظة طرب لشاعر او مغن . كان يهادر الاموال ويهب الاموال ، ويهدر الدم ويولي الوزارات وليس من امرئ يجروء على ان يسائل نفسه سؤال استفهام او استنكار . قال العتاسي لما سألوه " لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الادب " " لاني رأيتـه يعطي عشرة

آلآ في غير شي* ، ويرمي من السور في غير شي* ، ولا ادرى اى الرجلين اكون؟ (١)
 ولا الطمانينة كانت شاملة ، فقد كانت انباء الدمن والوشاية حرة بان تورء موارد
 التطف . وهذا المفضل الضبي يتأهب للموت حين يستدعيه المهدي ويحسب
 انه ينتوى به ما كان ينتوى بكثير من معاصريه . فاذا المهدي يحكمه في افرس
 بيت من الشعر قالته العرب ويجيزه بثلاثين الف درهم (٢) . فامير المؤمنين مطلق
 الحرية والتصرف حتى في الارواح . فقد امر المنصور بقتل الفضيل بن عسران اثر
 وشاية . فلما ليم في ذلك قال احدهم " هو امير المؤمنين يفعل ما يشاء وهو
 اعلم بما يصنع " (٣) .

كان الشعب يئن من القصر ، والحكام المترفون يئنون من ثقل الملاذ . وانك
 لواجد بواد رثوة من هذا الشعب البائس المقهور على هذا الوضع في قصة محمد
 بن سليمان التي ذكرناها قبلا ، حينما اعترضه مجنون وهو في جنازة ابن عمه " فقال
 له : يا محمد أمن العدل ان تكون غلتك كل يوم مائة الف درهم وانا اطلب نصف
 درهم فلا اقدر عليه ؟ ثم التفت الى سوار (القاضي) فقال : " ان كان هذا
 عدلا فانا اكثريه " (٤) . هي الثورة اذن صراحة . بل هي اعنف من الثورة .
 انها الخروج على العدل وعلى الدين ان كان هذا الذي يكابده المجنون ويشكونه
 الى مثل العدل والدين القاضي سوار من العدل ومن الدين في شي* . نصف درهم
 يعجز عنها رجل وآخر يبلغ دخله ثلاثة ملايين درهم ؟ وآخر يشتري بطيون درهم مصاحف

(٣) الطبرى جم ٣ ج ٩ / ٤٤٠

(٤) مرج الذهب ٢٨٩ / ٦ - ٢٩٠

(١) المستطرف ١ / ١١٠

(٢) الاغانى ١٤ / ١١٦

ليوزعها (١) . قال شاعر في بغداد يعف الحال وسوء توزيع الاموال :

بغداد دار طيبها آخذ	نسيمها منسي بانفاسي
تصلح للموسر لا لا---	يبيت في فقر وفلاس
لوحلمها قارون رب الغنى	اصبح ذا هم ووسواس
هي التي نعهد لكتها	عاجلة للطاعم الكاسي
حور وولدان ومن كل ما	تطلبه فيها سوى الناس (٢)

اقطاع ونظام طبقات وبؤس يصوره ابوالعتاهية :

اني ارى الاسعار	اسعار الرعية غاليه
وارى المكاسب نـزرة	وارى الضرورة غاشيه
وارى غموم الدهر را	ثمة تمر وفاد يـه
وارى اليتامى والا را	مل في البيوت الخاليه
من بين راج لـم يـزل	يسمو اليك ورا جيـه
يشكون مجده باصوات	ضعاف عاليه
...	
من مقبيات جـوع	تمسي وتصبح طاويه
...	
من للبطون الجائعه	ت وللجـوم العاريه

ويختم شكواه يخاطب الخليفة :

القيت اخبارا اليك م من الرعية شافيه (٣)

فهو احساس الشعب بانه فقير بائس جائع محرم ، وليس له الا الصبر :

يحتاج باغي المقام بينهمو	الى ثلاث من بعد تتريب
كوز قارون ان تكون له	وعمر نوح وصبر ايـوب (٤)

(٣) الديوان ٣٠٤

(٤) معجم البلدان ٦٩١/١ - ٦٩٢

(١) مسالك الممالك ١٤٢

(٢) معجم البلدان ٦٩٣/١

أو الزهد لما فشا فيها من فسق فهي " ضيقة على المتقين ما ينبغي لمؤمن
 أن يقيم فيها " (١) . فلما قيل لبشر بن الحارث أن رجلاً صالحاً كالإمام أحمد
 بن حنبل مقيم فيها أجاب بمرارة : " دفعنا الضرورة إلى المقام بها كما دفعت
 الضرورة المضطر إلى أكل الميتة " (٢) . ويقول البغدادي أن غير واحد من السلف
 كان يكره الإقامة فيها ويدعو إلى مغادرتها . " وقيل أن الفضيل بن عياض كان لا
 يرى الصلاة في شيء من بغداد لأجل أنها عنده غضب " (٣) . وكان ينصح بالرحيل
 عنها : " لا تقم بها وأخرج عنها فإن أخرجهم مؤذونهم " (٤) . وعبد الله بن داود
 يقول بقطع صلة الرحم بمن أقام في بغداد ، فقد قال له رجل أن له فيها خالة فاجابه :
 " اقطعها قطع القاء " (٥) . وكان أحد الشعراء يقول :

الزم الثفر والتعبد فيه
 أن بغداد للصليح محـل
 ليس ببغداد مسكن الزهاد
 ومناخ للقاري الصياد (٦)

رأى منزل لعابد ذلك المنزل الذي يبيع فيه الخليفة لمخنت كاهن جامع شرب النبيذ ،
 ويأمر عامله أن يعفيه من الحد في ذلك ، وأن يأذن له بمহারشة الديوك والكلاب .
 فلما استنكر العامل مثل هذا الأمر المنافي للشرع بعدد إليه حامي الشرع ومنقذه ، خليفة
 الله ، شك في الكتاب فكان جزاءه العزل (٧) . وما لنا نلهم الرشيد في ذلك . ألم يرو
 لنا أبو الفرج أنه وإخاه موسى " كانا مستهترين بالنبيذ " (٨)

-
- | | |
|---------------------|---|
| (١) تاريخ بغداد ٥/١ | (٥) تاريخ بغداد ٥/١ |
| (٢) تاريخ بغداد ٥/١ | (٦) تاريخ بغداد ٦/١ ومعجم البلدان ١/١٩٠ |
| (٣) تاريخ بغداد ٥/١ | (٧) الأغاني ٣٠٤/٦ - ٣٠٥ |
| (٤) تاريخ بغداد ٥/١ | (٨) الأغاني ١٦٠/٥ |

وجاءت الفتنة بين الامين والمؤمن فكانت ضغنا على ابالة كما يقولون ، فقد
ولّي الامين ووكّل الامر الى محمد بن عيسى بن نهيك والى الهرش ، وانصرف الى
لهوه فطلب الخصيان والمهينين واجرى لهم الرواتب " ونافس في ابتياع فـره الدواب
واخذ الحووش والسباع والطير وغير ذلك وقسم ما في بيوت الاموال وما بحضرته
من الجوهر في خصيانه وجلسائه ومحدثيه وامر ببناء مجالس لمعزهااته " ،
وخمس حراقات كلفته احداها ثلاثة ملايين درهم (١) . وكان الغوغاء والفساق
من اتباع محمد بن عيسى يسلبون الناس ويعيشون في الارض فسادا فخرج من بغداد
من استطاع " وكان احدهم اذا خرج امن على ماله ونفسه " (٢) . وكثر الخراب
والحرق ورميت المدينة بالمنجنيق وتولى القتال " باعة الطريق والسرقة واهل السجون
والاوباش والطراريس واهل السوق فكانوا ينهبون اموال الناس " (٣) .
حدث ابن الاثير ان اصحاب الامين كانوا لا يكتفون بهدم الدار ودكها بل يعمدون
الى ابوابها وسقوفها فينتهبونها . (٤) فقال احد الشعراء :

لنا كل يوم ثلثة لانسها	يزيدون فيما يطلبون وننقص
اذا هدموا دارا اخذنا حقوقها	ونحن لاخرى غيرها نترسى
فان حرصوا يوما على الشرجهدهم	فغوغاؤنا منهم على الشراحرص

.

لقد افسدوا شرق البلاد وغربها علينا فما ندري الى اين نلخص
ولقد ذكر ابن الاثير ابياتا اخرى في البكاء على بغداد اثر تلك الحرب الاهلية
الطاحنة (٥) .

(١) الطبري ج ٣ ج ١٠ / ١٥١ - ١٥٢

(٢) ابن الاثير ١١٠ / ٦

(٣) ابن الاثير ١٨٩ / ٦

(٤) ابن الاثير ١٩١ / ٦

(٥) ابن الاثير ١٩٢ / ٦ . راجع ايضا ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ .

فتطوع جماعة من الصلاح لدرء هذا الفساد وصد الزعرة والشطار ونهجا
 نهجا عليا . تزعم حركة المقاومة هذه اثنان : احدهما يدعى خالد الدريوشي
 وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يرى الخروج على السلطان . والآخر مهمل
 بن سلامة الانصاري وتتلخص دعوته في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ايضا ،
 والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والدعوة الى قتال من يخالفه كائنا من كان (١) .

ويقول الطبري عن قيام جملة المقاومة هذه " . . . ان فساق الحربية
 والشطار الذين كانوا ببغداد والكرخ آذوا الناس اذى شديدا وظهروا الفساق
 وقطع الطريق واخذ الغلمان والنساء علانية من الطرق فكانوا يجتمعون فيأتون الرجل
 فيأخذون ابنه فيذهبون به فلا يقدر ان يمتنع عليهم . . . وكانوا يجتمعون فيأتون
 القرى فيكاثرون اهلها ويأخذون ما قد روا عليه من متاع ومال وغير ذلك ، لا سلطان
 يمنعهم ولا يقدر على ذلك منهم لان السلطان كان يعتز بهم وكانوا بطانته فلا يقدر
 ان يمنعهم من فسق يركبونه . وكانوا يجوبون السادة في الطرق وفي السفن وعلى
 الظهر ويخفرون البساتين ويقطعون الطرق علانية ولا احد يعدو عليهم . وكان
 الناس منهم في بلاء عظيم . ثم كان آخر امرهم انهم خرجوا الى قطرب فانتهبوها
 علانية واخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر والحمير وغير ذلك وادخلوها
 ببغداد وجعلوا يبيعونها علانية . وجاء اهلها فاستعدوا السلطان عليهم فلم يمكنهم
 تعديهم عليهم ، ولا يرد عليهم شيئا مما كان اخذ منهم وذلك آخر شعبان (سنة ٢٠١ هـ)
 فلما رأى الناس ذلك . . . وان السلطان لا يغير عليهم قام صلاح كل رضى وكل درب
 فمشى بعضهم الى بعض . . . (٢) .

(١) الطبري جم ٣ ج ١٠ / ١٠١٠ وابن الاثير ٦ / ٢٤٤ - ٢٤٥

(٢) الطبري جم ٣ ج ١٠ / ١٠٠٨ - ١٠٠٩

وكان سهل قويا في دعوته فكان لا يطلق على ابراهيم بن المهدي واخوته لقبا
 الا الفساق " لم يكن لهم عنده اسم غيره " (١) . وكان يقول بقتل من يخالفه
 على الاطلاق وهذد الناس " فمن بايعني على هذا قبلته ومن خالفني قاتلته " (٢) .
 ويقول ابن خلدون ان دعوة خالد وسهل قد لاقت تأييد الناس ونصرتهم (٣) .
 فكان الذي يجيب سهلا يشار الى بيته ببرج من جص وآجر وينصب عليه السلاح
 والمصاحف (٤) غير ان دعوتها لم تعمّر طويلا . فقد حبا . وسهل هذا جهز له
 ابراهيم بن المهدي عسكريا واسره وقضى على دعوته (٥) . ويقول ابن الاثير انه
 قتله واخفى ذلك حتى لا يعلم الناس مكانه فيخرجوه (٦) . ويبدو ان كثير من
 طلاب الرئاسة توسلوا الى ذلك بمثل دعوة سهل هذا " يأخذون انفسهم باقامة
 الحق ولا يعرفون ما يحتاجون اليه في اقامته من العصبية " (٧) . وان منهم
 المجنون والكذاب (٨) . ولكن ابن خلدون لا يشك في دعوة خالد وسهل بل يؤكد
 صدقها اذ يعزو سببها الى تفشي الفسق " فتوافر اهل الدين والصالح على منع
 الفساق وكف عاديتهم (٩) .

-
- (١) الطبري جم ٣ ج ١٠ / ١٠٢٣
 (٢) الطبري جم ٣ ج ١٠ / ١٠١٠
 (٣) ابن خلدون ١٤٠
 (٤) الطبري جم ٣ ج ١٠ / ١٠٢٣
 (٥) ابن خلدون ١٤٠ والطبري جم ٣ ج ١٠ / ١٠٢٤ - ١٠٢٥
 (٦) ابن الاثير ٦ / ٢٤٥
 (٧) ابن خلدون ١٤٠
 (٨) ابن خلدون ١٤٠
 (٩) ابن خلدون ١٣٩

ولكن حركة الزهاد لم تكن ايجابية ولا عنيفة بهذا القدر . ففي الحين الذي يجاهر فيه سهل الخليفة بالعدوان ترى الزهاد عاكفين على التنفير من شهوات الدنيا ولذا نذرها . وان من المخازي ما تذرعوها لعدو باعتزال الدنيا لا ينوهون بشره واثمه كما فعل بعض الشعراء في يحيى بن اكثم قاضي البصرة ايام المأمون مثلاً ، فقد كان منغمساً في الفواحش والموبقات حتى انتهته العامة بافساد اولادهم^(١) . ولكنها كانت على كل حال لونا من الوان الثورة على الفساد وضرباً من ضروب الاصلاح في اجتناد ومنهج مختلفين . لعلمهم يتسوا^٢ ففشلوا فلجأوا الى القناعة يروضون انفسهم عليها ، وقالوا اذا لم يكن ما تريد نارد ما يكون^٣ . ولم يزهدوا جميعاً نورعاً وانقلاباً من الفساد ، فقد كان منهم من رأى ان الشهوات سلسلة متصلة الحلقات ، وان النفس لا تكاد ترتوى من واحدة حتى تنظم الى الاخرى . فرؤا الخير كله في قمعها اصلاً . ومنهم من يتسوا من حب او عدموا عدمة عنيفة في منصب او جاه او مال فلم يجدوا الا الزهد يركنون اليه ويأمنون به ويتحلون به عما فقدوا^(٤) . ومنهم من تزهدوا تخففاً من تكاليف الدنيا والآخرة^(٥) كأبراهيم بن اسحق الحارثي الذي عاش اكثر عمره على الخبز اليابس والملح ، وكان لا يدخل داراً عليها بواب^(٦) .

كان هذا العصر حافلاً باصناف الزهاد هؤلاء . وكما كان بشار وابونوا من واضرا بهما يمثلون نزعة اللهو ويضرمون نارها ، كان ابو العتاهية يعبر عن نزعة الزهد ويروى غلّة الزاهدين^(٧) . فالى اى طوائف هؤلاء الزهاد ينتمي شاعرنا ابو العتاهية ؟ سنرى ذلك في نشأته وفي معالم الزهد في شعره .

(١) راجع مروج الذهب ٤٣/٧ - ٤٨
 (٢) ضحى الاسلام ١٣٧/١
 (٣) ضحى الاسلام ١٣٨/١
 (٤) ضحى الاسلام ١٢٨/١
 (٥) معجم الادباء ١٢٥/١ - ١٢٦
 (٦) ضحى الاسلام ١٢٨/١

- الفصل الثالث -

- ١ -

ابو العتاهية - معالم شخصيته

نسبه ونشأته :

ابو العتاهية كنيته ، اما اسمه فاسماعيل بن القاسم ، واما نسبه
فينتهي الى عنزة بالولاء من قبل ابيه ، والى بنى زهره من قبل امه
التي كانت مولاة لهم . وعتاهية لقب غلب عليه بعد ان دعاه به المهدي يوما ،
وهو يقال للرجل المتحذلق . قال الاصفهاني : " قال المهدي يوما
لابي العتاهية : انت انسان متحذلق ، معنّه ، فاستوت له من ذلك كنيسه
غلبت عليه دون اسمه وكنيته ، وسارت له في الناس . قال : ويقال للرجل
المتحذلق عتاهية ، كما يقال للرجل الطويل سناحية . ويقال : ابو عتاهية
باسقاط الالف واللام " (١) . وقيل بل لقب كذلك لانه كان يحب الشهرة والمجون
التعنه (٢) .

وتتلخص انباء نشأته التي بين ايدينا في انه ولد في بلدة تدعى "عين التمر"
قرب المدينة في الحجاز . ويقول ابن خلكان : " وقيل انها من اعمال سقي الفرات .

(١) الاغانسي ٢ / ٤

(٢) الاغانسي ٣ / ٤

وقال ياقوت الحموي في كتابه المشترك انها قرب الانبار، والله اعلم". (١)
 والراجع ان عين التمر في العراق هي مسقط رأسه "فانه نشأ في الكوفة والكوفة
 وعين التمر كلتاها من سفي العراق" (٢). يؤيد هذا قول ياقوت عنها فسي
 معجم البلدان انها "قريبة من الانبار غربي الكوفة . . .". (٣).
 ولا تختلف المصادر في انه نشأ نشأة فاسدة، وضيعة (٤). فقد كانت امه
 مولاة، وابوه بائع جرار أو كان حجاجاً (٥). وهذا اسمه - كما روى الاصفهاني -
 شاهد على فساد نشأته وعلى مجونه. وفي شعره اشارات كثيرة الى فضل التقى
 والعلم على الأطل والنسب. ففما لا شك فيه انه كان يحس بالضعة في اعماق نفسه.
 ولقد فطن لهذا كثير من ترجموا له، واستشهدوا على ذلك بقوله :

الا انما التقوى هو العز والكريم	وحبك للدنيا هو الفقر والمعدم
وليس على عبد تقي نقية	اذا صحح التقوى وان حاك او حجم (٦)

ولعل الابيات الاتية تصور نفسيته هذه خير تصوير :

دُعسي من ذكر ابا وجـ	ونسب يعلبك سور المجـ
ما الفخر الا في التقى والزهد	وطاعة تعطي جنان الخلـ
لا بد من ورد لاهل السـ	اماً الى ضحل واماعـ (٧)

(٥) الاغاني ٤ / ٤، ٥

(٦) الاغاني ٤ / ٥

(٧) الاغاني ٤ / ٥

(١) وفيات الاعيان ١ / ١٩٨

(٢) امراء الشعر ١١٣

(٣) معجم البلدان ٣ / ٢٥٩

(٤) الاغاني ٤ / ١

ابوان وضيعة ، ونشأة وضيعة ، ونفس تحس بالضعفة وتألم لهذا . واستمع الى رأى احد معاصريه في هذه النشأة الخاملة : " . . . اخبر يحيى بن خالد ان ابا العتاهية قد نسك ، وانه جلس يحجم الناس للاجر تراخيا بذلك . فقال : الم يكن يبيع الجرار قبل ذلك . فقيل له : بلى ، فقال : اما في بيع الجرار من الذل ما يكرهه ويستغني به عن الحجامة (١) .

اما تاريخ مولده فالمجمع عليه انه سنة مائة وثلاثين للهجرة .

اسرار

ولسنا نعلم عن حياته الخاصة سوى انباء قليلة عن اولاده . فلاصفهاني يروي انه " كانت لابي العتاهية بنتان . اسم احدهما " لله " والاخرى " بالله " فخطب منصور بن المهدي " لله " فلم يزوجه ، وقال : انما طلبها لانها بنت ابي العتاهية . وكأني به قد ملها فلم يكن لي الى الانتصاف منه سبيل . وما كنت لازوجها الا بائع خنز وجزار . ولكني اختاره لها موسرا .
وكان لابي العتاهية ابن يقال له محمد وكان شاعرا^(٢) . فهو يريد صهره بائع خنز او جزارا كما كان هو في نشأته ، ويريد موسرا لانه ذاق مرارة الفقر .

(۱) الاغانى ۸/۴

(۲) الاغانى ۸۸/۴

ولا ندرى اذا كان له ابنة ثالثة - تلك التي يتحدث عنها صاحب "معاهد التنصيص"
 ام انها احدى ابنتيه المذكورتين . فقد زعم ان ابا العتاهية قال لابنته "رقية"
 وهو في علته التي مات فيها ان تدبسه بابيات من الشعر^(١) . وليس هذا من الخطورة
 في حياته بحيث نتقصاه ، ولم نعرف في غير هذا الكتاب على ذكر لهذه الابنة المسماة
 "رقية" .

اما ابن المعتز فيوافق ابا الفرج في ما قال عن ابن ابي العتاهية ، ولكنه يضيق
 انه كان زاهدا ناسكا وقال " وكان مع ذلك شاعرا الا انه تخلص من الدنيا " (٢) . ويقول
 في موضع آخر انه كان "صحيح الدين ورعا ، وولي القضاء برهة " (٣) . وتجمع الروايات
 على ان ابنه كان شاعرا ، وتذكر لنا من شعره شيئا (٤) ، وانه كان ناسكا زاهدا " (٥) .
 ولم يرد ذكر لامرأته الا في "تاريخ بغداد" في معرض الحديث عن ابنه
 عتاهية " محمد بن ابي العتاهية لقبه عتاهية ، ويكنى ابا عبدالله ، واهه هاشمية
 بنت عمرو اليمامي مولى لمعن بن زائدة وكان محمد ناسكا زاهدا شاعرا " (٦) .

(١) معاهد التنصيص ٢/ ٢٩٩

(٢) طبقات الشعراء ٢٢٨

(٣) طبقات الشعراء ٣٦٤

(٤) راجع تاريخ بغداد ٢/ ٣٥ ، والشعر والشعراء ٢/ ٧٦٥ والموشح ٣٧٤ ، ٣٧٥

(٥) راجع الشعر والشعراء ٢/ ٧٦٥ وطبقات الشعراء ٢٢٨ وتاريخ بغداد ٢/ ٣٥

(٦) تاريخ بغداد ٢/ ٣٥

واذا كان لنا ان نستنتج من ذلك شيئا نربطه بنشأته ثم بنزعه الى الزهد فهو ان ما فاتته من شرف القسب في امه وابيه لم يواته في زوجته . فقد رأينا انه مولى ، وان اياه مولى ، وامه مولاة ، وهذه زوجته ابنة اب مولى . ومهما يكن من امر الروايات عن بخله (١) . ومبلغها من الصحة او المبالغة فانها تعكس جانباً من نفسيته التي اکتوت بنار الفقر والحرمان في مبدأ عمرها ، فهي تعرض بهذا الحرص والكتزما فانها من اقبال الدنيا ويسرها او تجد في هذا الحرص امناً بعد خوفها وقلقها الطويلين . وهذا يدخل في حساب زهده حين نمحّص دوافعه التي عزاها نفر من الباحثين الى كل شيء خلا الاحساس الصادق بالزهد .

عقيدته :

تباينت الآراء في عقيدة ابي العتاهية . وفي "الغانسي" "طعن صريح بها ، " كان ابو العتاهية مذبذباً في مذهبه ، يعتقد شيئا ، فاذا سمع طاعناً عليه ترك اعتقاده اياه واخذ غيره " (٢) . ويبسط الاصفهاني مذهبه فيقول " كان مذهبه ابي العتاهية القول بالتوحيد ، وان الله خلق جوهرين (٣) متضادين لا من شيء ، ثم انه بنى العالم هذه البنية منهما ، وان العالم حديث العين والصنعة لا محدث له الا الله ، وكان يزعم ان الله سيرد كل شيء الى الجوهرين المتضادين . . . ويتشيع بمذهب

(١) الاغانسي ١٦/٤ - ١٩

(٢) الاغانسي ٦/٤

(٣) المقصود هنا بالجوهرين المتضادين : الخير والشر .

(١)

الزيدية البترية المبتدعة وكان مجبراً " (٢) ومثل هذا ورد في كثير من الاصول (٣) . فالواقع ان معاصريه قد شكوا في عقيدته ولكننا لم نر لهم في ذلك حجة معقولة . فمنهم (٤) من اعتمد على قوله :

اذا ما استجزت الشك في بعض ما ترى فما لا تراه الدهر امضى واجـوز
وقوله :

يا رب لو انسيتهما وهــي في جنة الفردوس لم انسهما (٥)

(١) الزيدية : " فرقة نسبت الى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، تقصر الامامة على اولاد فاطمة ولا تجيز الامامة في غيرهم . والبترية طائفة منهم اصحاب كثير النوى الا بتر ، توقفوا في امر عثمان اهو مومن ام كافر ، وفضلوا علياً على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم " (الاغاني ٦ / ٤ الهامش . راجع الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٢٤٩ ، و ٢٦١) .

(٢) الاغاني ٥ / ٦ - ٦

(٣) راجع طبقات الشعراء ٢٢٨ ، ٢٦٤ ، وتاريخ بغداد ٢٥٣ / ٦ والشعر والشعراء ٢ / ٧٦٥ .

(٤) الشعر والشعراء ٢ / ٧٦٩ .

(٥) وردت في طبعة احمد محمد شاكر " انسا " بشكل طباعي يوحى بان حرفا قد سقط بين السين والالف ومراجعة طبعة ليدن اتضح انه سقط بالفعل حرف ، وهو هاء الضمير . فاعتمدنا هذه القراءة التي تتفق مع الوزن وسياق الكلام .

ومثلهم من احتج بأنه لا يذكر في شعره الجنة والنار ، وإنما يذكر الموت فقط ^(٢) . ولعل ابن المعتز كان من أشدهم اعتدالا وتوقفاً في الحكم عليه ، فقد قال : " ويرمى بالزندقة مع كثرة أشعاره في الزهد والمواظ ، وذكر الموت والحشر والنار والجنة والذي يصح لي أنه كان ثنياً " ^(٣) . ولكنه يروى عن علي بن اسحاق عن الفضل المبارك في موضع آخر أن أبا العتاهية كان " خبيث الدين يذهب مذهب الثنوية " ^(٤) . ^(٥) . و
يعدم أبو العتاهية المدافعين . فقد حدث رجاء بن سلمة فقال : " سمعت أبا

العتاهية يقول : قرأت البارحة " عم يتساءلون " ثم قلت قصيدة احسن منها . قال :
وقد قيل ان منصور بن عمار شنع عليه بهذا " (٦) . ويروى النسائي عن ابن ابي العتاهية
ان جارة لابي العتاهية وشتت به الى حمدويه صاحب الزنادقة فقد رآه يقنت ذات ليلة
فرعمت انه يكلم القمر . فبات حمدويه في منزلها يرقبه فراه يهلي ولم يجد عليه مأخذا .
ويعقب الراوى على القصة بحماسة المنتصر للحق يعرض بحمدويه العتي الشديدا بقوله " وانصرف
حمدويه خاسئا " (٧) .

ومن الطبيعي ان يرد ابرو العناهية على هذه التهمة . فقي "الاغاني" "انه
قال : زعم الناس اني زنديقي . والله ما ديني الا التوحيد . فقلنا له ، فقل شيئا
نتحدث به عندك فقال :

(١) راجع الشعر والشعراء ٧٦٩ / ٢

(۲) الاغانى ۳۴ / ۴

(٣) طبقات الشعراء ٢٢٨

(٤) المقصود بالثنوية "هؤلاء اصحاب الاثنين الأتريبيين يزعمون ان النور والظلمة ازليان قد يمان ، بخلاف المجوس فانهم قالوا بحدوث الظلام . . . " (راجع الملل والنحل للشهرستاني ٧٢/٢)

واى بنى آدم خالـد
وكل الى ربه عائـد
ـ ام كيف يجده جاحـد
تدل على انه واحد " (١)

الا اننا كلنا بائـد
وبدؤهم كان من ربـم
فيا عجباً كيف يعصي الالـ
وفي كل شيء له آيـة

ولا يصح عندي ، ان يعتبر هذا الشعر تنبيها للتهمة . فقد يكون ابو العتاهية
وضعه خصيما وزعم ان آراءه فيه من صلب عقيدته ليبراً من تهمة الزندقة التي كان حسابها
عسيرا يومذاك . ولكني لا أؤيد التهمة وان يكن الرأي الحدِيث آميل الى الطعن فسي
اسلامه بناء على معان ظن انها تدل على الاثنينية^(٢) في شعره وعلى الزهد - وهو من
مبادئ المانوية -^(٣) ، فان الاخذ بهذا الرأي فيه كثير من التجنسي على الرجل ،
ولا يصح قبل تحييد دقيق لهذا الشعر ولمذهب الاثنينية .

(١) الاغانسي ٣٥ / ٤

(٢) الاثنينية مذهب المجوس الذين يقولون بالنور والظلمة كاصليسن " اثنين مدبرين
قد يمين ، يقتسمان الخير والشر والنفع والضرر والصلاح والفساد . ويسمون احدهما
النور والثاني الظلمة " (راجع الملل والنحل للشهرستاني ٦٠ / ٢)

(٣) يقول الشهرستاني عن المانوية انها المذهب المنسوب الى مانسي
الذي كان يرى ان العالم مصنوع من نور وظلمة وانهما ازليان . وانكر
وجود شيء من غير اصل قديم . وعنده ان النور والظلمة قوتان متضادتان .
ومن تعاليمه انه " فرض العشر في الاموال ، والهلوات الاربع في البيم والليلة ،
والدعاء الى الحق ، وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والبخل والسحر وعبادة
الاوثان . . . " (انظر الملل والنحل ٧٢ / ٢ - ٨١)

وبناء على انه لا يذكر البعث في شعره ، ولا يؤمن إلا بما تقع عليه الحواس . كل هذا من مظاهر الضعف في مذهبه كما يرى بعض الباحثين (١) . إلا ان " بروكلن " يرى " ان ما قيل عن ابي العتاهية انه لا يذكر البعث في شعره ، ولا يتكلم إلا عن الموت قول لا يستند الى اصل " (٢) . وقريب من هذا الرأي ما يقوله " نكلسون " من ان تفكير ابي العتاهية يخلو من الكفر الصريح . بيد ان في شعره نزعة فلسفية لا تتفق ولا تعبر عن المفهوم الديني الاسلامي . وكان هذا كافيا لان يعده معاصروه من العلماء ملحدًا . ويقول ايضا ان في شعر ابي العتاهية بالرغم من كل ما يقال فيه ، معاني اسلامية كالبعث والحساب ، ويستشهد بقصيده " لدوا للموت . . . " (٣)

(١) الصراع بين الموالي والعرب ١٨

(٢) ورد هذا الرأي في " الصراع بين الموالي والعرب " ١٨

(٣) - . 299 A Literary History of the Arabs , Nicholson

وقد تبين لنا من مطالعة شعر ابي العتاهية ان " بروكلن " محق في ما ذهب اليه . فالواقع ان في شعر ابي العتاهية ذكرا صريحا للبعث من ذلك قوله :

وما هي إلا رقدة غير انها	تطول على من كان فيها الى الحشر (الديوان ١٠٠)
و	
افنيت عمرك باغتـرارـك	ومناك فيه وانتظـارـك
ونسيت ما لا بد منه	وكان اولـى باذكـارـك
لك ساعة تأتيك مـنـ	ساعات ليلك او نهـارـك
أأخي فاذا خرمـا استطـعـت	ليوم يؤمـك وافـتقـارـك
فلتنزلـن بمنـزلـ	تحتاج فيه السـ اذ خـارـك (الديوان ١٢٦)

فلو كان هول الموت لا شيء بعده	لهان علينا الامر واحترق الامر
ولكنه حشر ونشر وجنـة	ونار وما قد يستطيل به الخبر (الديوان ١١١)

و	
الا للموت كأس اى كـأس	وانت لكأسـه لا بد حـاسـ
الى كم والمعـاد الى قـرب	تذكر بالمعـاد وانت نـاسـ (الديوان ١٣٠)

لـهـبـت من الدنيا فكيف تغرنـا	ام كيف تخذع من ثناء فينخدع
والمرء يوطنها ويعلم انـه	عنها الى وطن سواها منقلـع (الديوان ١٤٨)

ولكن "فايدا" يستدل انه اثبتني من ارجوزته التي اعتمد منها على هذه الابهات :^(١)

واوسط واصغر واكبر	لكل شيء معدن وجوه
وساوس في الصدر منه تعتلج	من لك بالمحض وكل منتزج
اصغره متصل باكبره	وكل شيء لاحق بجوه
ممزوجة الصغرى بالوان القذى	ما زالت الدنيا لنا دار اذى
لذا نتاج ولذا نتاج	الخير والشر بهما ازواج
يخبث بعض ويطيب بعض	من لك بالمحض وليس محض
خير وشر وهما ضدان	لكل انسان طبيعته
بيها بون بعيد جدا	والخير والشر اذا ما عدا
الصمتان ضاقي الكلام اوسع	كذا قضى الله كيف احسنه

... "الخير والشر والصفو والكدر والمحض والمنتزج وما يتولد من المعاني التي ترجع الى النور والظلمة اللذين تدين بهما المانوية والمزديكية"^(٢) ثم يترك الفصل في الحكم على ابي العتاهية ويقول "اننا لا نعلم اكان ابو العتاهية موحدا فاخذ نظرة الاثنينية من المانوية ليستعين بها على توضيح العالم في وجهتي الخير والشر حيث تنوء احيانا

(١) الصراع بين الموالي والعرب ٩٨-٩٩ راجع الارجوزة في ديوانه صفحة ٣٤٦
 (٢) يقول الشهرستاني ان المزدكية مذهب مزدك . وهو يشبه مذهب ماني في ان الكون قوامه النور والظلمة . ولقد احل مزدك النساء والاموال " وجعل الناس شركة فيها كما شتركهم في الماء والنار والكلاء " اعتقادا منه ان الاموال والنساء مصدر كل خصومة وعداوة ، فاشاعتها بين الناس تعني اشاعة اسباب التوافق والتواد والقضاء على بواعث النفرة والشقاق (راجع الملل والنحل ٨٣/٢ - ٨٩) .

بالآلام واخرى تسرب بالمباهج . ام ان توحيدهم كان قناعا يتستر به لنشر مبادئ المانوية كما هي طبيعة اهل هذه النحلة ^(١)، وهو ما ذهب اليه "ماسينيون" الذي اتهم بهذا التستر ^(٢) .

ويعد الدكتور عبد الرحمن بدوي ابا العتاهية من الشعراء الزنادقة ، ويحتج برأى "فايدا" الذي اشرنا اليه آنفا ^(٣) . وليس في مقدورنا ان نفصل هنا في هذه القضية الشائكة التي تباينت فيها آراء القدامى والمحدثين على السواء ، أدباء وباحثين واشتطت احيانا كثيرة . ولكن يلوح لي ان شعر الرجل قد حمل فوق ما ينبغي ، وان تاريخه الديني الذي لم يكن ليوحي بالتقوى والورع هو الباعث على هذا الشرك كله . ولا ننسى بهذه المناسبة أن ابا العتاهية مولى من اصل فارسي . وهذا يلقي بعض النور على ما غمز في عقيدته من مبادئ دينية قد ترجع في اساسها الى الفرس .

شعره وشاعريته :

وفي بغداد انتهج شاعرنا نهجا جديدا : ا طرح رداء الخمول واقبل على الشعر يتوسل به الى قصور الخلفاء والوجهاء . ولقد كان له من هذا الشعر الذي سنرى بعد قليل انه حاز اعجاب الكثيرين من معاصريه وغير معاصريه - خير عون على الوصول الى البلاط العباسي حيث نال الحظوة والرعاية اللتين اسبغهما عليه . ذلك المديح الذي كان ينثره على الخلفاء والوجهاء ، فانارتا حفيظة كثيرين عليه وحسد هم ،

(١) راجع هذا الرأي في كتاب "الصراع بين الموالي والعرب" ١١

(٢) راجع "الصراع بين الموالي والعرب" ١١

(٣) انظر كتاب "من تاريخ اللاحاد في الاسلام" ٣٨

فذاق مع طعم المال والجاء طعم الحسد والوشايات • ويبدوا انه بالرغم من ثقافته المحدودة (١) ، استطاع بشعره ان يشق طريقه في زحمة الحاسدين والواشين ، وان يجعل لنفسه مكانة مرموقة الجانب • ولم يكن سلاحه في هذا الا شعره الذي فتح له ابواب القصور والقلوب • وشهادات كبار الادباء في هذا الشعر لا تخرج نسي فحواها عن الاعجاب والتقدير • فالواقع ان الرجل كان شاعرا بطبعه • قال الجاحظ :

” سمعت ابا العتاهية يقول : لو شئت ان يكون حد يثي كله شعرا موزونا لكان . . . ” (٢)

وكانت لسه اوزان ابتكرها - على ما يروون - لا تدخل في العروض • ولما سئل ذات مرة :

” هل تعرف العروض ؟ ” اجاب اجابة الحائق على ماضيه التائر على نقصه القديم ، العدل بالقوة الجديدة التي اوتيتها ” انا اكبر من العروض ” (٣) • وقال ذات مرة :

” لو شئت ان اجعل كلامي كله شعرا لفعلت ” (٤) • ولقد وصف قدرته على النظم وصفا جميلا بليغا ، فيه ذلك الادلال بهذه القوة السحرية المحدثه فيه : ” ما اردته قط الا مثل لي فاقول ما اريد واترك ما لا اريد ” (٥) •

وواضح انه كان قادرا على النظم ، حاضر البديهة والحواسله ” . . . اطيع الناس يشار والسيد (المقصود هنا السيد الحميري) وابو العتاهية • وما قدر احد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرة • وكان غزير البحر ، لطيف المعاني ، سهل الالفاظ ، كثير الاقتنان ، قليل التكلف ، الا انه كثير الساقط المزدول مع ذلك • واكثر شعره في الزهد والامثال ” (٦) •

(٤) الاغاني ١٣/٤

(٥) الاغاني ١٣/٤

(٦) الاغاني ٢١١/٤

(١) الاغاني ٨١/٤

(٢) البيان والتبيين ١١٥/١

(٣) الاغاني ١٣/٤

وهذه القدرة العجيبة على النظم (التي شهد لها امثال ابي نواس وشار والجاحظ وابي تمام (١) ، وابن المعتز (٢) ، والمسعودي (٣) ، وغيرهم كثيرون (٤) ، والتي حملت آخرين على التعصب له كالرشيد نفسه) هي نفسها علّة ما اخذ على هذا النظم من غثاثة . حدّث المرزباني قال : " سمعت اسحاق بن ابراهيم الموصلي يقول : أنكر الرشيد عليّ طعني على ابي العتاهية في شعره . فقلت : يا امير المؤمنين هو اطبع الناس ولكن ربما تحرق . اى شيء من قوله :

هو الله هو الله ولكن يغفر الله " (٥)

ويقول المرزباني في موضع آخر من الكتاب بسند عن المبرد : " كان ابو العتاهية مع اقتداره في قول الشعر وسهولته عليه يكثر عثاره وتصاب سقطاته . وكان يلحن في شعره ، ويركب جميع الاعارض . وكثيرا ما يركب ما لا يخرج من العروض اذا كان مستقيم الهاجس فمما اخطأ فيه قوله . . . " (٦)

ولعل اجمع وصف ، واعدل حكم ما قاله الاصمعي : " شعر ابي العتاهية كساحة الملوك ، يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى (X) .

وفي "مروج الذهب" انه خرج عن العروض المعروفة في مثل قوله :

همّ القاضي بيت يطرب
ما في الدنيا الا مذنب
قال القاضي لما عوتب
هذا عذر القاضي واقلب

وزنه فعُلُنْ فعُلُنْ اربع مرات . وقد قال قوم ان العرب لم تقل على وزن هـ ذا

-
- (١) راجع الاغاني ١٥ / ٤ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٧١ ،
٩٨ ، ٨٢ ، ٧٢ .
(٢) طبقات الشعراء ٢٢٩
(٣) تاريخ بغداد ٢٥١ / ٦ ، ٢٥٩ ، الاغاني ١٠ / ٤ ،
٨٢٦٣٢ البيان والتبيين ٥٠ / ١
(٤) الموشح ٢٦٢ . راجع ٢٥٥ - ٢٥٧
(٥) الاغاني ٤٠ / ٤
(٦) مروج الذهب ٢٤٥ / ٦ و ٨٧ / ٧

” كأنه نظر الى القصار اخذ ثوبا بعد ثوب، فتشبهه بأخذ الموت انسانا بعد انسان
واخذ الوزن من وقع الكد يسـ (٢)

هي الدنيا اذا كُلت
وتفعل في الذين بقوا

وتنم سرورها خذلت
كما فيمن مضى فعلت

(الديوان ٥٢)

و
سبحان من يعطي بغير حساب
ومدبر الدنيا وجاعل اهلها
يا نفس لا تتعرضي لعطية
يا نفس هلا تعلمين فاننا
ملك الملوك ووارث الارباب
سكننا ومنزل عيث كل صاحب
الاعطية ربك الوهاب
في دار معتمل لدار ثواب
(الديوان ٣٠)

ولقد تحرينا وجه التجديد في هذه الابيات ، ورجعنا الى كتب العروض ، فرأينا ان التجديد في البيتين الاولين " هم القاضي " . . . " ما هو الا اللجوء الى الخبن في " فاعِلُنْ " ، اى حذف الحرف الثاني الساكن ، فصار الوزن : " فَعِلُنْ " - بكسر العين - ، ثم الاضمار ، اى اسكان الحرف الثاني المتحرك منه ، فصار الوزن : " فَعُلُنْ " - اسكان العين - . اما الخبن في بحر المتدارك الذى نظم فيه ابو العتاهية هذين البيتين فليس جائزا نحسب ، ولكنه كذلك من اجزاء هذا الوزن المألوفة . واما الاضمار فجائز عامة ومستحسن في هذا البحر خاصة . واما البيت " المنون مفتيات " . . . " فقد جعل ضرب عجزه (وهو من بحر الرمل) على وزن " فاعِلُنْ " بدلا من " فاعلاتن " فلعل تطويعه الوزن على هذا الشكل ، واستعاضته بهذه الجوازات العروضية ، وحسن توفيقه في اخراج كل ذلك باسلوب سهل مغاير لاسلوب القدامى التقليدى هو الذى حمل القدامى على وصفه بالتجديد في الشعر واستحداث الالوان .

1. _____

يهدوان حبـه المشهور لعتبة ليس اول حبـه بدليل ما ورد في كتاب الأغاني ”
من انه احب في حدائته نائحة اسمها سعدى كانت مولاة لمعن بن زائدة ، وان ابن
معن عبد الله تهدده ونهاه ان يعرض لها (١) . ويقول العباسي ان ابا العتاهية كان

"مولعا بالنساء" ويذكر انه احبّ سعدى هذه ويورد بعض شعره فيها (١) .
والغريب ان الاصفهاني الذي افرد له في "الاغاني" صفحات طويلة (٢) لم
يعرض لحبه الا بالذكر العابر السريع . وقد قال في مقدمة كلامه عنه "ذكر
نسب ابي العتاهية واخباره سوى ما كان منها مع عتبة فانه افرد لكثرة الصنعة
في تشبيهه بها ، وانما اتسعت جدا فلم يصلح ذكرها هنا لئلا تنقطع المائة
صوت المختارة وهي تذكر في موضع آخر ان شاء الله تعالى" (٣) ، ثم قال
في خاتمة كلامه عنه "ولم اذكرها ~~لأنها~~ مع اخبار ابي العتاهية اخبار مبع
عتبة ، وهي من اعظم اخباره لانها طويلة وفيها اغان كثيرة . وقد طالت اخباره
ها هنا فافردتها" (٤) . ولكنه لم يفرد لها الا اذا كان يقصد بذلك ما بقى
في ثنايا الاجزاء الاخرى من ابیات في معرض حديثه عن صوت من الاصوات او مغن
من المغنين وكل ذلك لا يؤولف بالمجموع ما وصفه بالاخبار الطويلة المهمة ، ولا
يعد والاشارة العارضة (٥) .

(١) معاهد التنقيص ٢/٢٩١ . والجدير بالذكر ان ديوانه الذي بين ايدينا وهو
النسخة الوحيدة المطبوعة منه لم يذكر له شيئا من الغزل . ومثل هذا الشعر
يجده الباحث في "تاريخ بغداد ٦/٢٥٦ - ٢٥٧" ، "زهر الآداب" ٢/٣٥ -
٣٦ ، "مروج الذهب" ٦/٢٤٦ - ٢٤٨ ، و٧/٨٣ - ٨٧ ، الخ . . .

(٢) الاغاني ٤/١١٢

(٣) الاغاني ٤/١

(٤) الاغاني ٤/١١٢

(٥) الاغاني ٥/١٦٢ - مثلا . ويكاد يكون ثابتا ان كتاب "الاغاني" الذي

بين ايدينا لم يكمل بعد . ولعلها اخباره مع عتبة في الجزء الذي لم يعثر
عليه بعد . وليس هذا ببعيد ، فان ابا الفرج ذكر في مناسبات عن عزمه الكلام
عن ابي نواس ، ثم لم نجد في ما بين ايدينا من الاغاني شيئا من ذلك . وانه
لاحتمال بعيد ان يغفل ابو الفرج عن مثل ابي نواس .

مهما يكن من امر فقد اقربا بوالفرج بشيئين مهمين في هذا الحب : المكان الذي شغلته من انباء شاعرنا ، وكثرة المنفعة فيه . ولو شئنا ان نستيق الحوادث ونجور على ابي العتاهية قبل ان نستقوي الوقائع لقلنا ان ابا الفرج يدب فيه ويكذب حبه الذي يتصنعه ويتكلف فيه الشعر . وحكم ابي الفرج هذا جاهر به الحصري بعد ذلك بنحو قرن فقال في " زهر الآداب " ان حباي العتاهية هذا كذب كله " وكل ذلك فيما زعم الرواة تصنع وتخلق ليذكر بذلك " (١) . ثم جاء الخطيب البغدادي يؤيد رأي الحصري ويقول نقلا عن ابن ابي العتاهية " اقبل ابي يمدح المهدي ويجتهد في الوصول اليه ، فلما تعادلت ايامه احب ان يشهر نفسه بامر يصل به اليه ، فلما بصر بعتبة راكبة في جمع الخدم تتصرف في حوائج الخلافة ، تعرض لها وامل ان يكون تولعه بها هو السبب الموصل الى حاجته ، وانهمك في التشبيب بها والتعرض في كل مكان لها ، والتفرد بذكرها ، واظهار شدة عشقها " (٢) .

وهذه الشهادة ان صحت - وليس في سياق حبه هذا ما يكذبها كما سنرى - ففيها كل الدليل على كذب حبه . ولنصغ الى البغدادي بقصصنا هذه القصة عن حب شاعرنا لعتبة ندرك ان هذا الحب لم يكن اكرم من دور تمثيلي - اتقنه ابا العتاهية كل الاتقان حتى تفحصه : " . . . قلت لابي العتاهية يا ابا اسحاق حدثني بقصتك مع عتبة فقال لي : احدثك ، قدمنا من الكوفة ثلاثة

(١) زهر الآداب ٢٠ / ٢

(٢) تاريخ بغداد ٦ / ٢٥٦

فتيان شبابا ادباء ، وليس لنا ببغداد من نقصده ، فنزلنا في غرفة بالقرب من الجسر ،
فكنا نبكر فنجلس في المسجد الذي بباب الجسر في كل غداة ، فمرت بنا يوما امرأة
راكبة معها خدم سودان ، فقلنا من هذه ؟ قالوا : خالصة ، فقال احدها :
قد عشقت خالصة ، وعمل فيها شعرا ، فاعناه عليه ، ثم لم نلبث ان مرت اخرى
راكبة معها خدم بيضان ، فقلنا من هذه ؟ فقالوا عتبة ، فقلت قد عشقت عتبة ،
فلم نزل كذلك في كل يوم الى ان التأمت لنا اشعار كثيرة ، فدفع صاحبي بشعره الى خالصة ،
ودفعت انا بشعري الى عتبة ، والحننا الحاحا شديدا ، فمرة تقبل اشعارنا مرة نظرد . . .
وانما اردت ان اشرف بولائها . . . (١) . وهكذا اعترف ابو العتاهية بانه لم يعشق
عتبة ولكنه تصنع حبها عبثا او ادلا لا بمقدرة ، او تزجية لوقت ، واقر بانه اكتب على
الشعر يقرضه فيها وينظمه جميعا حتى تم دفعه اليها . وهكذا كان حبه " جاهزا "
او " تحت الطلب " - بلغة البائعين - ا ولكن الروايات لا تقطع بكذب هذا الحب .
حتى البغدادى نفسه يتم هذه القصة التي يرويها ابو العتاهية عن نفسه فيصف لحاقه
بعتبة ذات يوم واغراه له بالمال حتى لا يعرض لها " . . . فقلت جعلت فداك .
ما اصنع يعرض من الدنيا وانا لا اراك . وانك لتبطلين يوما واحدا عن الركوب فتضيق
بي الارض بما رحبت ، وهي تأبى الا ذكر المال حتى جعلت لي الف دينار ، فابيت وجاذبتها
مجانبة شديدة ، وقلت لو اعطيتني جميع ما يحويه الخليفة ما كانت لي فيه حاجة وانا
لا اراك بعد ان اجد السبيل الى رؤيتك " (٢) .

(١) تاريخ بغداد ٦/٢٥٤-٢٥٥

(٢) تاريخ بغداد ٦/٢٥٥

والمصادر الاخرى لا تشك في هذا الحب ^(١) ، وان كانت رواية المسعودى في "مروج الذهب" وهي على عهدة راويها الذى نقل عنه المسعودى ، تكاد ترجح الشك فيه . فقد روى المهدى هم بان يدفع الى ابي العتاهية عتبة ، فتوسلت اليه بخدمتها وحققها عنده ان يستبقها من "بائع جرار مكتسب بالشعر" ، وان المهدى رقى قلبه لها ، فاسترضى ابا العتاهية بملء برنية من ذهب ، فخرج يجادل الكتاب "يقول انما امرلي بدنانيرهم يقولون له المال داهم" . فلما رآنه عتبة كذلك قالت " اما لو كنت عاشقا لعتبة لشغلت عن تمييز العيين (الذهب) من الورق (الفضة) " ^(٢) . ولكن المسعودى يذكر روايات اخرى يستشف منها انه كان صادق الحب . وان كان منها السخيف التافه كاحتياله عليها وتكرهه ليظفر بتقبيل يدها وما الى ذلك ^(٣) .

واراني اميل الى الطعن في هذا الحب لاسباب منها :
 ١ - انباء هذا الحب جميعا لا توحى بقصة غرام عنيف . بل لا توحى بقصة غرام اصلا . فهي قليلة الا ، ثم غشة ، جامدة الروح ، تتكرر في الاصول جميعا .
 ٢ - اشكال وقالب شتى . وآثار هذا الحب - لو صدق - معدومة في حياة شاعرنا . ولا محتمل لهذا الغرام ، لو صح ، ان يطبع حياة ابي العتاهية بطابع خاص بنبي .
 عنه نبأ من انبائه ، ولكن انباء كلها في ذلك سواء .

(١) راجع الموشى ٥٤/١ مثلا

(٢) مروج الذهب ٢٤٠/٦ - ٢٤٤ وفيات الاعيان ١١٩/١

(٣) مروج الذهب ٢٤٨/٦ - ٢٤٩ ، تاريخ بغداد ٢٥٤/٦ - ٢٥٥

٢ - في رواية أبي العتاهية نفسه عن حبه لها وحب زميلها لخالعة ، وفي رواية ابنه - وهما راجدان عندي لجميع قرائن هذا الحب - ما يؤكد بطلان عشقه .

٣ - لو فرضنا انه كان متيماً معموداً ، فبسم نفس خلو غزله (وهو الشاعر البارع المطبوع) من الحرارة والعاطفة ؟ واى شيء من صدق الحب واضطراب العاطفة قوله :

راعني يا زبد صوت الخراب	بحذاري للبين من احبابي
يا بلائي ويا ثقل احسا	لبي وتعمي لطائر نعباب
افصح البين بالنعيب وما	لي في نعيه بالايــاب
فاستهلت مدا معي جزعا من	بد مع ينهل بالتمكــاب
ومنعت الرقاد حتى كأنني	ارمد العين او كحلت بهــاب
قلت للقلب ان طوي رحــل	لهواه البعيد بالانــاب
انت مثل الذي يفر منــن	حذار الندي الى الميــاب (١)

معان ترصف ، وكلمات ترص : جسم بلا روح . وإذا قلنا انها ابيات في سعدى وليست في عتبة التي ملكت عليه لبه كما شهر عنه ، والتي خاض في امرها وامره الرواة حتى ألفوا فيما ألفوا من كتب العشق " كتاب ابي العتاهية وعتب " (٢) ، فلنصغ اليه يقول في عتبة :

يا عتب مالي ولك
ملكني فانت هك
ابيت ليلي ماه را
مفترا حمر الغضبي

يا ليتني لـم ارك
ما شلت ان تشهك
ارعى نجم القـمـك
ملتحن بالحمـك (٢)

(۱) تاریخ بغداد ۲۵۶/۶

(٢) الفهرست ٣٠٦ - ٣٠٧

(٣) مروج الذهب ٧ / ٨٤

زهرة منورة ولكن لا عبق فيها ولا اريج • واحاسيس عادية رخيصة •

اخلاى بي شجو وليم بكم شجو
رأيت الهوى جمر الغضى غير انه
اذاب الهوى جسي وعظمي وقوتي
وما من حبيب نال ممن يحبه
واني لنائي الطرف من دون خلتي
لها دون اخواني واهل مودتي
او •

من لم يذق لعصابة طعمها
اني منحت مودتي سكها
يا عتب ما ابقيت من جسمي
يا عتب ما انا من صنيعك بي
ان الذي لم يدر ما كلف
فلقد احطت بطعمها علمها
فرايته قد عدها جرمها
لحما ولا ابقيت لسي عظمها
اعنى ولكن الهوى اعنى
ليرى على وجهي به وسمها (٢)

والشاعر العاشق قد يعدم كل وسيلة يبت بها عشقه الا شعره • فاين العاطفة

واين العشق في هذا الشعر، بل النظم ؟ وبعد ، فليس ببعيد ان يكون هذا
الحب وسيلة تدرع بها ابوالعناهية لبشهر وتفتتح له ابواب الخليفة • فقد سمعنا
قول ابنه قبل قليل ان اباه ابتغى بحبه لعبه - وقد رأى منزلتها في قصص
المهدي - ان يبلغ اهدافه البعيدة • وليس مما يجافي المنطق في شيء ان يزعم زاعم
انه قصد من وراء هذا الحب المزيف اثاره ضجة حول اسمه ليشهر ويعرف • ونحن نعلم
ان ملته بالخلفاء بدأت بالمهدي ، اول ما بدأت ، بعد ان توجه الى بغداد ، وان عتبة

(١) مرجع الذهب ٧ / ٨٤-٨٥

(٢) مرجع الذهب ٧ / ٨٦-٨٧

هذه جارية المهدي الاثيرة عنده . وفي "زهر الآداب" ان المهدي غضب
لما بلغه ان ابا العتاهية يشبب بعتبة فصره مائة سوط وقال "أبسي
يتمرس ولحرمي يتعوض وينسائي يعبث ؟ ونفاه الى الكوفة" (١) وقد قال المسعودي
قبله شيئاً بهذا المعنى : " وذكر جماعة من حملة الآثار والناقلين للاخبار
ان ابا العتاهية لما اكر تشبيبه بعتبة جارية الخيزران شكته الى سيدتها ما
يلحقها من الشناعة . ودخل المهدي وهي تبكي بين يدي سيدتها فسألها عن
خبرها فاخبرته فامر باحضار ابي العتاهية فادخل اليه . فلما وقف بين يديه
قال له انت القاتل في عتبة :

الله بيني وبين مولائي أبدت لي الصد والملاعات
وهي وصلتك حتى تشكو صدها عنك ؟ قال : يا امير المؤمنين ما قلت ذاك . بل
انا الذي اقول . . . ثم سأله عن اشياء ، فأفحم ابا العتاهية في الجواب ، فجلبد
نحوه من حد . واخرج مجلوداً فلقيته عتبة وهو على تلك الحال فقال :
بخ بخ يا عتب من اجلكم قد قتل المهدي فيكم قتيلاً " (٢)
وفي الاغانى " انه حبس بسبب تشبيبه بها (٣) . و ابا العتاهية يعترف بمكانة
عتبة من المهدي لما شبب بها بقوله :
الا ان ظبياً للخليفة صانني وما لي على ظبي الخليفة من عدوى (٤)

(١) زهر الآداب ٣٦/٢ - ٣٧

(٢) مروج الذهب ٢٤٠/٦ - ٢٤٣

(٣) الاغانى ١٦٢/٥

(٤) زهر الآداب ٣٦/٢

ونحن نعلم انه كان مولعا بالنساء ^(١) . فلم لا يكون هذا الحب صبوة ، او نزوة شاب
ابتغى به المتعة والشهرة معا ؟ ولا يفوتنا في هذا المقام ان ننوه بيد الرواة التي
عملت عملها وحاكت كثيرا في اخبار حبه حتى وصلتنا مضخمة بهذا الشكل .

زهد زهد و آخر امـره :

ونأتي الآن الى تزهد الذي تباينت فيه الآراء . ولن نفيض في الكلام عنه
هنا ، لان موضع ذلك فصل خاص تال . وحسبنا حتى نستقيم صورته في اذهاننا ، ان
نشير الى انه ختم حياته بالنسك . وليس هذا محل خلاف . فهو امر مفروغ منه .
ولكن الخلاف في صدق هذا النسك وفي دوافعه . فمن الناس من رده الى فضله
في حبيعية ^(٢) . وسنرى في بحثنا عن زهده ان هذا تأويل خاطي . ما دام هـذا
الحب مشكوكا في صدقه . ومنهم من زعم انه رأى في مناه آتيا اتاه فلامه على قوله
في عتبة :

الله بيني وبين مولائي ابدت لي المـد واللامـات

وقال : " ما اصبحت احدا تدخله بينك وبين عتبة يحكم لك عليها بالمعصية الا الله
تعالى ؟ فانتبهت مذعورا وتبت الى الله تعالى من ساعتني من قول الغزل " ^(٣) .
ولكنه لم يتبع قول الغزل . فقد قاله بعد ان حبه الرشيد وضربه عقابا له
على تركه اياه ^(٤) . ثم ان هذه الرواية واهنة ، واضحة فيها الصنعة .

(٣) تاريخ بغداد ٦ / ٢٥٨

(١) معاهد التنصيص ٢ / ٢٩١

(٤) الاغانى ٤ / ٦٣-٦٤

(٢) مروج الذهب ٦ / ٣٣٣-٣٣٦

وليس في الاصول اشارة معقولة تعلل زهده ، تخرج في فحواها عن مثل هذه

الاشارات . ولكن الشك في هذا الزهد قديم . فسلم الخاسر يعده رياء ويقول فيه :

ما اقبح التزهيد من واعظ	يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقا	اضحى وامسى بيته المسجد
ورفض الدنيا ولم يلقها	ولم يكن يسعى ويسترفد (١)

اذن نابو العتاهية لم يرفض الدنيا شأن الزاهدين . ولكنه ظل متمسكا بها ،

مقبلا عليها . وقد قال المعري متهمًا :

الله ينقل من شـا	رتبة بعد رتبة
ابدى العتاهي نسكا	وتأبعن حبيبته (٢)

فنشأت العاجنة وتمسكه بالدنيا (يمثل هذا في حرصه وبخله وتكثبه بشعره)

جميع هذا حمل نفرا من الباحثين على الشك في زهده .

وفاته : _____

بقي ان نقول كلمة حول وفاة ابي العتاهية . والروايات جميعا لا تذكر

سببا خاصا لموته ، مما يحمل على الظن انه مات ميتة طبيعية . انما هناك خلاف

يسير حول تاريخ هذه الوفاة . وهي على كل حال لا تخرج فيما يورث عن الفترة فيما

بين ٢٠٥ - ٢١٣ للهجرة .

(١) معجم الادباء ١١ / ٢٣٩

(٢) اللزومات ١ / ١٠٩

ولقد ارتأينا تسديلا للبحث ، ان نذكر هذه الروايات بحسب اختلاف التواريخ .
وامامنا خمس روايات : الاولى سنة ٢٠٥ ويتفرد بذكرها ابن قتيبة ^(١) ، والثانية
سنة ٢٠٩ وقد وردت في "الاغاني" ^(٢) عن اسماعيل ابي ابي قتيبة ، والثالثة
سنة ٢١٠ وقد وردت ايضا في "الاغاني" ^(٣) بسند عن ابن ابي العتاهية ، والرواية
الرابعة تقول انها سنة ٢١١ ويؤيدها كل من الطبري ^(٤) (المتوفى سنة ٣١٠ هـ)
والمسعودي ^(٥) (المتوفى سنة ٣٤٦ هـ) ، والاصفهاني ^(٦) (المتوفى سنة ٣٥٦ هـ)
الذي ذكرها مع روايات اخرى . والبغدادى ^(٧) (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ) ، وابن خلكان ^(٨)
(المتوفى سنة ٦٨١ هـ) ، والياقعي ^(٩) (المتوفى سنة ٧٦٨ هـ) ، وابن كثير ^(١٠)
(المتوفى سنة ٧٧٤ هـ) ، والعباسي ^(١١) (المتوفى سنة ٩٦٣ هـ) ، وابن العماد الحنبلي ^(١٢)
(المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ) . ولعل المتأخرين من هؤلاء نقلوا عن سبقهم . والرواية الخامسة

-
- | | |
|--------------------------|------------------------------|
| (١) الشعر والشعراء ٧٦٩/٢ | (٧) تاريخ بغداد ٢٦٠/٦ |
| (٢) الاغاني ١١١/٤ | (٨) وفيات الاعيان ٢٠٠/١ |
| (٣) الاغاني ١١١/٤ | (٩) مرآة الجنان ٤٩/٢ |
| (٤) الطبري ج ٣ ج ١٠/١٠٩٨ | (١٠) البداية والنهاية ١٠/٢٦٦ |
| (٥) مروج الذهب ٨١/٢ | (١١) معاهد التنصيص ٣٠٠/٢ |
| (٦) الاغاني ١١١/٤ | (١٢) شذرات الذهب ٢٥/٢ |

تقول انها حدثت سنة ٢١٣ . وقد ذكرها الاصفهاني (١) ، وابن النديم (٢) ،
والبغدادى (٣) ، وابن خلكان (٤) ، والعباسي (٥) ، وابن كثير (٦) .

ولقد لاحظنا ان بعض المصادر ذكرت روايات متعددة عن تاريخ هذه الوفاة .
ففي "الاغاني" اربع روايات هي : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ . وفي "تاريخ بغداد" (٧)
روايتان : ٢١١ ، ٢١٣ (٨) ، وفي "وفيات الاعيان" روايتان ايضا : ٢١١ ، ٢١٣ (٩)
ثم في "البداية والنهاية" (١٠) ، ٢١٣ ، وفي "معاهد التنصيص" (١١)
كذلك .

ولولا ان ابن قتيبة اقدم هؤلاء جميعا (توفي سنة ٢٧٦ هـ) ، لما توقفنا عند
روايته التي لم يشركه في ذكرها احد (٢٠٥) . فقد مررطينا الدليل الذي يصلح لان
يدعم هذه الرواية . أما الرواية القائلة بانه توفي سنة ٢٠٩ فهي كذلك وحيدة
لم نعثر على ما يؤيدها في ما وقعنا عليه من اخبار ابي العتاهية . والحكم فيها كالحكم
في رواية ابن قتيبة .

أما رواية ابنطالتي تقول بان شاعرنا توفي سنة ٢١٠ فدعاهمها الكبرى انها شهادة ابنه .

(٧) راجع الاغاني ١١٠-١١١

(٨) تاريخ بغداد ٢٦٠/٢

(٩) وفيات الاعيان ٢٠٠/١

(١٠) البداية والنهاية ٢٦٩/١٠

(١١) معاهد التنصيص ٣٠٠/٢

(١) الاغاني ١٠/٤

(٢) الفهرست ٦٨ (ذكر ابن النديم انه ألف هذا الكتاب سنة ٣٧٧ هـ)

(٣) تاريخ بغداد ٢٦٠/٢

(٤) وفيات الاعيان ٢٠٠/١

(٥) معاهد التنصيص ٣٠٠/٢

(٦) البداية والنهاية ٢٦٩/١٠

بقي امامنا احتمالان : ٢١١ ، ٢١٣ • اما سنة ٢١١ فقد ذكرها القدماء

امثال الطبرى الثقة والحجة في التاريخ • واما سنة ٢١٣ فالذين قالوا بها متأخرون

بالنسبة الى الطبرى • ثم ان منهم من شك فيها بدليل بدئه بذكر سنة ٢١١ أولاً

ثم سنة ٢١٣ قائلا " وقيل ثلاث عشرة ومائتين " (١) •

وهكذا نرى اننا اذا تاريخين راجحين : ٢١٠ ، ٢١١ • وقد يكون الفرق

بينهما شهرا قليلة لا توجب عشاء التحيين والتحري • ومهما يكن من امره فقد

كما نأخذ برواية ٢١٠ المنسوبة الى ابنه - وهي احق الروايات - بالدرس والقبول -

لولا انها لم ترد الا في " الاغانى " الى جانب روايات اخرى : " اخبرني الصولي

عن محمد بن موسى عن ابي محمد الشيباني عن محمد بن ابي العتاهية : ان ابا

توفى سنة عشر ومائتين " (٢) • فنحن اذن محقون في ايتار سنة ٢١١ عليها لاسباب :

- ان مصدرها الاول الطبرى وهو قد يسم وموثوق •

- انها وردت في غيره من الاصول بشكل يدل على انها قورنت بخيرها فرجحت •

- لم يقم عندنا الدليل على صحة سند رواية ٢١٠ الى ابنه •

- بين رواية ابنه ورواية الطبرى فرق يسير على كل حال • وما دامت رواية

الطبرى اثبتت من وجهة نظر التاريخ فهي اخرى بالقبول •

وعلى كل فليس في ما وقع بين يدينا من انباء ابي العتاهية ما يوضح هذه القضية كل

الايضاح •

(١) راجع البداية والنهاية ٢٦٦/١٠ ومعاهد التنصيص ٣٠٠/٢

(٢) الاغانى ١١١/٤

- الباب الثاني -

- : -

معالم الزهد في شعر ابي العتاهية

- - - - -

- الفصل الاول -

الزهد قبل ابي العتاهية

النزعة الزهدية قبل الاسلام :

الزهد ، نزعة ومهرا ، اقدم من ابي العتاهية بكثير . ففي الجاهلية كان نسي زهد او نوع من التمسك . ويستدل زكي مبارك ^(١) على ذلك بلفظة الديان ، وهي تعني المتسك في الدين ، ومثلها الرثاني اللتين عرفتا في الجاهلية . حتى ان الامام البويطي وصف بانه كان اماما رانيا زاهدا . والرهبان الذين عرفوا في الجاهلية فسروا في القرآن بالزهاد . ويؤيد زكي مبارك رأيه بصيام الابد الذي كان ذائعا في الجاهلية ~~يقول~~ يقول الرسول عليه السلام " لا صام من صام الابد " . ولولا انه كان معروفا في الجاهلية لما نهى عنه الرسول ، وبالديرة ، فيروى من " معجم البلدان " ان حنظلة بن ابي عفراء الذي نسك في الجاهلية وتنصر بنى ديرا عرف باسمه . وينقل من " تاريخ بغداد "

(١) راجع التصوف الاسلامي ١/ ٥٣ - ٥٤ (وقد لخصنا ذلك هنا)

ان هارون المذكور في قوله تعالى " يا اخت هارون . . . " كان رجلاً صالحاً في بني اسرائيل . " والصلاح هنا هو التمسك ، واخت هارون هي مريم وكانت بارض موصولة بالبلاد العربية " (١) . ويقول ان من زهادهم من لبس الصوف ، ويحتج بقول عبد الله بن شداد " اربع من كن فيه يرى من الكبائر : من اعتقل البعير وركب الحمار ، ولبس الصوف ، واجاب دعوة الرجل الدين " (٢) . وقد كان مكتوباً على دهرهنة المشهور :

بحيث شاد البيعة الراهب
وعنبر يقطبه القاطب
لم يجب للصوف لهم جائب

ان بني المنذر عام انقضوا
تنفح بالمسك ذفاريهم
والقز والكتان اثوابهم

" ومعنى هذا ان لبس الصوف كان يعيب المياسير " (٣) . ومعناه كذلك ان الصوف والاديرة والانقطاع للعبادة كانت كلها معروفة . وحسبنا ان نذكر في هذا المقام اسماً امثال ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو ، واميه بن ابي الصلت من حكماء الجاهلية ، لندرك ان النزعة الزهدية كانت موجودة في الجاهلية . اما ورقة بن نوفل فهو " احد من اعتزل عبادة الاوثان في الجاهلية وطلب الدين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح الاوثان " (٤) . وهو ابن عم السيدة خديجة زوج النبي الاولى الذي بشر النبي برسالته (٥) . وهو الذي وصفه النبي بقوله " قد

(٤) الاغانى ١١٩ / ٣

(٥) الاغانى ١٢٠ / ٣

(١) التصوف الاسلامي ٥٣ / ١

(٢) التصوف الاسلامي ٥٧ / ١

(٣) التصوف الاسلامي ٥٦ / ١

رأيت في المنام كأن عليه ثيابا بيضا ، فقد اظن ان لو كان من اهل النار لم ار عليه
البياض " (١) " وهو الذي نهى الرسول عن سبه (٢) . ولورقة هذا شعر
ديني فيه نفحة من الزهد يروى منه صاحب الاغانى :

لقد نصحت لا أقوام وقلت لهم	انا النذير فلا يفرركم احد
لا تعبدن الهة غير خالقكم	فان دعوكم فقولوا بيننا حدد
سبحان ذي العرش سبحانا نعوذ به	وقبل قد سبج الجودي والجهد
مسخر كل ما تحت السماء له	لا ينبغي ان يناوى ملكه احد
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الاله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه	والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ دان الشعوب له	والجن والانس تجرى بينها البرد (٣)

اما زيد بن عمرو فيقول عنه الاصفهاني انه " احد من اعتزل عبادة الاوثان وامتنع من
أكل ذبائحهم . وكان يقول : يا معشر قريش ، ايرسل الله قطر السماء ، وينبت بقل الارض ،
ويخلق السائمة فتري فيه وتذبحوها لغيره ؟ والله ما اعلم على ظهر الارض احدا على دين
ابراهيم غيري " (٤) . وله شعر روي يفاير النزعة المادية التي طغت في الجاهلية :

ألم تعلم بان الله انسى	رجالا كان شأنهم الفجور
وابقى آخرين ببسرهم	فيرو منهم الطفل الصغير
وبينا البرء يعثر ثاب يومنا	كما يتروح الغصن النضير (٥)

واميه بن ابي الصلت " قد نظرت في الكتب وقرأها ، ولبس المسوح تعبدنا ، وكان ممن
ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية ، وحرم الخمر وشك في الاوثان ، وكان محققا ، والتمس

(٤) الاغانى ٣ / ١٢٣

(٥) الاغانى ٣ / ١٢٥

(١) الاغانى ٣ / ١١٩

(٢) الاغانى ٣ / ١٢٢

(٣) الاغانى ٣ / ١٢١

الدين وطمع في النبوة ، لانه قرأ في الكتاب ان نبيا يبعث من العرب فكان يرجوا ان يكونه " (١) .
وسرى شيئا من شعره الزهدي او الدينسي حين نشرع في الكلام عن ظلال هذه النزعة
الزهديسة في ادب بعض هؤلاء الجاهليين . وهذه النزعة تنظمها ثلاث فكر رئيسية :

١ - ثقل بالدهور والاعتبار بالماضي : كما في قول امية بن ابي الصلت :

وسمّا الفتى فيها مهيب ممدود
وأصبح من ترب القبور يوم ممدود

وحالات دنیا لا تدوم لاهلها
اذا انقلب عنه وزال نعيمها
...

ولا تك من غره البيع او غـد
وفيها عدد وكاشح الصدر يوقـد (٢)

فكن خائفًا للموت والبعث بعده
فانك في دنيا غرور لاهلها

وشبيهه بهذا قول عمرو بن قميصة :

ومن نصر ذور نعـــــــــــــــــم
فغنوا فناء اوائل الامـــــــــــــــــم
او دائما لكم ولم يـــــــــــــــــم
اصناع من عاد ومـــــــــــــــــن ارم (۳)

قد كان من غسان قبله
فتتوجوا ملكا لهم هم
لا تحسبن الدهر مخلصكم
لو دام ، دام لتبع وذو الـ

۱۰۱ قول زهیر بن ابی سلمی :

ولا خالداً إلا الجبال الروسية

الا لا ارى على الحوادث باقيا

واهلك لقمان بن عاد وعاد يسا
فتتركه الايام وهي كما هـيا
من العيش لو ان امرا كان ناجيا
بارسانه والحمدان الحواليـا

ألم تر أن الله أهلك تبعًا
 إلا لا أرى ذأمة أصبحت به
 ألم تر للنعمان كان بنجوسة
 فآمن الذين كان يعطي جياده

منیتہ لما رأوا أنها هی۔۔۔۔۔ (۴)

رَأَيْتَهُمْ لَمْ يَشْكُرُوا بِنَفْسِهِمْ

٢ - جبروت الموت :

استمع الى عدى بن زيد :

ليس للمرء عصرة من وقـاع	م	الدهر تغني عنه سنام عنـاق	م
قد تبينت في الخطوب التـسي	م	قبلي فما بعدها الى اليبـاقـي	م
...			
لا يعزني ريب المنون ذوى العيش	م	ولا من حياته برمـاقـي	م
كل حي تقوده كف هـاد	م	جر عيسن يغشيه ما هو لاقـي (١)	م

والاعشى :

دمر الليالي كل وقت وساعة		يزعزعن ملكا او يواعدن دانيا	
وردن على داود حتى أبدته		وكان يغادى العيش اخضر صاقيا	
ولقمان قد حاولن اتلاف نفسه		وكان مقيط لا يخاف الدواهيـا	
وحطت باسباب لها مستمـرة		اذينة في محراب تد مرثاويـا	
وتبع قد صبت عليه بهيـرة		يقطع الشايا لا تهاب الفيافيـا	
...			
فلو كان شيء خالدا غير رينا		لكان لها من سائر الناس واليا (٢)	

ولبيد :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالـع		وتبقى الجبال بعدنا والمصانـع	
وما المرء الا كالشهاب وضوءه		يجور رمادا بعد ان هو ساطـع (٣)	

٣ - اليأس من الحياة :

في مثل ابيات المزيق العبدى :

ولو كنت في بيت تمد خصاصه		حوالي من ابنا بكرة مجلس	
ولو كان عندى حازيان وكاهـن		وعلق انجاسا على المنجـس	
اذن لا تنسى حيث كنت منيتـي		يخب بها هاد الي معـرس (٤)	

(٣) حماسة البحترى ١١٩

(٤) حماسة البحترى ١٣٩

(١) حماسة البحترى ١٤٠

(٢) حماسة البحترى ١٢٨

او عمرو بن الاثم التميمي :

تطاوحتني يوم جديد رليـــــــــة
اذا ما سلخت الشهر أهلت مثله

او زهير بن ابي سلمى :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
...

ومن هاب اسباب المنايا ينلـــــــــه

هما بلياً جسمي وكل نفس يســــــــال
كفى قاتلاً سلخي الشهور واهــــــــلال (١)

ثمانين حولاً لا ابا لك يســــــــام
تفتنه ومن تخطى يعمر فيهــــــــم

ولو نال اسباب السماء بســــــــم (٢)

ومثل هذه المعاني التي تنطوي على نزعة من نزعات الزهد كثيرة ، ولكنها متفرقة ،
يسوقها قائلها بأساً من الحياة او ترهيباً بالموت كما في هذه الابيات . وقد رأينا ان نكتفي
بهذا القدر منها خشية الاسهاب .

اذن فنزعة الزهد في الحياة العربية وفي الادب العربي ، كانت قبل ابي العتاهية
بزمان بعيد . ومن الخير لنا الآن ، بعد ان القينا نظرة خاطفة جداً على بعض مظاهر
هذه النزعة في الجاهلية ، وفي ادبها بوجه خاص ، ان نلقي نظرة اوسع على تطورها هذه
النزعة في الاسلام .

النزعة الزهدية في صدر الاسلام :

تبانت الآراء في موقف الاسلام من الزهد . فمن الباحثين من زعم ان الزهد من طبيعة
الاسلام ، اعتماداً على الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تحض على ابتغاء الحياة الآخرة ،

(١) حماسة البحتري ١٣٣

(٢) الديوان ٣٠ / ٢٩

والاعراض عن الدنيا : " المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات العالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا " (١) " ليكلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور " (٢) . " من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون . اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها ، وباطل ما كانوا فيها يعملون " (٣) . او قول الرسول عليه السلام : " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " (٤) . و " كن في الدنيا كأنك غريب او عابر سبيل " (٥) و " موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها . ولغدوة في سبيل الله او روحه خير من الدنيا وما فيها " (٦) و " اللهم لا عيش الا عيشا آخرة " (٧) . وجاء في " العقد " ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الزهد في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة (والرغبة في الدنيا مفتاح الزهد في الآخرة) " (٨) . و قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله من ازهد الناس في الدنيا ؟ قال : من لم ينس المقابر والبلى ، وآثر ما يبقى على ما يفنى وعد نفسه مع الموتى " (٩) . ومثل ذلك كثير في الآيات والاحاديث التي تنصّ منها قوم رُوح الزهد في الاسلام . والواقع اننا يجب ان نفصل بين الاسلام والمسلمين ، اى بين حياة

-
- | | |
|--------------------------|--------------------------|
| (١) سورة الكاف الآية ٤٦ | (٦) صحيح البخارى ١٧٠ / ٧ |
| (٢) سورة الحديد - ٢٣ | (٧) صحيح البخارى ١٧٠ / ٧ |
| (٣) سورة هود - ١٥-١٦ | (٨) العقد الفريد ١٧٢ / ٣ |
| (٤) العقد الفريد ١٧٢ / ٣ | (٩) العقد الفريد ١٧١ / ٣ |
| (٥) صحيح البخارى ١٧٠ / ٧ | |

بعض المسلمين الاتقياء الورعيين ، وبين ما شرعه لهم الاسلام . فاذا قال ابو هريرة
 " الله الذي لا آله الا هو ان كنت لاعتمد بكهدي على الارض من الجوع ، وان كنت
 لاشد الحجر على بطني من الجوع " (١) ، حق لنا ان نتساءل : هل شرع الاسلام الجوع
 وأمرأبا هريرة بأن يكبده ويستعين بالحجر يشده على بطنه ماسكا لنفسه ؟ بدعي
 ان الاسلام لم يأمر بالجوع ، وانما هو نهج اخذ به ابو هريرة نفسه افراطا في التذلل لله ،
 اولعله كان ذا عسرة فلم يتهيا له الشبع . المهم ان نعلم انه الى جانب تلك الآيات
 التي تحمل معنى من معاني التزهيد في اللذائذ آيات اخرى تدعو دعوة صريحة الى الاستمتاع
 بالدنيا : " يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ، ولا تعتدوا ان الله
 لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون " (٢)
 ولكن بقصد وعدل " وكلوا واشربوا ولا تسرفوا " (٣) . ولكن حياة المسلمين الاوليين
 البسيطة المتقشفة كانت تشجع ذوى الميول الزهدية . فالزهد الذي نما في عهد الرسول
 (والرسول لم يقل بهجر الدنيا ، حتى ان لفظة الزهد لم ترد سوى مرة واحدة في القرآن في
 سورة " يوسف " - وشروء بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) كان
 معروفا في الجاهلية (٤) .

(١) صحيح البخارى ١٧١ / ٧

(٢) سورة المائدة الآية ٨٧-٨٨

(٣) سورة الاعراف الآية ٣١

(٤) راجع Nicholson, *Encyclopaedia of Religion and Ethics*,
 (art. Asceticism - Muslim -)

مثل هذا الرأي في ان الزهد ليس من الاسلام يقول به " دوزى " في كتابه :

" Eesai sur l'histoire de L'Islamisme ", Chapitre 10 , page 314-

(فاتي ان السم بالزهد في العصر الاموي والقرن الثاني الهجري ، فاستدركت
ذلك هنا بكتابة هذا الفصل) .

مقدمات الزهد في العصر

بذور الزهد الاولى انما نرت في القرن الاول - فيما يرى " غولد زيهر " - (١) بتأثير
عاملين اساسيين هما : المبالغة في الشعور بالاثم ، والخوف من عقاب الله وعذاب الآخرة .
ولقد كان في هذا القرن ما يشجع الزهد الشيء الكثير : حروب اهلية دامية ، وفتق سياسية
متطاحنة - من قيام حزب الزبيريين ومقتل ابن الزبير الى الحرب بين قبائل كلب وقيس ،
فتوة المختار ، ومصرع الحسين ومأساة كربلاء ، وثورة الخوارج ، - وتطور في المجتمع ادى الى
الاغراق في المجون والاقبال على الملاذ ، واستبداد الحكام وجورهم . كل هذا حمل فريقا
من الناس على أن ينفروا من الدنيا ويتجهوا بقلوبهم واذهانهم الى الآخرة . واشتدت هذه النزعة
" المرومية " حتى انقلبت الى زهد - فيما بعد - ما زال يتطور تدريجا حتى بات تصوفا .
والحسن البصري نفسه " الذي يمكن اعتباره مؤسسا لمدرسة البصرة في الزهد والتصوف " (٢)
يعد الصوفية واحدا منهم (٣) . فالحسن يعتبر " رد فعل " لهذه الحياة المضطربة ،
اذ القى في نفوس الناس الرعب من الآخرة ، وزين لهم التقوى ، وحملهم على ان ينظروا في غير
ما ينظرون فيه من توافه الحياة الباطلة الزائلة : " هناك مجلس الحسن البصري تسوده رهبة
ذلك الزاهد الجليل وهو يلقي مواعظه الضاربة في قيا في الزهد فيستدر الدمع من مآقي الحاضرين ،
او يستحيل الى مجلس ذكر تتردد فيه الاذكار الصافية والادعية الناضرة . . . فاذا ما جن الليل

(١) راجع ذلك في " التصوف الاسلامي وتاريخه " لنكلسون صفحة ٣ .

(٢) التصوف الاسلامي وتاريخه ٤٦

(٣) التصوف الاسلامي وتاريخه ٣

وسكن الاحياء وجسج خلال المدينة - شأن الغرباء ذوى النفوس الطلعة المغامرة - ترامت الى
مسامعك انغام اللهو العنيف في نفس الوقت الذى يقرع اذنيك فيه تضرعات المتهجد بين القانتين .
هنا اللاهون يمخرون بزوارقهم الزاهية في مياه تلك القنوات المتشابكة يعزفون ويعريدون ،
وهناك في زاوية اخرى ترى العابد بين ساديين بين المقابر يستلهمون الموت والقبر افكارا وموضوعات
للتأمل الحزين والعظة البالغة والعزوف عن الدنيا " (١)

ولا يغفل اثر القصص الديني الذي كان يقصه لهابان المسيحية ، وقد كان المسلمون
الورعون يتلهفون على سماعه . من ذلك الاسرائيليات لوهب بن منبه وقصص الانبياء للثعلبي
الذى تأثر الكسائي بالقصص الديني اليهودي والنصراني . بل ان الحسن البصري نفسه
كان قصاصا من نوع خاص (٢) : يذكر بالاخيرة ويستخرج العظة من الاحداث حوله : " يا ابن
آدم لا ترض احد بسخط الله . . . ان الله خلق الخلق فمضوا على ما خلقهم عليه ، فمن
كان يظن انه مزداد بحرصه في رزقه فليزدد بحرصه في عمره او يغير لونه او يزد في اركانه
او بنائه " " يا ابن آدم لم تكن فكونت ، رسألت فاعطيت ، وسئلت فمنهت فبئس ما صنعت " .

وكان القائلون على هذه النزعة ايام بين امية من الاتقياء الورعين امثال الحسن البصري
الذى يستنتج " نكلسون " من اقواله واقوال غيره من المتزهدين ان بواعث الزهد الذى اقبلوا
عليه تتمثل في : الايات القرآنية التي تصور عذاب الاخرة وتحذر منه ، والخوف الذى اشاعته
هذه الايات في النفوس ، وفي الشعور بالاثم ، فعولوا على ان ينيبوا الى الله بالتوبة والاستغفار ،
فسفيان الثوري يقول " ما اطاق احد العبادة ولا قوى عليها الا بشدة الخوف " (٣) حتى
ان من الزهاد طائفة عرفت بالبكاكين لان منهم من كان يبكي عند سماع الوعظ ، ولعل الخليفة

(١) شهيدة العشق الالهي °

(٢) راجع فجر الاسلام ١ / ١٩٢ - ١٩٤

(٣) حلية الاولياء ٦ / ٣٦٢

عمر بن عبد العزيز نفسه من هؤلاء البكائين . ففي " حلية الاولياء " عن بكائه وهو يسمع الوعظ او ذكر الموت شيء كثير (١) . فقد كتب اليه الحسن البصري يوما " . . . فكأنك بلبلدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تنزل " ، فخرج الى المسجد وصعد المنبر ثم قال " ايها الناس انكم في اسلاف الماضين ، وسيرتكم الباقون حتى يصيروا الى خير الوارثين ، كل يوم تجهزون غاديا الى الله ورائحا قد حضر اجله ، وطوى عمله ، وعابن الحساب ، وخلع الاسلاب ، وسكن التراب ، ثم تدعونه غير مومنين ولا مهتدين . ثم وضع يديه على وجهه فبكى مليا ثم رفعهما . . . " (٢)

ومواعظ الحسن البصري تنبيء عن نماة هذه الميول الزهدية " يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تريحهما جميعا ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا . يا ابن آدم ، اذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه ، واذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم به . الثناء ها هنا قليل ، والبقاء هناك طويل . . . فالوحاء الوحاء والنجاء النجاء . . . " (٣) او " . . . الا ان من كان قبلكم كانوا ياخذون من الدنيا بلاغهم ويؤثرون بالفضل . الا ان هذا الموت قد اضر الدنيا ففضحها ، فلا والله ما وجد ذولب فيها فرحا ، فايكم وهذه السبل المتفرقة التي جماعها الضلالة ، وميعادها النار . . . " (٤) او " مؤمن متهم ، (وقرئت مهم) وعلج اغتم ، واعرابي لافق له ، ومنافق كذاب ، ودنياوى مترف ، نعتق بهم ناعق فانبعوه فراش نار وذبان طمع . والذي نفس الحسن بيده ، ما اصبحت في هذه القرية مؤمنا الا وقد اصبحت مهموما حزينا ، وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله " (٥)

(١) حلية الاولياء ٣١٨/٥ - راجع " سيرة عمر بن عبد العزيز " لابن الجوزي ولا سيما

صفحة ١٨١ وما بعدها .

(٢) الاغانى ١٥٧/٨

(٣) البيان والتبيين ١٣٢/٣

(٤) البيان والتبيين ١٣٥/٣ - ١٣٦

(٥) البيان والتبيين ١٣٦/٣ - ١٣٧

وقال في موعظة أخرى " يا معشر الشيخ ، الزرع اذا بلغ ما يصنع به ؟ قالوا : يحصد .
يا معشر الشباب : كم من زرع لم يبلغ ادركته آفة " (١) .

وعصر عمر بن عبد العزيز وحياته يوحيان بتشجيع هذا الاتجاه الزهدي . فقد كان الحسن البصري في مقدمة الاتقياء الذين كانوا قوام هذا العصر وقوام سياسته . حسبنا ان نذكر رسائله التي كان يبعث بها الى عمر يعظه وينصحه ، او يصف له " الامام العادل " .
وكان عمر يستشير^(٢) ويستنصحه ويتأثر بما يقوله ويراه . ومن الباحثين^(٣) من يرى ان مساهمة الحسن في الحكومة لما ولاه عمر القضاء ، قد عدلت كثيرا من آرائه في السياسة ، فقد كان يأخذ على السلطان اتخاذ الشرطة ، ولكنه رأى ذلك ضرورة لما تولي القضاء ، لان الناس لا بد لهم من وزعة . ومن هنا نستطيع ان نستخلص ان عصر عمر ، وحكومة عمر ، وشخصية عمر - قبل ذلك كله - قد تأثرت بالاتجاه الذي كان يرتضيه الحسن ويدعو اليه . وان في نزول عمر عند رأيه بتعيينه عدي بن ارطاة - الذي كان يقرب اليه القراء ويصغي الى مشورته - واليا على البصرة لدليلا آخر على اتجاه عصر عمر وتأثره بنزعة التقى والتدين . فالحسن الزاهد الورع كان راغبا في ان يجعل من مبادئ الزهد التي كان يأخذ بها نفسه مبادئ للناس جميعا .
وعمر بن عبد العزيز التقى المتدين كانت تلاقي هذه المبادئ من نفسه هوى شديدا فلا غرو اذا طبع عصر عمر بطابع الحسن ، ولا عجب اذا اعتبر عصر عمر عصر الحسن . ثم ان حياة عمر نفسها تعد حائزا قويا لتلك الميول الزهدية - فاي خليفة لا يجدون عنده ثوبا غير ثوبه الذي اتسخ في مرضه ، على ما يروون^(٤) - ثم لا يكون في هذه القدوة التشجيع القوي للميول الزهدية ؟ فهو دائم القلق والخوف من اللعن ومن عذاب الآخرة " اوصيكم بتقوى الله ، فان تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله عز وجل خلف ، واعملوا لآخرتكم فانه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى امر دنياه واصلحوا سرائركم يصلح الله الكرم علانيتكم .

(١) عيون الاخبار ٢/ ٢٢٣

(٢) راجع سيرة عمر بن عبد العزيز صفحة ١٢٤ وما بعدها مثلا .

(٣) انظر " الحسن البصري " ل احسان عباس صفحة ٥٠ وما بعدها

(٤) صفة الصفوة ٢/ ٦٨

واكثر واذكر الموت واحسنوا الاستعداد قبل ان ينزل بكم فانه هادم اللذات . (١) وكان يقول (٢)
وهو يعظ بالاخرة " ان لكل سفر زادا لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الاخرة . . . " (٣)
وهو قانع بما يمسك عليه ومقه (٣) ، لا يؤخذ ببهاج الدنيا وزخارفها . وامتناعه عن الشعراء (٤)
امر معروف . وقد زعموا ان له شعرا دينيا من ذلك :

ومن الناس من يعيش شقيا	جيفة الليل غافل اليقظة
فاذا كان ذا حياء وديين	راقب الله واتقى الحفظه
انما الناس راحل ومقيم	فالذي سار للمقيم عظمه (٥)

فمثل هذا الخليفة الخاشع العابد ، ومثل عصره المطبوع بطابع الخشوع والعبادة لا محيص من
ان يرقدا الحركة الزهدية باكم رقد .

بوادر الزهد في شعر العصر

(٦)

ولقد امتدت ظلال هذه الميول الى الشعر ، كما في قول النابغة الشيباني :

وبزجرني الاسلام والشيب والتقى	وفي الشيب والاسلام للمرء زاجر
وقلت - وقد مرت حتوف باهلها -	الا ليس شيء غير ربي غافر
هو الباطن الرب اللطيف - كانه	واول شيء رضا ثم الآخرة
كرم حلم لا يعقب حكمه	كثير ايادي الخير للذنب غافر

ففكرة الوعظ والتنبيه الى الموت واضحة ، بعد هذا السرد الذي يبتغي ان يصف قدرة الله
ترهيبا وترغيبا :

الا ايها الانسان هل انت عامل	فانك بعد الموت لا بد ناسر
ومن يعمل - الخير -	فخائر مجزى بهن خائسر
الم تر ان الخير والشرف	يجاز بها ايام تبلى السرائر
ومن يعمل الخيرات او يخط خالبا	

(٦) الديوان ١٧ - ١٨

- (١) سيرة عمر بن عبد العزيز ٥٣
- (٢) سيرة عمر بن عبد العزيز ١١٦
- (٣) سيرة عمر بن عبد العزيز ١٥٨ وما بعدها
- (٤) سيرة عمر بن عبد العزيز ١٦٨ وما بعدها
- (٥) سيرة عمر بن عبد العزيز ٢٣٠

او الحجاج بن يوسف التيمي الذي يعرض فكرة قريبة من فكرة زميله النابغة ، وهي فكرة لا تعدو

نطاق الوعظ والتذكير :

<p>لداذك الا ان تموت طبيب الى منهل من ورده لقريب خلوت ولكن قل علي رقيب وخلفت في قرن فانت غريب (١)</p>	<p>انذا كانت السبعون منك لم تكن وان امرا قد سار سبعين حجة وانذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل وانذا ما انقضى القرن الذي انت منهم</p>
---	---

وابي الاسود الدؤلي :

<p>فادع الاله واحسن الاقوال فهو اللطيف لما اراد فعلا بيد الله يقلب الاحوال لهجا تضعضع للعباد سؤالا (٢)</p>	<p>وانذا طلبت من الحوائج حاجة فليعطيك ما اراد بقدر ان العباد وشأنهم وامورهم فدع العباد ولا تكن بطلابهم</p>
--	--

أرأيت الى الاستسلام والاتجاه لله ؟ اذن فاسمعه يقول مرة اخرى :

<p>تراد به آتيك فانزع بذي الفضل من الخفض في دار المقامة والتمل ولا تجعل لي العلم المحقق كالجهل ابعدى ياتي في رحلي او قبلني (٣) اصيب والقتل المنية في الاهل</p>	<p>توكل وحمل امرك الله وانما ولا تحسب من السير اقرب للبردى واني ملاق ما قضى الله فاصبر وانك لا تدري هل ما اخافه وكم كده رأيت حاذرا متحفظا</p>
--	---

فالخوف من الموت والشعور بوقوعه يدفعه الى هذا الاستسلام .

(٤)

وبعض الباحثين يرد نشوء الغزل الاباحي في مدن الحجاز ، والحب العذري البادية

الى هذه الاحداث السياسية والاجتماعية التي جرت في الحياة الاموية : فاهل مكة والمدينة

(١) عيون الاخبار ٢ / ٢٢٢

(٢) الاغانى ١١ / ١٠٧ - ١٠٨

(٣) الاغانى ١١ / ١١١

(٤) راجع مقال الدكتور طه حسين في حديث الاربعاء ١ / ١٨٠ (الغزل والغزلون) .

مثلا كانوا ياتفسين من الوضع السياسي ولكنه كانوا موسرين فاجتمع عندهم اليأس والمال فلهوا وعيشوا ، اما سكان البادية فقد كانوا فقرا ، ولكنهم تأنروا بالاسلام فظل في نفوسهم اثر من تقوى فلم ينصرفوا الى اللهو وانما الى نفوسهم " فانكبوا عليها واستخلصوا منها نعمة لا تخلو من حزن ، ولكنها نعمة زهد وتصوف . وانا اعلم ان لفظ التصوف هنا لا يودى معناه الذى اريده ، ثقل انهم انصرفوا الى شيء من المثل الاعلى في الحياة الخلقية " . فهذان اللوان من الغزل اذن اثر من آثار الحياة السياسية الاموية (١) ثم ان الغناء كان رائجا وكان هذا الغزل الاباحي والعذرى مددا له . ولقنه-

ولقد استمرت هذه النزعة الغتية الى الزهد في القرن الثاني . والحق ان هذا القرن كان حافلا بالشخصيات الدينية والادبية التي اسهمت في تقوية هذه النزعة وتشبيتها في نفوسنا- فاذا عرفنا ان سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك والامام الشافعي مثلا ، كانوا من شخصيات هذه الفترة ، ادركنا قيمة هذه الحقبة في تاريخ الزهد الاسلامي . فسفيان الثوري كان في هم مقيم من خشية الله وخوفه حتى قيل ان ليمر في الحنيفية رجل مثله " قد قطع الحزن كبده " (٢) فهو القائل " لقد خفت الله خوفا ، عجب لي كيف لا اموت ، ولكن لي اجل انا بالغه ، ولقد خفت الله خوفا وددت ان خفف عني منه ما اخاف ان يذهب منه عقلي " (٣) ، وعبد الله بن المبارك كان من صفوة الاتقياء ، فقد تخرج من ان ينتفع بفراخ اختلطت بها حمام غيرها فتزاجت بها (٤) ، حتى قال ابن عيينه " نظرت في امر الصحابة وامر ابن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلا الا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزاهم معه " (٥) واما الامام الشافعي فانت تجد هذه النزعة في شعره فضلا عن معاشه ،

(١) حديث الاربعاء ١٨٦/١

(٢) صفة الصفوة ٨٦/٣

(٣) صفة الصفوة ٨٤/٣

(٤) صفة الصفوة ١١٠/٤

(٥) صفة الصفوة ١١٣/٤

فلما قضا قلبني وضاعت مداهبي
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
فما زلت ذا ذنب عن الذنب لم تنزل
فلولاك لم يقدر باليمين عابــــــــــــــــد

الاستسلام لله والابانة اليه ، والاقرار بالذنب ، كل هذه من مظاهر النزعة الزهدية التي تعبر عنها هذه الايات .

والزهاد الشعراء في ذلك العصر كثر منهم : مالك بن دينار الذي مربى لبلال بن ابي بردة وحوله الناس ، فسأله بلال : اما تعرفني ؟ فاجابه مالك " بلى " اعرفك ، اولك نطفة ، واوسطك جيفة واسفلك دودة " (٢) فقصارى ما يرى في بني آدم هذا الرأي . وقد شاهد رجلا يخرس ، فلما عاد اليه بعد قليل اذا به قد مات فانشده :

مؤمل نہ نیا لتبقیس لہ
فمات المؤمن قبل الامل
یرہی فمہلا ویعنی بہ
فعاش الفسیل ومات الرجل (۳)

وله يصور الفناء ويعظ بالموت :

“ اتيت القبور فناديت ----- من اين المعظم والمحقق -----
واين المدد سلطانه ----- واين المزكي اذا ما افتخر -----

قال : فنودیت من بیٹھا ولا یری احدًا :

تفانوا جميعا فما مخير
تروح وتغدو بنات الشورى
فيا سائلي عن انا من مضو

وما تو جميعا ومات الخبير
وتمحي محاسن تلك الصور
اما لك فيما ترى معتبر ؟

56 : فرجعتوانا ابکسي .. (٤)

(١) معجم الأرباء، ١٧/٢٠٢ - ٢٠٤

(٢) حلية الاولياء ٢/٣٨٥

(٣) حلبة الاولياء ٣٨٤ / ٢

(٤) عيون الاخبار ٢/٢٠٢ - ٢٠٣

ولعمرو بن اذينة صاحب الغزل المشهور ابيات من هذا القبيل :

نراع اذا الجنائز قابلتندـــــــــــــــــا
كروعة ثلثة لمغار ذئــــــــــــــــب
ويحزننا بكاء الباكيات
فلما غاب عادات راتعات (١)

ففي ذلك تصوير لهول الموت ، الذى يدعو مساور الوراق الى التأهب له بالتقوى والعمل الصالح ،

شمر قميصك واستعد لقاءـــــــــل
واجعل صحابك كل خبرناـــــــــك
من ضرب حماد هناك ومـــــــــعر
وعليك بالغنوى فاجلس عـــــــــده
واحكمك جبينك للقضاـــــــــ بشوم
حسن التعهد للصلاة حـــــــــوم
وسماك العبسي وللمن حكيـــــــــم
حتى تصيب ود يعة ليتيـــــــــم (٢)

ولـــــــــه :

وما ينفع المقبور عمران قبره
اذا كان فيه جسمه يتهدـــــــــم (٣)

فالخوف من الموت ، والاتعاظ بالفناء ، والدعوة الى الصالحات ، كل هذا ظاهر في هذه الابيات ،
ومعمر الذى دعا مساور الى مصاحبته هو الذى قال فيه سفيان الثوري " لم يكن في زمانى مثله " (٤)
وهو الذى روى سفيان لما مات ، انه رأى النبي فيما يرى النائم وهما يطوفان ، فقال له " يا رسول
الله مات مسعر بن كدام ، قال : نعم واستبشر به اهل السماء " (٥) ، له شيء من هذا الشعر :

وجدت الجوع يطرده رغيـــــــــف
وقل الطعم عون للمصلـــــــــي
وملء الكف من ماء الفـــــــــرات
وكثر الطعم عون للسبـــــــــات (٦)

القناعة بالكفاف ، والعبادة ، والتهجد . . . كل هذه من معاني هذين البيتين اللذين ينبئان
عن ميل زهدى قوى . وهو القائل في فناء العيش واغترار الانسان بالدنيا :

(١) البيان والتبيين ٢٠١ / ٣

(٢) البيان والتبيين ١٧٥ / ٣ - ١٧٦

(٣) الاغانى ١٦٩ / ١٦

(٤) حلية الاولياء ٢١٠ / ٧

(٥) حلية الاولياء ٢١٠ / ٧

(٦) حلية الاولياء ٢١٩ / ٧

نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وتتعب فيما سوف تكره غبه
وليلك نيم والردى لك لانم
كذلك في الدنيا تعيش البهائم (١)

او :

ولم ارمك كالدنيا بها اغترها هلهما
ولا كالذى يخشى المليك عباده
ولا كاليقين استوحش الدهر صاحبه
من الموت خاف الجوس او نام هاربه (٢)
كل هذا تبكيت للناس وتفرح له على اغترارهم بالدنيا ونهافتهم عليها ، وتذكير لهم بمصيرهم
المحتم : الموت .

وزاهد شاعر آخر هو محمد بن يوسف الملقب بعروس الزهاد ، وكان متعبدا يطلب في الجامع .
قال يصف الدنيا وقناها ويعظ الناس ويغري العابد ين بالموت :

ومر بدار المترفين وقل لهم
ومر بدار العابد ين وقل لهم
الا اين ارباب المصانع والقرى
الا قطع الموت التصب والعنى (٣)
وكان يقول " لقد خاب من كان كحظه من الله الدنيا " (٤) وهذا المعنى يصوغه شعرا :
اذا كنت في دار الهوان فانما
ينجيك من دار الهوان اجتنابها (٥)
ولعله يوضع ذلك كله بهذا القول " وتزود لا خرتك ، وتجاف عن دنياك ، وباد الغوث ، واعلم
ان امامك اهوالا وافزاعا قد فزعت منها الانبياء والرسل " (٦) .

وسعيد بن وهب وقد كان من الشعراء المجان ثم تاب وصلاح ، كان يقول متندما مقرا بذنبه :

قدمي اعتورا رمل الكثيب
رب يم رحمتا فيه على
وسماع حسن من حسن
فاحسب اذاك بهذا واصب را
انما امشي لاني مذنب
واطرقا الاجن من ماء القليب
زهرة الدنيا وفي واد خصيب
صخب المزهر كالظبي الربيب
وخذا من كل فن بنصيب
قلعل الله يعفو عن ذنوبي (٧)

- | | |
|---------------------------|---------------------------------|
| (١) حلية الاولياء ٢٢٠ / ٧ | (٥) حلية الاولياء ٢٣٥ / ٨ |
| (٢) حلية الاولياء ٢٢٢ / ٧ | (٦) حلية الاولياء ٢٣٥ / ٨ - ٢٣٦ |
| (٣) حلية الاولياء ٢٣٠ / ٨ | (٧) صفة الصفوة ٢٠٣ / ٢ |
| (٤) حلية الاولياء ٢٣١ / ٨ | |

وهناك محمد بن كناسة الذي يقول :

ومن عجب الدنيا تبقيك للبلى
واى بني الايام الا وعند
ومن يا من الايام اما اتعاها
اذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى
وانك فيها للبقاء مريد
من الدهر ذنب طارف وتليد
فخطر واما فجعها فعتيد
فان قطام النفس عنه شديد (١)

فالبقاء في الدنيا يعني عنده الفناء ، والدنيا عبارة عن الآم وفجائع ، فليستعن عليها بالعبادة
التي يعدها شرفا وفضيلة :

ينبئك عن عيب الفتى
فاذا تهاون بالصلا
ترك الصلاة او الخدين
فما له في الناس دين (٢)

والى جانب هؤلاء الورعين الشحراء تجد الورعين المجانين كشعوانه التي كانت دائمة
البكاء من خشية الله فكانت تقول " اعمى والله في الدنيا من البكاء احب الي من ان اعمى
في الاخرة من النار " (٣) ، ثم قالت : " والله لوددت اني ابكي حتى تنفك دموعي
ثم ابكي الدماء حتى لا تبقى في جسدي جارحة فيها قطرة من دم وانى لي البكاء " (٤) وكانت
تروح بهذين البيتين :

يؤمل دنيا لتبقى لى
حنينا يروى اصول الفسيل
فوافى الغنية قبل الامل
فعاثر الفسيل ومات الرجل (٥)

البأس من الحياة والبكاء خوف عذاب الاخرة .

وميمونة السرداء تقول " ما من عبد اعطي من الدنيا شيئا فابتغى اليه ثانيا الا سلبه الله
حب الخلوة معه وهذله بعد القرب البعد ، وبعد الانس الوحشة " - تلك دعوة صريحة الى
رفض الحياة والياس منها وكانت تنشد :

(٥) صفحا الصفوة ٣٨ / ٤

(١) الاغانى ١١٣ / ١٢

(٢) الاغانى ١١٤ / ١٢

(٣) صفة الصفوة ٣٦ / ٤

(٤) صفة الصفوة ٣٧ / ٤

يا واعظا قام لاحتمساب
تنهى وانت السقيم حقا
لو كنت اصلحت قبل هذا
كان لما قلت يا حبيبى
تنهى عن الغي والتماذى
يزجر قوما عن الذنبوب
هذا من المنكرالعجيبوب
عيبك او تبت من قريبوب
موقع صدق من القلبوب
وانت في النهي كالمرىب (١)

وريحانة العابدة الخاشعة تقول مسفة المغرورين بالدنيا واعظة بالماضين
وما عاشق الدنيا بناج من الردى
فكم ملك قد صقر الموت بيتبه
ولا خارج منها بغير غليل
واخرج من ظل عليه ظليل (٢)

فكيف يغض جفن ؟
من كان راكب يرم ليس يأمنه
فكيف يلتذ عيشا لا يطيب له
وليله تائها في عقب دنياه
وكيف تعرف عين الغمض عيناه (٣)

فالدنيا بالنسبة اليها عذاب ولا راحة الا بالتخلي منها فكانت تقول
ارى الدنيا لمن هي في يديه
تهين المكرمات بها بصغر
اذا استغنييت عن شيء فدعه
عذابا كلما كبرت لديه
وتكرم كلما هانت عليه
وخذ ما كنت محتاجا اليه (٤)

وشمة بهلول الذى رفض هبة الرشيد وقال له : ردها لمن اخذتها منه ، كان ينشد
دع الحرص على الدنيا
ولا تجمع من المال
فان الرزق مقسم
فقير كل ذى حرص
وفي العيش فلا تطمع
فما تدري لمن تجمع
وسوء الظن لا ينفد مع
غني كل من يقنع مع (٥)

(١) صفة الصفوة ١٢٢ / ٣

(٢) راجع شهيدة العشق الالهى ١١٣

(٣) راجع شهيدة العشق الالهى ١١٣

(٤) راجع شهيدة العشق الالهى ١١٣

(٥) طبقات الشعرا نى ٥٨ / ١

ففي هذه الابيات - كما نرى - ذم للحرص على الدنيا ، ودعوة الى القناعة والاستسلام الى القدر .
ومثل هذه المعاني لا تعدم في شعر الشعراء المجان الذين تابوا واصلحوا في هذه الفترة
كآدم بن عبد العزيز الذي شهر بمجونه وتعتبه ، قال بعد ما نمك يعظ بالفناء :

وان قالت رجال قد تولس	زمانكم وذا زمن جد يد
فما ذهب الزمان لنا بمجد	ولا حسب اذا ذكر الجدود
وما كنا لنخلد اذ ملكنا	واي الناس دام له الخلود (١)

وكأبي نواس شاعر المجان او ما جن الشعراء الذي روى له الجاحظ شيئاً من شعر الزهد في " باب
الزهد " من كتابه " البيان والتبيين " حسبنا هذه الابيات له :

كن مع الله يكن لك	واتق الله لعلك
لا تكن الا معدا	للمنايا فكأنسك
ان للموت لسهم	واقعد ونك او بك
نحن نجرى في افـ	نين سكون وتحـرك
فعلى الله توكل	ويتقوا تمسـك (٢)

ومحمد بن بشير الرياشي الذي قال بعد ما تاب :

ويل لمن لم يرحم الله	ومن تكون النار مثواه
واغفلت في كل يوم مضى	يذكرني الموت وانساء
من طال في الدنيا به عمره	وعاش فالموت قصاره
كأنه قد قيل في مجلس	قد كنت آتية واغشاء
محمد صار الى ربه	يرحمنا الله واياه (٣)

x x x

ومثل هذه الومضات الزهدية ، او السبحات الروحانية - على الاصح - او شعر التقى
والتوبة الذي يصور تفاهة الدنيا وزوالها ، ويبصر الناس بالموت واهواله ويغري بالتقوى ، ويرهب

(١) البيان والتبيين ٢٠١ / ٣

(٢) البيان والتبيين ١٩٩ / ٣

(٣) الاغانى ١٣٢ / ١٢

بالآخرة ، او يحض على القناعة ويأمر بالتسليم الى الله ، كل هذا ينبيء عن تهيؤ واقع هذه
النزعة منذ العصر الاموي وان لم تتلبس لباس النزعة المكتملة الا بعد ذلك . ناهيك عن ان
قوامها التورع والتدين او الخوف والتوسعة والحث على القناعة والتقوى ، اى الاحماس الروحاني
لا الفكرى . ف فيما رأينا من شعرو وشاهد مجموعة من الفضائل الخلقية او الدينية او التعبدية
اكثر مما هي مجموعة من الفضائل الزهدية الفكرية . وسنرى لبوس هذه النزعة الفكرى عند ابي
العتاهية حينما نشعر في تلمس معالم الزهد في شعره .

مصادر البحث ومراجعته

المصادر

- ١ - الاصفهاني ، ابونعيم احمد ، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ج ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٣٢ / ١٩٣٨ .
- ٢ - الاصفهاني ، ابوالفرج ، الاغانى ، ج ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، مطبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٥ هـ .
- ٣ - ابن الجوزى ، ابوالفرج عبد الرحمن ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ١٢٣١ هـ .
- ٤ - ابن الجوزى ، ابوالفرج عبد الرحمن ، الصفح - صفة الصفوة ، ج ٢ ، ٣ ، ٤ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ، الهند ١٣٥٥ / ١٣٥٦ هـ .
- ٥ - ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم ، عيون الاخبار ، ج ٢ ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٨ .
- ٦ - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٩ .
- ٧ - الشمرانسي ، عبد الوهاب ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ، المطبعة الشرفية ، القاهرة ١٣١٥ هـ .
- ٨ - النابغة الشيباني ، الديوان ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٢ .
- ٩ - ياقوت الرومي ، شهاب الدين ، معجم الادباء ، ج ١٧ ، مطبعة دار المأمون ، القاهرة ١٩٣٦ / ١٩٣٨ .

المراجع

- ١ - امين ، احمد ، فجر الاسلام ، ج ١ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٢٨ .
- ٢ - بدوى ، عبد الرحمن ، شهيدة العشق الالهى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة سنة ٤

- ٣ - حسين ، طه ، حديث الاربعاء ، ج ١ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٣ .
- ٤ - عباس ، احسان ، الحسن البصرى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٢ .
- ٥ - نيكلسون ، رينولد ، في التصوف الاسلامي وتاريخه ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٧ (ترجمة " ابو العلا عفيفي ") .

تأثر النزعة الزهدية بالتصوف الدخيل ،

ولكن لماذا نما هذا الزهد حتى غدا تصوفاً ؟ خلاصة الآراء في ذلك ان الاسباب عوامل سياسية واجتماعية وفكرية جذت في القرنين التاليين للوفاء الرسول . فنحن نعلم ان هذين القرنين حفلا بالحروب والفتن الاهلية - كما حفلا بالتطورات الاجتماعية - فكان الارستقراطيون ، وكان المترفون ، وكان النشاط الفكري العام ، كانت المجادلات والفرق الكلامية في اضطراع عنيف . كل هذه العوامل حملت نفرا من المتورعين على ان يعتزلوا هذه الحياة الجديدة التي لم يرضوا عنها ، فرأوا ان يتقربوا الى الله عن طريق الزهد . ويعد " دى بور " الصوفية نوعا من انواع الردة على مجادلات المتكلمين ومهرها منها (١) . فالتصوف بدأ في اول الامر زهدا . قال ابن خلدون عن الصوفية انها " . . . من العلم الشرعية الحادثة في الملّة . . . واصلها المكوف على العبادة ، والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاء ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعباد ، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف ، فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية او المتصوفة . وقال القشيري - رحمه الله - ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس . والظاهر انه لقب . ومن قال اشتقاقه من الصفا او الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي . قال وكذلك من الصوف لانهم لم يختصوا بلبسه .

(١) دى بور ١٨ - وموضوع الزهد الاسلامي هذا قد فصل فيه الكلام في مثل هذه الكتب ، " في التصوف الاسلامي وتاريخه " لنكلسون ، " التصوف عند العرب " لجبور عبد النور ، " التصوف الاسلامي " لعمر فروخ ، الخ . . .

قلت والظاهر ان قيل بالاشتقاق انه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف . فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق ، والاقبال على العبادة اختصوا بما أخذ مدركة لهم (١) .

فالصوفية اذن بدأت ، اول الامر ، صبغة دينية بسيطة خاصة بنفر من الاتقياء ، ثم ما لبثت ان نمت وتطورت حتى غدت طبقة خاصة لها قواعد وطرق ورؤساء وتلاميذ (٢) . وفي هذا الطور الاخير انساب الافكار والثقافات الاعجمية . والآراء مجمعة على ان التصوف الاسلامي قد تلقح بالفكر الهندي ، وتأثر بفلسفة " الفاندانا " و " النارانا " . ولعل فكرة الفناء عند الصوفية مردها الى " النارانا " هذه . وتأثر ايضا بالنصرانية ، ونحن نعلم ان النصرانية عايشة العرب في جاهليتهم وان اثر الرهبان النصارى في الزهد كان آنذاك كبيرة . وفكرة التوكل مصدرها هذا الزهد النصراني . اما الاثر اليوناني فقد امتد بطريق مدرسة الاسكندرية والافلاطونية الحديثة (٣) .

وهكذا يتضح انه اذا كان الزهد الاسلامي اسلاميا صرفا ، فان التصوف الاسلامي ليس كذلك ابدا ، وانه انما اشرب شتى الاصباغ والالوان من هندية ويونانية وفارسية . وليس هذا ما نرغب في توجيه الانظار اليه . وانما الذي يهمنا من امر الزهد الاسلامي او التصوف الاسلامي ، هو بواعثه . فصحيح ان منه ما كان بدافع من طبيعة سلف عازقين عن الدنيا ،

(١) ابن خلدون ٤٠٨ ، راجع اللمع ٢٠-٢٢

(٢) سليمان فارس النابلسي ، " التصوف الاسلامي " ، مجلة الرسالة العدد ٨١ ، السنة الثالثة ، ١٩٣٥ ، صفحة ٩٨ .

(٣) Encyclopaedia Britannica, (art. , Sufism) - Anonymous

شاخصين باهارهم وافند تهم الى آخرة • ولكن الدوافع الاساسية لامنسة في ما جدد
 في حياة المسلمين في القرنين التاليين لوفاة رسولهم • وعندي ان التطور الاقتصادي (والاجتماعي
 بالتالي) هو ابرز هذه الدوافع • وثورة ابي ذر الغفاري على عثمان ومعاوية ابرز
 مظاهر ضرور هذا التطور الاقتصادي ، فقد نشأت طبقة الوجهاء تحتكر الاموال وتكنزها ،
 وتمتلك الدور والضباع ، والشعب لا يملك من الامور شيئا • والواقع ان با ذر قد اثار ازهاج
 الناس ونفوسهم على الوضع ، فكانت المحاولات لاغرائه بالصمت (٢) فلما يئسوا منه نفاه
 عثمان ، كما هو معروف ، ثم مات ميتته المعروفة وهو شريد في الغلاة ، ولكنه كان قد اضم
 اول ثورة اقتصادية في الاسلام •

(١) راجع كتاب " ابو ذر " لعلي ناصر الدين

(٢) راجع للمص ١٢٢

- الفصل الثاني -

- ٤ -

مفاسد المجتمع العباسي في شعرابي العتاهية

إذا كان عصر شاعرنا ، قد خلا من نائركأبي ذر ، فليس معنى ذلك ان دواعي الثورة لم توجد . فقد رأينا ونحن ندرس العصر - في مستهل هذه الرسالة - ان الناس كانوا في امر مجتمعهم مذهبيين : مذهب الراضين ، المقبلين على ما فيه من مغريات ومباهج ، ومذهب الساخطين الحانقين الذين لا يجدون من اسباب الثورة الا الزهد . فالثورة اذن لم تنعدم ، وان كانت قد تزيت بزى سلمي آخر - الزهد - .

وانا كان الشك والمجون ابرز مزايا شعرابي العتاهية : ^(١) الشك اثر ما شجر بين المسلمين من خلاف سياسي تفكرى حول الخلافة ، والمجون الذى تلا الفتح بما افاضه هذا الفتح من اموال ، فان الصلاح كذلك من مزاياه .

وقد رأينا الفتن تعتور المجتمع العباسي في الداخل والخارج : رأينا الشيعة والخوارج والشعوبيين من العرب والفرس ، وفتنة الاميين والمأمون ، وقبل ذلك نكبة البرامكة وابي مسلم ، وما الى ذلك من احداث يضطرب معها الامن وتثور النفوس .

وقد تقدم في حديثنا عن العصر ان السياسة وفرقها اذت الى نشوء أفكار جديدة وفرق جديدة . فاذا علم الكلام ، واذا علماء الكلام غائضون في نقاش وجدال وبحث .

(١) عبد الحلیم عباس ، " احوال العتاهية " ، مجلة الرسالة العدد ٥٧ ،

السنة الثانية ، ١٩٣٤ . صفحة ١٣٠٦

فهناك المعتزلة والمرجئة والاشعرية والشيعة والخوارج ، وكلها فرق قامت فلسفتها الفكرية فيما بعد على اساس المياسة ، والخلاف حول الخلافة ، على وجه التحديد . ولقد رأيناها تنقسم فيما بينها فرقا فرقا . ورأينا باى وجه متجهم تلقى جمهور المسلمين هذا العلم الجديد وطلابه ، حتى عدوا الناظر فيه كافرا او يكا .

فاذا رأى بعض الصالح هذه الحياة المضطربة سياسة وفكرا واجتماعا ، واذا رأى التنابد والشقاق ، وقد يثسوا من تبدل الوضع ، اعتزلوا هذه الحياة ليخلوا من الالم امامهم ، ووجدوا في حركة الزهد الملجأ العاصم الامين . ثم تطورت هذه الحركة كما اسلفنا حتى غدت تصورا ذا نظام وطرق واصل . ففي هذا العصر الذى غاصت فيه ايدى واقدام في دماء الفتن ووحول الآثام وغمار التفكير ، كانت ايدى واقدام اخرى تبتغي الطهر في لجة الزهد التي كانت هادئة اول الامر . واذا حفل العصر بمثال ابي نوح وبشار ومواها من المجان ، فقد حفل كذلك بالعالحين الزاهدين^(١) نظير الفضيل بن عياض (المتوفى سنة ١٨٢ هـ) ، ومعروف الكرخي (المتوفى سنة ٢٠٠ او ٢٠١ هـ) ، وابي سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني (المتوفى سنة ٢١٥ هـ) وبشر بن الحرث الحافي (المتوفى سنة ٢٢٢ هـ) ، وابي حامد بن خضويه البلخي (المتوفى سنة ٢٤٠ هـ) ، والحرث بن أسد المحاسبي (المتوفى سنة ٢٤٣ هـ) ، وذى النون المصري (المتوفى سنة ٢٤٥ هـ) ، وابي زكريا الرازي (المتوفى سنة ٢٥٨ هـ) ، وابي يزيد البسطامي (المتوفى سنة ٢٦١ وقيل ٢٣٤ هـ) ، وعبد الله التستري (المتوفى سنة ٢٨٣ وقيل ٢٧٣ هـ) ، والجنيدي (المتوفى سنة ٢٩٧ هـ) وغيرهم .

فما هو محل ابي العتاهية بين هؤلاء الزهاد ؟ لا نتبأ بذلك قبل ان نستعرض شعره الزهدي ببعض التفصيل والاناة .

(١) راجع الرسالة القشيرية صفحة ٨ وما بعدها

قال الاصمعياني " شاور رجل ابا العتاهية فيما ينقشه على خاتمه فقال :

انقش عليه لعنة الله على الناس وانشد :

برمت بالناس واخلاقهم	فصرت استأنس بالوحيدة
ما اكثر الناس لعمري ومما	اقلهم في حاصل العتيدة (١)

هذا خلاصة رأى ابي العتاهية في الناس . واذا تلخعت نظرتك الى الناس يسوء

الظن ، فان رأيه في مجتمعهم يتلخص في كلمة واحدة - الفساد . وعنده ان هذا

الفساد نتيجة ثلاثة ألوان من الضرر هي النقائص الخلقية ، والآفات الاجتماعية ، والاستغلال

السياسي .

١ - النقائص الخلقية

فاولي هذه النقائص النفاق - قال :

لله در ابيك اي زمان	اصبحت فيه واي اهل زمان
كل يوازنك المودة دائبها	يعطي ويأخذ منك بالمعيزان
ناذا رأى رجحان حبة خردل	مال تودته مع الرجحان (٢)

فما صروه قيم نفعيون انتهازيون :

لو رأى الناس نبينا	مائل لا ما وهبوه
انت ما استغنيت عن صبا	حبك الدهر اخوه
فاذا احتجت اليه	ساعة مجبك فبسوه (٣)

(١) الاغانى ٣٧٤/٤ - ٣٨

(٢) الديوان ٢٦٠ - ٢٦١

(٣) الديوان ٢٩٥

يبدلون لك من مودتهم ما بذلت لهم من نفعك :

قد بلونا الناس في اخلاقهم
وحبيب الناس من اطعمهم
فأينا هم لذى المال تبسج
انما الناس جميعا بالطمـــــسج (١)

واسمعه يكرر هذا المعنى بشكل آخر :

اذا قل مال المرء قل صدقه
وقصر طرف العين عنه كلاله
وضاقت به عما يريد طريقه
واسرع فيما لا يحب شقيقه
وقد كان يستحليه حين يذوقه (٢)

وابوالعناهية يبذل للناس النصح في ذلك وهو يتهكم عليهم باسمى ومراة ، ويرسم
لهم طريق المعاملة الصحيح :

المرء منظر اليه
من كنت تبغى ان تكـــــون م
فابذل له ما نسي يد يـــــك م
ما دام يرجى ما لديه
الدهر اذا فضل عليه
وغض عما في يد يـــــه (٣)

اذن فقوم المعاملة التي يرضى عنها الناس النفع ، والصدقة انما يقومها الناس

بمقدار ما تعود عليهم من النفع :

ما سلم ككك الا من بناولهم
ولا عدوك الا من يرجيهم (٤)

فلا غرو اذا انتقد ابوالعناهية الاصدقاء :

واني لمشتاق الى ظل صاحب
عذيرى من الانسان لا ان جفوته
يروق ويصفوان كدرت عليه
صفا لي ولا ان كنت طوع يديه (٥)

(١) الديوان ١٥١

(٢) الديوان ١٧٧

(٣) الديوان ٢٨٥

(٤) الديوان ٢٨٩

(٥) الديوان ٢٨٧ - ٢٨٨

ولا غرو اذا تشوف الى الصديق الصدوق :

كم من اخ لسي خائني وده
الحمد لله على صنعته
وما تبدلت وما خنت
اني اذا عزّ اخي هنت (١)

فاذا ينس من العثر على الصديق الحق تنسى الموت :

لهجت بدار الموت مستحسناتها
ليخل امرؤ دون الثقات بنفسه
وحسبي له دار المنية من عيب
قما كل موثق به ناصح الجيب (٢)

فاذا بذل لك النصيح في الاسلوب الذي تنهجه في معاملة الاصدقاء ، فلانه
موقن بان الصداقة الصحيحة هي انفس ما يحرص عليه امرؤ واعز ما يناله :

واحفظ اخاك لما رجاك له
وارفع نواظره وكن سنداً
واذا دعاك فكن له عضداً
فلقد يكون اخو الرضا سنداً (٣)

بل انه ليفصل في ذلك قليلاً فيقول :

أقلل زيارتك الصديق ولا تعطل
واعلم بانك لا تلاثم كل من
ان الصديق يلج في غشيانـه
حتى تراه بعد طول مسـرة
واخف ما يلقي الفتى قرباً على
هجرانه فيلج في هجرانه
القي اليك تلهفاً بلسانه
لهد يقه فيمل من غشيانـه
بمكانه مستثقلاً بمكانـه
اخوانه ما خف من اخوانـه (٤)

(١) الديوان ٥٤

(٢) الديوان ٣٠

(٣) الديوان ٢٢

(٤) الديوان ٢٨٠ - ٢٨١

ونقيصة ثانية من النقائص الخلقية : غدر الناس ومكرهم - قال :

فيا رب ان الناس لا ينصفونني	وان انا لم انصفهم ظلموني
وان كان لي شيء تهدوا لاخته	وان جئت ابغض سيئهم منعوني
وان نالهم رقدى فلا شكر عندهم	وان انا لم ابذل لهم شتموني
وان وجدوا عندي رجاء تفرسوا	وان نزلت بي شدة خذلوني
وان طرقتني نكبة فكفوا بهـ	وان صحبتني نعمة حسدوني (١)

أرأيت كيف يحكم عليهم باللثم والخطية ؟ وقال في تزلفهم الى القوى وانقلابهم على الضعيف :

ما الناس الا للكثير المال او	لمسلط ما دام في سلطانـهـ
فاذا الزمان رمى الفتى بملمة	كان الثقات عليه من اعوانـهـ (٢)

ولكنه لم ينفذ بعد يديه من الزمان ، وان كان قد نفضهما من ابنائـهـ :

يا خليلي لا اذم زمانـيـ	غير اني اذم اهل زمانـيـ
لست احصي كم من اخ كان لـيـ	منهم قليل الوفاء حلو اللسان
لم اجده مواتيا فتصدقـتـ	بحظي منه على الشيطان (٣)

ومن ذلك : الكبرياء والغرور - وفيهما يقول :

حتى متى ذر التيه في تيهـ	اصلحـهـ الله وعافـهـ
يتيه اهل التيه من جهلهم	وهم يموتون وان تاهـواـ
من طلب العز ليبقى بهـ	فان عز المرء تقـهـواـ
لم يعتصم بالله من خلقـهـ	من ليس يرجوه ويخشـهـ (٤)

(١) الديوان ٢٥٥

(٢) الديوان ٢٨٠

(٣) الديوان ٢٦٠

(٤) الديوان ١٢

ومنها : انعدام الوفاء - كما في قوله :

ليت حظي منه ومن مثله ان لا تراه عيني وان لا يراني
احمد الله كيف قد فسد الناس م وقل الوفاء في الاخوان (١)

ومنها قلة التقى - ولذلك يقف فيهم واعظا مذكرا :

ايها ذا الناس ما حمل بكم عجا من سركم كل العجب
وسقام ثم موت نــــــــــــا زل ثم قبرونــــــــــــ زول وجلــــــــــــب
وحساب وكتاب حافــــــــــــظ وموازن ونار تلتــــــــــــب
وصراط من يقع عن حــــــــــــده فالى خزي طويل ونهــــــــــــب (٢)

وهم في ذلك حقيقون برئائهم وهزئهم :

يا ساكن الدنيا لقد اوطنتها وامنتها عجا فكيف امتنتها
وشغلت قلبك عن معادك بالمنى وخدعت نفسك بالهوى وفتنتها
يا ساكن الدنيا كأنك خلت انك م خالدا فجمعتها وخزنتها
اذكر احبتك الذين شكلتهم اذكر رهونا في التراب رهنتها
والخير ما قدمت سنة سالــــــــــــح للمالحين فعلتها وسنتها (٣)

وهكذا تتجمع هذه النقائص الخلقية في مجتمع ابي العتاهية حتى يضطرب ويفسد

فينقم عليه شاعرنا ويزهده فيه .

(١) الديوان ٢٦٠

(٢) الديوان ٢١

(٣) الديوان ٥٨

ب - الآفات الاجتماعية

ثاني شرور المجتمع ، وهي كثرة نشير في ما يلي الى أبرزها • وأولها في

عرفابي العناهية : الاقبال على الدنيا - قال :

لهوت وكم من عبرة قد حضرتها	كأنك عنها غائب حين تحضر
ألم ترى يا مغبون ما قد غبنته	وانت ترى في ذاك انك تتجر
خدت عن الساعات حتى غبنتها	وغرتك أيام قصار واشهر
فيا باني الدنيا لغيرك تبتني	وما عام الدنيا لغيرك تعم
وما لك الا الصبر والبر عنده	والأ اعتبار ثاقب وتتكسر (١)

وكيف يقبل امرؤ على دنيا مآلها الزوال ؟

وللناس حب لطلول البقاء	فيها وللموت فيهم ديب
أراك لدنياك مستوطن	ألم تدرك انك فيها غريب
فلا تحسب الدار دار الغرور	فتصول صاحبها أو تطير (٢)

ومن هذه الآفات التكالب على موارد الرزق :

رأيت الناس اتباع	لذي الدنيا والدهر
وما للمرء إلا	نوى في الخير أو قسوم (٣)

وهم في هذا التكالب مغبونون ، مفسرين ، يلهمهم الأمل الباطل عن مصيرهم الذي

لا مفر منه :

-
- (١) الديوان ١١٦
 (٢) الديوان ٢٦-٢٧ وقد وردت تستطير ، وواضح انها خطأ مطبعي •
 (٣) الديوان ٢٤٨

ايها المبصر الصحيح السميع
 ما لنا نستطيع ان نجمع الماء
 حبيب الاكل والشراب اليـنا
 وصنوف اللذات من كل لـون
 نجمع الثاني والقليل من الماء
 انت باللهو والهوى مخدوع
 ل وردّ الممات لا نستطيع
 وينا القصور والتجميع
 والفناء مقبل اليـنا سرـيع
 ل وننسى الذي اليه الرجوع (١)

وانه اذ يتأسى عليهم^{وهم} يغبنون ، تدركه الشفقة وهم يسامون من هذه المطامع والاهواء
 الخسف والمهانة :

لعظيم من الامور خلقنا
 كل يسم يحيط آجالنا الدهر
 لا نبالي ولا نـراء غرامـنا
 من رجونا لديه دنيا وصلنا
 غيرانا مع الشقاء نـنام
 ويدنو الى النفوس الحمام
 ذا لعمري لو اتعظنا الغصـام
 وقلنا له عليك السلام (٢)

واذا كان الجمع همهم ، لم يبالوا امن حلال يجمعون ام من حرام :

ما نبالي امن حرام جمعنا
 ههنا اللهو والتكاتفسي الماء
 كيف نبتاع فانسى العيش بالـدا
 ام حلال ولا يحل الحرام
 ل وهذا البناء والخـدام
 ثم اين العقول والاحـلام (٣)

وانه ، وهو يقلب النظر في هذه الدنيا الزائلة ، تتضح له تهاوة هذا الصراع على الحياة :

(١) الديوان ١٥٢

(٢) الديوان ٢٣٩

(٣) الديوان ٢٣٩

لقد لعبت وجدّ الموت في طلبــــي
لو شمرت فكرتي فيما خلقت لــــه
سبحان من ليس من شيء يعاد لــــه
وان في الموت لسي شغلا عن اللعب
ما اشتد حرصي على الدنيا ولا طلبي
ان الحرص على الدنيا لفي تعــــب (١)

ومن مظاهر هذا التكاليف الذي يعيبه ابو العتاهية على الناس : الحرص - وهو
عنده من جملة المعاييب التي ابتلي بها مجتمعه ، فاسمعه يقول :

جمعت من الدنيا وحزت ونيتــــا
وما لك مما يأكل الناس فيــــر مــــا
وما لك الا كل شيء جعلتــــه
ولما لك الا ما وهبت وامضيتــــا
اكت من المال الحلال فانيتــــا
امامك لا شيء لغيرك بقيتــــا (٢)

واستمع اليه يخاطب مجتمعي الاموال يبصرهم بما في الحرص من مذلة :

اذا المرء لم يعتق من المال رقه
الا انما مالي الذي انا منقــــق
اذا كنت ذا مال فبادر به الــــذي
تملكه المال الذي هو مالكــــه
وليمر لسي المال الذي انا تاركه
يحق والا استهلكه هوالكــــه (٣)

وانه ليعيب على الجامعين جمعهم ينفقون في ذلك العمر ثم يمضون ويخلفونه لورثتهم .
وانما سبيل المال الحق عنده الانفاق في طاعة الله ، لا الامساك في طاعة الشيطان :

يا جامع المال في الدنيا لو ارثــــه
لا تمسك المال واسترض الــــه
هل انت بالمال بعد الموت تنتفع
فان حسبك منه الرى والشبــــع (٤)

(١) الديوان ٢٢

(٢) الديوان ٤٦

(٣) الديوان ١٩١

(٤) الديوان ١٥٦

وما دام المرء يمضي وماله وراءه تتداوله الأيدي ، فليس له إذن إلا الذكر

الحسن والسمل الصالح :

منه ألا ذكره الحسن	ان مال المرء ليس له
بعد ألا فعله الحسن	ما له ما يخلفه
كلنا بالموت مرتته من (١)	في سبيل الله انفسنا

وفكرة الفناء مقرونة بفكرة المال :

مال تموت وانت تمسكه (٢)	ماذا تؤمل لا ابا لك فسي
-------------------------	-------------------------

فما دام الموت واقعا لا محالة على النفس والاموال فليحسن استغلال هذا المال :

ما لم تكن لك فيه منفعة	ما ملكت فلست تملكه
انفق فان الله يخلفه	لا تمض مذموما وتركه (٣)

وها هوذا يعيد القول في هذا الرأي فيقول :

أنا لفي دار نرى الأكار لا	يبقى لها حبه ولا الاقـلالا
أخي ان المال ان قدمته	لك ليس ان خلفته لك مالا
أخي كل لا محالة زائل	قل من نراك تثرى الامـوالا
أخي شأنك بالكفاف وخل من	أثرى ونافس في الحطام وغالى (٤)

وخلاصة رأيه في هذا المال انه يجب ان يفرق في وجوه الخير :

خير سبيل المال تفرقه	في طاعة الله وتمزيقه (٥)
----------------------	--------------------------

(١) الديوان ٢٥٣

(٢) الديوان ١٩٢

(٣) الديوان ١٩٢

(٤) الديوان ٢١٣

(٥) الديوان ١٧٥

وهو ان يذم الحرص ويندد بالتكالب على موارد الرزق بلمس الخلاص من هذه الآفات بالقناعة
فيدعوا اليها جاهدا :

الحرص لثم ومثله الطمـــــع	ما اجتمع الحرص قسط والسورع
لو قنع الناس بالكفاف اذا	لا تسعوا في الدنى به قنعوا
للمرء فيما يقيمـــــه معـــــة	لكنه ما يريد ما يســـــع (١)

وانك لتراه يبدي - في فضائل القناعة - القول ويعيد ، اغراء للناس بها وحضاً عليها :

ما شرف المرء كالقناعـــــة	والصبر على كل حادث يقـــــع
لم يزل القانعـــــون اشراقـــــا	يا حبذا القانعون ما قنعوا (٢)

او :

لما حصلت على القناعة لم ازل	ملكاً يرى الاكثار كالاقتلال
ان القناعة بالكفاف هي العنـــــسى	والفقرعين الفقري الامـــــوال (٣)

او :

وقنع المرء بحمي عرضـــــه	ما القرير العين الا من قنـــــع (٤)
---------------------------	-------------------------------------

ويراد قلل الدعوة الى القناعة عنده ، الحظ على ابتغاء الآخرة والتزود لها بالعمل الطيب ،

امامك يا نومان دار سعادة	يدم النما فيها ودار شقاء
خلقت لاحدى الغايتين فلا تتم	وكن بين خوف منهما ورجاء
وفي الناس شر لو بدا ما تعاشروا	ولكن كساه الله ثوب غطاء (٥)

ذلك ان في الآخرة الخلاص من هذه الحياة التي ينغصها الموت :

قد رأيت الدنيا الى ما تصيـــــر	كل نسي منها صغير حقيـــــر
---------------------------------	----------------------------

أنا في حيلة التخلص منها
هو ربي وحسبي الله ربي
وعلى ذلك الآله قدير
فلنعم المولى ونعم النصير (١)

والتقى هو الزاد الذي يتزود به للآخرة في نظر أبي العتاهية :

وما لا يرى من نفسه وتليده
وما نال عبد قط فضلا بقوة
وطارفه الآ ثناء وبذله
ولكنه من الآله وفضله
لنا خالق يعطي الذي هو أهله
ويعفو ولا يجزى بما نحن أهله (٢)

ج - الاستغلال السياسي

هو ثالث الشرور التي يقاسيها المجتمع العباسي ، والتي أدت في رأى أبي العتاهية

الى فساد هذا المجتمع . اول ما يأخذه ابو العتاهية على الحياة السياسية العباسية

المضطربة : التنافس على السلطان :

حب الرئاسة اطفى من على الارض
فحسبي الله ربي لا شبيه به
حتى بغى بعضهم منها على بعض
وضعت فيه كلا بسطي ومنقبضي
ان القنوع لزاد ان رأيت به
كنت الغني وكنت الوافر العريض (٣)

(١) الديوان ١٠٣

(٢) الديوان ٢٣٥ - وسيرد ذكر القناعة والأخوة والتقى كثيرا في كلامه عن الموت والحياة
وسنفصل رأيه في ذلك بعض الشيء حينذاك .

(٣) الديوان ١٢٩

وانك لتلمح من خلال ابيانه تطاحنا سياسيا واثرة ومطامع واهواء تخطر جميعا .
نتبين هذا في قوله :

والله يحفظ لا الحراســـــــــــــــــه	ولربما تخطي الفراســـــــــــــــــه
طلب الرئاسة ما علمـــــــــــــــــت	تفاقت فيه النفاســـــــــــــــــه
والناس يخبط بعضهمـــــــــــــــــم	بعضا على طلب الرئاسةـــــــــــــــــه (١)

ومن مظاهره : التدجيل والمتاجرة بالعقائد - فطلاب الوجاهة والنفوذ السياسيين
يستبيحون المحرمات ، ويقطعون ما امر الله ان يوصل ، او يصلون ما امر ان يقطع ، ويستهيئون
بكل مكرمة ، ويتاجرون بكل عقيدة :

حب الرئاسة داء يخلق الدينا	ويجعل الحب حروما للمحبينـــــــــــــــــا
ينفي الحقائق والارحام يقطعـــــــــــــــــا	فلا مروءة يبقي لا ولا دينـــــــــــــــــا (٢)

حتى اذا هتف :

أأخي من عشق الرئاسة خفتان	يطغى ويحدث بدعة وضلا لا (٣)
---------------------------	-----------------------------

ادركت انه يحاذران تقع الامة فيما وقعت فيه قبل ذلك . وتبينت ان نار الفتن واصطراع
الساسة وبدعهم وتنافسهم على حطام الدنيا ، كانت جميعا من ذبول هذا الفساد السياسي
الذي هم مجتمع بني العباس . وفي مثل هذه الحال يفتقد الناس المصلح فلا يجدون
سوى زمرة من الدجالين المرائيين :

(١) الديوان ١٣٣

(٢) الديوان ٢٨٠

(٣) الديوان ٢١٥

يا واعظ الناس قد اصبحت متهما
كالملبس الثوب من عسري وخزيتسه
واعظم الاثم بعد الكفر نعلته
عرفانها بعيوب الناس تبهره
اذ عبت منهم امورا انت تأتيها
للناس بادية ما ان يواريتها
في كل نفس عماها عن مساويتها
منهم ولا تبصر العيب الذي فيها (١)

شر في الخلق ، وشر في الاجتماع ، وشر في السياسة : نفاق وغدر ، لهو وحرص ،
تنافس على النفوذ والعرض الزائلين . هذا ما رآه ابو العتاهية في المجتمع الذي
عاش فيه فحكم عليه من اجل ذلك بالفساد ، ونقض منعه يديه . و " الناس على
دين ملوكهم " - كما يقولون - ولذلك لا يعجب ان يجد الناس من الفساد
على نحو ما قال :

ايا عجبنا للناس في طول ما صهوا
يقولون نرجو الله ثم اقتروا به
تصابى رجال من كهول وجده
فما سوء للشيب اذ صار اهل سفه
واكب بنو ولد نيا عليها وانهم
وفي طول ما اغتروا وفي طول ما لهوا
ولو انهم يرجون خافوا كما رجوا
الى اللهو حتى لا يباليون ما اتوا
اذا هيجتهم للهباء صبوة صبوا
لتنهاهم الايام عنها لو انتهوا (٢)

الناس في ضلالة يعمهون : كذب ورياء واختلال في الموازين . فليندب جيله :

يا رب جيل قد سمعت به
وجميع ما نلهوه مرحه
والناس في رتع الغرور كده
ورأيت قد همدت خضار مه
من لذة فالمرت هاد مه
رتعت حمى المعرى بهائم مه (٣)

(١) الديوان ٢٩١

(٢) الديوان ٢٩٦ - ٢٩٧

(٣) الديوان ٢٥٠

فاذا سألته تفصيلا قال :

دخلا فروع اصوله الانعام	زمن مكاسب اهل هذه خسارة
حتى كان المكرمات حرام	زمن تحاي المكرمات سرانه
قطعا فليس لاهله اعلام (١)	زمن هوت اعلامه وتقطع

وبكلمة اخرى ، فزمانه - في ما يرى - زمان تعطلت فيه السنن والاخلاق ، وانقلبت
الاوراع والقيم ، فحلل الحرام وحرم الحلال ، وخلت منه العدالة الاجتماعية كما يتبين
من هذه القصيدة :

م نضائحا متواليه	من مبلغ غني الامه
اسعار الرعية غاليه	اني ارى الاسعار
وارى الضرورة غاشيه	وارى المكاسب نزره
ثمة تمر وغاديه	وارى غموم الدهر را
مل في البيوت الخاليه	وارى اليتامامسى والارا
يسمو اليه وراجيه	من بين راج لم ينزل
ضعاف غاليه	يشكون مجهدة باصوات
مما لقوه العافيه	يرجون رفدك كي يبروا
للعيون الباكيه	من يرتجى للناس غيمرك
تمسي وتصبح طاريه	من مصيبيات جوع
ت وللجسم العاريه	من للبطون الجائع
اذا سمعنا الواعيه	من لا رباع المسلميه
(٢) من الرعيه شافيه	القيت اخبارا اليه ك

الناس في ضيق اقتصادي ، فقر وجوع وعري ، ثم ظلم واصوات تحجب عن
 جدران البلاط . وهذا ابو العتاهية يبلغها الخليفة بأدبه النافذ . تلك
 اذن حال الغالبية الساحقة من المواطنين كما رآها ابو العتاهية ، بطون جائعة ،
 وجسم غارية ، وشعب بائس محرم . وهذه مصادر الرزق ، على ما يبدو له ، ضئيلة
 محتكرة في ايد قليلة ، والدولة مقصرة في واجباتها الاجتماعية كما نلاحظ من خلال
 القصيدة .

والواقع ان هذا الوصف التفصيلي لسوء مجتمعه ، يكاد لا يظهر الا في هذه
 القصيدة . وما تبقى وصف وتصوير ينطبقان على عصره كما ينطبقان على اي عصر فاسد -
 غدر ونفاق ورياء ، وفقدان وفاء ، وتكالب على المال والنفوذ . واي مجتمع يشهد
 لا يكون فيه غدر ونفاق ورياء ، ولا ينعدم فيه الوفاء ويشهد الحرص على مغريات الدنيا ؟
 واذا تلمست له الغدر في ذلك ، فقل ان مجتمعه هو الحياة كلها ، ونقائص مجتمعه هي
 نقائص الحياة .

الفصل الثالث -

==

الحياة والموت في شعر ابي العتاهية

سنرى ان قوام نظرة ابي العتاهية الى الدنيا ما رآه من زوال هذه الدنيا وغدورها .
اما نظرته الى الموت فتقوم على رهبة هذا الموت وشموله وغدوره . وسنراه بعد ذلك يخلو
الى نفسه خائفا ، يائسا ، يحض على التقوى ، ويغرى بالزهد في الدنيا والعمل للآخرة .

ابو العتاهية والدنيا :

قلنا ان رأى ابي العتاهية في مجتمعه ، هو رأيه في كل مجتمع فاسد . وهو
بالتالي رأيه في الحياة كلها . فاذا ساء ظنه بالمجتمع ، فذلك لانه رأى الناس فيه مخادعين
ومنافقين ، اذا نسب الفساد والاختلال فلانه وجد الحياة كلها نشارا وانحرافا ، فكل ما في
الدنيا في اعتقاده باطل . وعيوب هذه الدنيا كما بدت له كثيرة ، لكن يمكن اجمالها فسي
عييبين بارزين :

(١) - الزوال : وابو العتاهية لا يفتأ يقلب النظر فيها ، ويبدى القول ويعيد ،
فاذا الصورة تكبر او تصغر ، وتسمع او تضيق ، ولكنها لا تخرج عن الاصل الذي رسمه
لها ، قال :

سريع تداعبها وشيك فناؤها
تنكرت الدنيا وحان انقضاؤها

الا نحن في دار قليل بقاؤها
نزود من الدنيا التقى والنهى فقلها

غدا تخرب الدنيا ويذهب أهلها
تبقى من الدنيا الى اى غاية
جميعا وتطوى ارضها وسماؤها
سموت اليها فالمنايها وراءها (١)

وحقيقة الغناء هذه تنغم على ابي العتاهية دنياه ، حتى يسرف في التشائم واليأس :

هب الدنيا تماق اليك عفوا
فما ترجو بشي ، ليس يبقـــــــــى
وحقك كل ذا يغنى سرىـــــــــا
ولا شىء يدوم مع الليالــــــــى (٢)

واى حياة تلك الحياة ؟

انما انت مستعير لما ســـــــــو
كيف يهوى امرؤ لذاته اىـــــــــا
ف تردن والمعـــــــــار يـــــــــرد
م عليه الانفاس فيها تعـــــــــد (٣)

واذا ذكرنا ان ابا العتاهية نشأ فقيرا ، محروما ، يحس بالضعة والنقص ، ادركنا مصدر غلوائه في تيهه الدنيا وزمها . فلا غرو اذا اقبل على اصحاب الثراء والجاه ، الذين يضرلهم نعمة راسى ، يوسعهم تسفيها وتخبيلا ، ويحضهم على التخلي عن هـــــــــذه الشؤون التي تلهف عليها في يوم من الايام . وبسم يزمن لهم ذلك ؟ انه يسخر بيانه القوى المعبر الطمع من اجل ارهابهم وتشخيص الآم الحياة وشقاها وتفاقتها ، فسيعمد الى تكرار الفاظ معينة او معان معينة ، وفلسفة معينة ليزداد تأثير دعوته وليتضح قصده ، ويتأصل المعنى الذى يرمي اليه في نفوس سامعيه . وهذا يفسر كثيرا ما يرين على زهده من تكرار « وليضرب لهؤلاء المغرورين امثلة حية منتزعا من صميم حياتهم :

(١) الديوان ١٠

(٢) الديوان ٢٠٦ - ٢٠٧

(٣) الديوان ٣٨

يا من بنى القصر في الدنيا وشيّد
لا تغفلن فان الدار فانيّة
والموت حوض كريمة انت وارتد
مالي اراك وما تنفك من طمّح
تذمّ دنياكذما لا تبوح بسـ
فلو عقلت لاعدت الجهاز لها

است قصرك حيث السيل والغسق
وشربها غصص او صفوها رنـ
فانظر لنفسك قبل الموت يا مذق
يمتد منك اليه الطرف والعنـ
الا وانت لها في ذاك معتنـ
بعد الرحيل بها ما دام لي رمق (١)

فما دامت الدنيا شائمة بهذا الغناء ، مضیعة للجهد والكد ، فهي حريصة بالمذمة
في رأيه :

الا كل مولود فللموت يولد
تجرد من الدنيا فانك انما
وافضل شيء نلت منها فانـ
وكم من عزيز اعقب الدهر غيرة
فلا تحمد الدنيا ولكن ذمها

ولست ارى حياء لشيء يخلد
سقطت الى الدنيا وانت مجرد
متاع قليل يضمحل وينفـ
فاصبح محروما وقد كان يحمد
وما بال شيء ذمه الله يحمد (٢)

وكيف لا يذمها وساعاته فيها ومعاشه قد قدرت عليه ؟

الا انما الدنيا عليك حصار
وما لك في الدنيا من الكد راحة
وما عيشها الا ليال قلائـ
وما زلت مزموما تقاد الى البلى
وعارية ما في يدك وانما

ينالك فيها ذلة وصغار
ولا لك فيها ان عقلت قـرار
سراع وايام تمر قصـار
يسوقك ليل مرة ونهـار
يعارلرد ما طلبت يعـار (٣)

دنيا تحفل بالنصب والاذى ، يحفها البلى من كل جانب ، وتحصى فيها على المرء
الانفاس ، وتتعد الجرع ، فاي خير فيها لمن له نفسية ابي العاتية الخائفة القلقة ،
المضطربة ؟

(١) الديوان ١٧٢
(٢) الديوان ٧٤
(٣) الديوان ٩٢-٩٣

اعيد ذك ان تسر بعيش دار
 بدار ما تزال لساكنها
 الا ان اليقين عليه نور
 وان الله لا يبقى سواه
 وكم عاينت من ملك عزيز
 وكم عاينت مستلبا عزيزا
 ود ميت الخدود عليه لطمسا
 ألم تر انما الدنيا حلل خفاف
 قليلا ما يدوم لها سرور
 تهتك عن فضائحها الستور
 وان الشوك ليس عليه نور
 وان تك مذنباً فهو الغفور
 تخلي الاهل عنه وهم حضور
 تكشف عن حلائله الخدور
 وعصبت المعاصم والنحور
 وان جميع ما فيها غرور (١)

فلا يغرر بها احد ولا يأمنها :

اراك لدنياك مستوطنسا
 اغرك منها نهار يضيء
 فلا تحسب الدار دار الغرور
 الم تدرك انك فيها غريب
 وليل يجن وشمس تغيب
 فتصفر لها حبا او تطير (٢)

وليتعظ باحداثها :

يا ساكن الدنيا لقد اوطنتها
 وشغلت قلبك عن معارك بالنس
 يا ساكن الدنيا كأنك خلت انك
 اذكر احبتك الذين شكلتهم
 وامنتها عجباً فكيف امنتها
 وخدعت نفسك بالهوى وفتنتها
 خالد فجمعتها وخزنتها
 اذكر رهونا في التراب رهنتها (٣)

وسنرى با العتاهية في كلامه عن الموت خائفا ، جزعا . فاذا نفر من الدنيا لانها زائلة
 فانية ، فلانه يهرب الموت ويخشاه ، ولانه يتسلى بدم الدنيا واستقصاء معايبها عن خوفه
 المقيم . فليفتن في عرض مثالب الدنيا ، ولنصغ اليه وهو يتحرى مأخذا ثانيا من مأخذه عليها :

(١) الديوان ١٠٢ - ١٠٨

(٢) الديوان ٢٢

(٣) الديوان ٥٨

لا تأمن الدنيا على غدرها فكم غدرت من قبل امثالها
 كم ستري في الناس من هالكها وهالك حتى ترى هالكها
 فانظر حبيلا ملكه وه ولا تحسب بان لست له سالكا
 اصبحت الدنيا لنا عيرة والحمد لله على ذلها
 قد اجمع الناس على ذمها ولا ارى منهم لها تاركا (١)

وهذا الغدر انما يتجلى بالأي المتأهية ، اكثر ما يتجلى ، في الموت • اصغ اليه

ينشد :

وبينما المرء تستقيم له م الدنيا على ما اشتهى اذا انقلب
 ما كذبني عين رأيت بها م الاموات والعين ربما كذبت
 وای عيش والعيش منقطع مع م وای طعم للذة ذهب
 ويسج عقول المستعصمين بدار م الذل في ای منشب نشبت (٢)

واسمعه يقول :

قد رأيت القرون قبل تفانت درست وانقضت سريعا وانبت
 كم اناس رأيت اكومت الدنيا م ببعض الغرور شم اهانبت
 كم امور قد كنت شددت فيها ثم هونتها عليك فهانبت
 هي دنيا كحبة تنفث السم م وان حبة بلمسها لانبت (٣)

وانه ليعجب كيف يغتر بها الناس وقد بلوا الوانا من غدرها :

وما زالت الدنيا تكدر صفوها وما زالت الدنيا تنقص درها
 بلينا من الدنيا على حبنها لها بدار غرور ويحها ما اغرها
 السنأ نرى الايام يجرى صروفها السنأ نرى حتى الليالي ومرها
 السنأ نرى غدر الزمان باهلها السنأ نرى عطف السنايا وكرها (٤)

(١) الديوان ١٨٦

(٢) الديوان ٣٨

(٣) الديوان ٥١-٥٠

(٤) الديوان ١٢٥

فإذا هي لا تستقر على حال • فليناج نفسه هذه المناجاة الرقيقة ، وليستعمن بهذه
الآغاني العاطفية يكررها بلفظ ناعم عذب ، على التعبير عن حاله النفسية المشوقة الى
الحياة والخائفة من الحياة :

طالما سحبت خلفي الشيا بسا	طالما حلا معاشي وطا بسا
طالما ناهزت صبحي الشرا بسا	طالما طاعت جهلي ولعب بسا
فرماني سهمه واصابا (١)	طالما كنت احب التصاب بسا

ولكن الناس قلما يتعظون بها :

فكم تلاعبت الدنيا بامثاله	مسكين من غرت الدنيا بآماله
بطول ادباره فيها واقباله	ينسى الملح على الدنيا منيته
حتى تقتصه من جوف سراله	وما تزال صروف الدهر تخطله
شيئا يدوم من الدنيا على حاله	ليس الليالي ولا الايام تاركه
ان يخطر الموت في الدنيا على باله (٢)	يا بوس للجاهل المغرور كيف ابى

الست ترى في تكراره " يا ساكن الدنيا " او " ألسنا نرى " او " طالما " ؟
معنى خاصا ؟ بلى انه التوكيد وابتغاء شدة التأثير • وهكذا نرى الموت في
وجه ابي العتاهية يلاحقه شبهة اينما حل ، لكنني به الحرياء تتبدى بشتى الالوان
فلن نتوقع منه غير الطعن فيها والخط منها :

انت في دار ترى الموت فيها	(٣) مستشيطا قد ازل الرقابا
ابت الدنيا على كل حـبـبـي	آخرا الايام ألا ذهابا
انما تنفي الحياة المنايا	مثلما ينفي المشيب الشبابا

(١) الديوان ١٢٥

(٢) الديوان ٢٨

(٣) كذا في الديوان ولعلها محرفة عن اذل (بالذال)

ما ارى الدنيا على كل حي
اي عيش دام فيها لحي
اي ملك كان فيها لقدم
انما داعي المنايا ينادي

نالها الا اذى وعذابا
اي حي مات فيها قآبا
قبلنا لم يسلبوه استلابا
احملوا الزاد وشدوا الركابا (١)

فوجه الحياة في نظره هو وجه الموت ، وصورتها هو صوت الموت ، وروحها هو روح الموت .
فليصمها بالغدر والمرارة ، وليحكم عليها بالخسران ، وليلجأ مرة اخرى الى التكرار :

فنون رداك يا دنيا
فانت الدار فيك الظلم
وانت الدار فيك الهم
وانت الدار فيك الغد
وفيك الحبل مضطرب
وفيك لما كيك الغبن
وملكك فيهم دول
كأنك بينهم كسرة

لعمرى فوق ما اصف
والعدوان والسرف
والاحزان والاسف
ر والتغيب والكلف
وفيك البال منكسف
والآفات والتلف
بها الاقدار تختطف
ترامى ثم تلتقف (٢)

واذا كان هذا شأنها من الزوال والغدر ، فلا غرو اذا الح في الدعوة الى اعتزالها ومجانبة
شروطها :

اهرب بنفسك من دنيا مظلمة
مر مذاقة عقباها واولها
ان نقت حلواها عادت لي عواقبها

قد اهلكت قبلك الاحياء والعسلا
غداة تكثر الاحزان والعسلا
مرارة يحتويها كل من اكسلا (٣)

وانه وهو يحط من شأنها ليسوق لك الادلة على صحة رأيه :

ما انت يا دنيا بدار اقامه
وخفت يا دنيا بكل بكيمه

ما زلت يا دنيا كهي ظلال
ومزجت يا دنيا بكل وسال (٤)

(١) الديوان ٢٩

(٢) الديوان ١٦٨

(٣) الديوان ٢١٢

(٤) الديوان ١٩٩

كأنه وهو يكرر نداه المتحرق شوقا اليها والتياغا منها ، يرسم لقارئه صورة ناطقة
له وقد جاذبه حب الدنيا ، فكيف يقبض قلبه بالبهجة وشبح الموت ما تملأ مام ناظره ؟ :

كأن محاسن الدنيا سـراب وأى يد تناولت السـرابا
وان يك منية عجلت بشـيء تسربه فان لها ذهابا (١)

ولكن سرعان ما يطفئ عليه الخوف فيرى فيه الراحة من كل غناء بما في ذلك غناء السعي
والكد :

فيا عجبا تموت وانت تبني وتتخذ المصانع والقبابـا
ألم تر ان غدة كل يـم تزيد من منيتك اقترابـا (٢)

اوليست الحياة عنده تعني الموت ولا شيء غير الموت ؟ :

ان كانت الدار ليست لسي بياقية فما عنائي بتأسيس وتشيد (٣)
وفيم النصب وهو يغرس البذرة صغيرة ثم يتعهد لها ، فاذا ما اينعت وحن قطافها نودي
للرحيل ؟ :

فيا باني الدنيا لغيرك تبني ويا عامر الدنيا لغيرك تعمـر (٤)

فليتعطل كل جهد ، ولتخمد كل عزيمة :

أليفك يا دنيا كثير غمومـه فليس نجاة منك غير اعتزالـك (٥)

(١) الديوان ١٤

(٢) الديوان ١٤-١٥

(٣) الديوان ٨٥

(٤) الديوان ١١٦

(٥) الديوان ١٨٩

وأي رجاء أزاء موت لا يستثنى أحدا ؟

لدوا للموت وابندوا للخراب
لمن نبني ونحن السي تراب
الا يا موت لم ار منك بهذا
فلكم يصير السي تهاب
نصير كما خلقنا من تراب
اتيت وما نحيف وما تحابي (١)

او قوله :

يا ساكن الدنيا اتعمر مسكنا
لما وجدت الدعوة صريحة الى شل الجهود ؟ اسمعه مرة اخرى :
لم يبق فيه مع النية ساكن (٢)

أيا جامعي الدنيا لمن تجمعونها
وكم من ملوك قد رأينا تحصنات
وتبنون فيها الدور لا تسكنونها
فعطلت الايام منها حصونها (٣)

واسمعه ينادي :

ويا جامع الدنيا لغير بلاغه
وكم قد رأينا الجامعين قد اصبحت
ستتركها فانظر لمن انت جامع
لهم بين اطباق التراب مضاجع (٤)

اذن فقوم تنفيراي العتاهية من دنياه ، ومرد نغمته عليها هو الموت . فلنشرع في
استقصاء معالم آرائه فيه ، وهو الشق الثاني من هذا الفصل .

(١) الديوان ٢٣

(٢) الديوان ٢٦٧

(٣) الديوان ٢٨٣

(٤) الديوان ١٥٠

ابو العتاهية والموت :

رأينا ابا العتاهية يأخذ على الدنيا - اول ما يأخذ - انها زائلة
 ثانية . فاذا هو خائف مذعور ، يطارده شبح الموت في كل حين ، ويتمثل له
 وجهه في كل شيء يحيط به ، ويطالعه انى اتجه . فلا عجب ان تحفل زهدياته
 بذكر الموت ، وتصوير أهواله وآفاته . واذا استقصينا شعره في ذلك وجدناه قائما
 على ثلاث نظرات رئيسية :

(١) - رهبة الموت : ابو العتاهية يخشى الموت ويفرق لذكره ، ولا يزال
 يذكر الناس بأهواله وآلامه لينعزى بخوفهم عن خوفه ، وليرهبهم به عساه يدنس
 خوفه المقيم في جزعهم وقلقهم . فلن نستغرب اذا سمعناه يكرر المعاني ويعيد
 عرض الفكر الواحدة ، ولن نستغرب ان يحثهم على الانتباه من غفلتهم ، والانصات الى صوت
 الموت الرهيب المخيف ، وان في جزعه من الموت وخوفه منه ، بعض التأويل المدقول
 لنقمته على الدنيا وتشاؤمه :

وللموت داع مسمع غير انني	ارى الناس عن داعيه في غفلات
فلله عقلي ان عقلي لناقـص	ولو تم عقلي لا غفمت حياتـي (١)

فاذا رأى ان الناس عنه غافلون ، واذا ظن انهم بوعظه وتبكيته لهم سيعروون ، لجأ

الى التنديد به ، والتحذير منه :

مالي رأيته ركباً لهواك
انظر لنفسك فالمنية حيث ما
اظننت ان الله ليس وراءك
وجدت واقعة هناك حذاك (١)

فكيف لا يتعظ الناس وكيف لا يروعون وصوت الموت يهم الاذنين ؟

للموت داع مزعج وكأنه
وليم فترك عدة ضيعته
لتجهز جهاز منقطع القوى
قد قام بين يديك ثم دعاك
والمرء افقر ما يكون هناك
ولتشحطن عن القريب نواك (٢)

وظل الموت يطالعه في كل ناحية :

ارى الموت لي حيث اعتمدت كميناً
سيلحقني حادى المنايا بمن مضى
يقين الفتى بالموت شك ، وشكه
علينا عيون للمنون خفيصة
واصبحت مهموماً هناك حزينا
اخذت شملاً او اخذت يميناً
يقين ، ولكن لا يراه يقيناً
تدب دبيباً بالمنية فينا (٣)

وان رهبة الموت هذه قد ملكت عليه لجه واعصابه ، فشغل بها عن كل شيء آخر :

واصبح لي في الموت شغل عن الصبا
اذا انا لم اشغل بنفسي فنفس من
وفي الموت شغل شاغل لذوى العقل
من الناس ارجو ان يكون بها شغلي (٤)

واذا قلب شاعرنا نظره في هذا الموت ، وفي الكون حوله ، ثبتت هذه الرهبة في

نفسه ان هذا الموت عام في الناس جميعاً ، لا يغادر منهم صغيراً ولا كبيراً ، ضعيفاً

او قوياً . وتلك نظرته الثانية الى الموت يستقيها من :

(١) الديوان ١٨٣

(٢) الديوان ١٨٣

(٣) الديوان ٢٦٨

(٤) الديوان ٢٠٣

(٢) - شمول الموت :

الموت بين الخلق مشترك
ما ضر أصحاب القليل وما
عجبا تشاغل أهـل ذى
طلبوا فما نالوا الذى طلبوا
لم يختلف في الموت مـلكهم
لا سوقة يبقى ولا مـلك
اغنى عن الاملاك ما ملكـوا
الدنيا وما فيها لهم درك
منها وفاتهم الذى دركـوا
لا بل سبيلا واحدا ملكـوا (١)

أرأيت اليه كيف وجد في اشتراك الناس جميعا في الموت لونا من ألوان المساواة التي
كان يصبر اليها في حياته ، ومعنى من معانى التعويض عن الفضة التي كان يتحسبها
كلما افتقد عز الحسب ، وجاء الاصل الزكى الكريم ، فاذا غاب على بني آدم اقبالهم
على الدنيا ونسيانهم الموت ، واذا خوفهم الموت هذا وحذرهم غولته ، فانما يدفعه
الى ذلك دافعان : دافع الخوف كما شاهدنا في كلامنا عن رهبة الموت ، وكما
في قوله :

وانني ممن يكره الموت والبلى
ايا هادم اللذات ما منك مهرب
ويعجبه ربح الحياة وطيبها
تحاذر نفسي منك ما سميحها (٢)

(وليس بعد هذا الاعتراف الصريح من شاعرنا اعتراف بحبه للحياة وكرهه للموت وخوفه
منه) ، والدافع الآخر دافع المساواة بين الناس . وفي ذلك تعويض عن النقص
القديم الذى كان يستولي عليه دائما . فاذا رأى ان الموت عام في البشر جميعا لا
يستثنى منهم احدا ، وان فيه يستوى الحر والمولى ، والغنى والفقر ، والقوى

(١) الديوان ١٨٦

(٢) الديوان ٣٤

والضعيف ، وسيان فيه ذو الاصل الكريم وذو الاصل الوضيع ، بردت سموم
نقمته بعض الشيء ، وتطلع الى المجتمع يبتغى بترهيبه بالموت تعطيل جهوده والدعوة
الى القنوع والكفاف على امل المساواة بمن اعجوه اللحاق بهم ثروة او همة او علماً ،
وليتفنن ما شاء له التفنن في تصوير احوال الموت وتفاهة الحياة ، وليقض على آخر
خيوط من خيوط الآمال في النفوس :

غداً تخرب الدنيا ويذهب اهلها	جميعاً وتطوى ارضها وسماؤها
ترقى من الدنيا الى اى غايــــــــــــة	سموت اليها فالنأيــــــــــــا وراءها (١)

وانه ليجعل من نفسه مثلاً على الانخداع بالدنيا والسهر عن الموت ، ليناح له ان
يوسع المجتمع في شخصه لوما وتقرعها :

نسيت ميتتي وخذعت نفسيــــــــــــي	وطال علي تعميري وغرسي
وكل ثمنية اصبحت اغلــــــــــــي	بها ستباع من بعدى بوكــــــــس
وما ادرى وان املت غمــــــــــــرا	لعلي حين اصبحت لست افســــــــي
وساعة ميتتي لا بد منهــــــــــــا	تعجل منقلي وتحمل حبــــــــسي
اموت ويكره الاحباب قرــــــــــــي	وتحضر وحشتي ويغيب انســــــــي (٢)

حتى يصل الى الذين يبغى الوصول اليهم من المتفوقين عليه بين غني :
الا يا ساكن البيت الموشــــــــــــي ستسكنك المنية بطن رمــــــــس (٣)

وصاحب سلطان :

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس	وان تمنعت بالحجاب والحرس
فما تزال سهام الموت نافــــــــــــة	فسي جنب مدبرع منها ومتــــــــرس (٤)

(١) الديوان ١٠

(٢) الديوان ١٢٨

(٣) الديوان ١٢٨

(٤) الديوان ١٣٣

وانه ليذكره كما يذكر كل طاع وذا بطيخ ، وانه ليتوسل باعادة الالفاظ والمعاني
 والتشديد بالغابر من الى اشاعة الذعر والجزع :

والمنايا تبديد كل العباد	المنايا تجوس كل البلاء
مثلما نلنا من ثمود وعداد	لتنالن من قرون أراها
هن اثنين من مضي من اباد	هن اثنين من مضي من نزار
اهل القباب والاطراد	هل تذكرت من خلا من بني الاصفر م
سان ارباب فارس والسواد	هل تذكرت من خلا من بني سا
ن السبيع الاعراض والاجناد	اهن داود ايسن سليم
بسلطانه مذل الاعساد	م راكب الريح قاهر الجن والانس
ن وهامان اين ذو الاوتاد	اين نمرود وابنه اين قنار
ودليلا على سبيل الرشاد	ان في ذكرهم لنا لا عتبارا
(١) ثم لم يحد روا عن الايسراد	وردوا كلهم حياض المنايا

وان في ذكره لهم كذلك لعوضا عما يفوته من قوة امثالهم وعزهم . وعزاه ذلك
 الموت الذي سوى بين الخلق جميعا ، وقضى على نوارق المجد التي طالما آلمت
 ابا العتاهية وآذته ، فليسرف في التشائم ، وليغال في تحقيق الحياة والتفكير منها
 مستعينا على ذلك بتصوير افانين الردى . ولكنه بالرغم من هذا الشعور الرضي
 الذي يسيغه عليه الموت ، لا يزال - اذا ما خلا بنفسه - يقشعر لهولده بدنه
 ويمتثل اشكالا والوانا . وهذا مظهر آخر من مظاهره التي يتصيد ها ويدلل عليها :

(٣) - غدر الموت :

في الحين الذي يرحب فيه ابو العتاهية بالموت ، داعية مساواة ورسول

عدالة انسانية ، تجده منكرا عليه غدره :

فلله دار ما احبّت رحيلها	وما اعرض الآمال فيها واطولا
وكم من ذليل عزّ من بعد ذلّة	وكم من رفيع صار في الارض اسفلا
وكم من عظيم الشأن في قعر حفرة	تلحف فيها بالثرى وتسريلا (١)

وانه ليشمئز من هذا الموت الذي لا يرى ذمة ولا يخفر عهدا . كأنسي به

وقد تمثل نفسه بين يدي ملك الموت يقوده الى النهاية التي قاد اليها الذين

رأى في موتهم بعض المساواة :

فكم من عزيز قد رأينا امتناعه	فدارت عليه بعد احدى الدوائر
وكم ملك قد رُكّم التراب فوقه	وعهدى به بالامس فوق المنابر (٢)

فليعلين موقفه من دهره القلب ، وليكرر في ذلك اللفظ او المعنى او كليهما معا :

ايا عجا للدهر لا بل لربه	يخرم ربه الدهر كل اخا
وشتت ربه الدهر كل جماعسة	وكدر ربه الدهر كل صفا (٣)

وليحسن تصويره في قوله :

المت ترى للدهر نقضا وابراما فهل تم عيش لامرئ فيه او داما

(١) الديوان ٢١٢

(٢) الديوان ١٠٠

(٣) الديوان ٢

لقد ابت الايام الا تقلبا
ونحن مع الايام حيث تقلبت
لترفع ذا عاما وتخفص ذا عاما
فترفع اقواما وتخفص اقواما (١)

اذن فليسيء الظن بالدهر ، وليوجس منه خيفة ،
فلا توطن الدنيا محلا فانما
مقامك فيها لا ابا لك اياما (٢)

وفي نفس ابي العتاهية من دهره ندي جروح قديمة ، لا يزال يتحسس مواضعها وآثارها
كلما جدد له الدهر عهد الغدر ، ولكنه قد بلاء فادرك كنهه ووقف على حقيقته ،
اني حلبت الدهر اشطره
فأرأيت له لم يصف لي حلبه
فتوقى دهرك ما استطعت ولا
تغرك فضته ولا ذهبه (٣)

وان له من حسن تفهيمه للامور ، وطول تعرضه بشؤون دنياه ، ما يخفف عليه وقع الواقع المؤلم .
اسمعه ينشد هذا المعنى البسيط الذي لم تحجب بساطته ما فيه من نباهة الفكر والمعية
الرأى ، ولم تقص فيه على اصالة التعبير :

لا تعتبين على الزمان فما
ولئن عتبت على الزمان لما
عند الزمان لعاتب عتبي
يأتني به فقل ما ترضى (٤)

ويوجز لك نظرتيه الى دهره ببيت واحد رشيق :
أأمنت الموت والموت يابس
بك ولا يام الا انقلاها (٥)

(١) الديوان ٢٤١

(٢) الديوان ٢٤١

(٣) الديوان ٣٤

(٤) الديوان ٥

(٥) الديوان ٢٨

د هـ ر خ و ن ، قلب ، غادر ، يكمن فيه الموت ويترى الغناء . فليتعظ به ، ولينفذ منه يديه ، وليتحول الى عالم يجهله لعل له فيه املا وعزاء - الى العالم الآخر -

ابو العتاهية والآخرة :

طفا مع ابي العتاهية في دنياه يائسا متشائما مذعورا ، يخيفه الموت .
ثم شاهدناه وقد تخلى عن دنياه واتجه بذهنه الى ربه يسأله حسن العقبى في
الآخرة . فقد ربط اذن بين الموت والآخرة ، وتلمس في هذا الشبح العزاء يتمثل
بالعظة يزوده بها هذا الموت . فاذا سمعته يندد بالموت ، ويعدد سؤات الحياة ،
ويحث على التزود للآخرة ، فاعلم انه يعتصم بالآخرة خوفا من الموت وهلعا :

كأن الموت قد نـزـلا	ففرق بيننا عـجـلا
كفى بالموت موعظـة	ومعتبرا لمن عـقـلا
الا يا ذا كرا الامـسـل	الذي لا يذكر الاجـسـلا
وما تنفك من مشـسـل	لمعك ضارب مشـسـلا
وحيلتك التي للمـسـو	ت في ان تحسن العمـسـلا (١)

وهذا المعنى توضحه الابيات الآتية :

الا في سبيل الله ما فات من عمرى	تفاوت ايامي لعمرى وما ادرى
فلا بد من موت ولا بد من بلى	ولا بد من بعث ولا بد من حشر
وانا لنبلى ساعة بعد ساعة	على قدر الله مختلف يجزى
وما هي الا رقدة غير انـسـلا	تطول على من كان فيها الى الحشر (٢)

(١) الديوان ٢٢٥

(٢) الديوان ٩٩ - ١٠٠ وواضع في هذه الابيات ايمانه بالبعث والحشر وهو

معنى انكره عليه غير واحد من الباحثين .

فلتكن الحياة اذن جسرا يعبر عليه الى العالم الثاني . ولكنه جسر غير
مؤثل الاسس ولا موطد الدعائم ولا مأمون الجوانب . وقد يفترسك ما يحف به
من مفاتن على ان ترتاده لتسرف منه على آفاق من اللذائذ ، وقد يقوى على حملك
فترة من الزمن ، ولكنه سينهار بك في يوم من الايام لا محالة . فاذا اشرقت
عليك الشمس من جنباته فلا تحسبها بشيرا بنهار يصحبك فيه السعد ، واذا
هبت عليك النسمات فلا تخالنها وسيلة توصلت بها الدنيا لتبردك بنسائمها :

الست تراك كل صباح يـرم
لعمرك ما تهب الريح الآ
تقابل وجهه نائبة تدوب
نعاك مصراحا ذاك الهبوب (١)

ولكنه الموت مائل في ذلك كله :

هو الموت الذي لا بد منه فلا يغلب بك الامل الكاذب (٢)

فما دام قد وطد عزمه على التوجه الى الآخرة بكل ما يملك من قوة وبأس ، فليتزود
لها بالتقى وهو المفتاح الذي تفتح به مصاريع ابوابها ، والسلاح الذي يقارع به
خوفه وجزعه :

وما لا مرمى من نفسه وتليده
وطارفه الا تقاء وبذلك (٣)

لا مال ولا جاء ، ولا حسب ولا مجد ، ولا شيء مما يتنافس عليه الناس في الدنيا
ينفع في الآخرة :

يا بانسي الدار المعد لها
ومهد القرش الوثيرة لا
ماذا عملت لدارك الاخرى
تغفل قراشي الرقدة الكبرى (٤)

(١) الديوان ١٦

(٢) الديوان ١٧

(٣) الديوان ٢٣٥

(٤) الديوان ٥

وكثير ما ينفع في الدنيا قد فات ابا العتاهية ، فلا بدع ان احس برضى وهويهم
من شأنه وينفر منه ، ولا بدع اذا اعاضته عنه الدعوة الى التقى . فليأخذ في تزينتها
وتصوير محاسنها وليفر بها :

اشد الجهاد جهاد السورى وما كرم المرء الا التقى (١)

وما كرم المرء عزولا نراء :

وكل طريف له لذة
ولا شىء الا له آفة
وليس الغنى نسب في يد
وكل تليد سريع البلى
ولا شىء الا له منتهى
ولكن غنى النفس كل الغنى (٢)

واذا كان الموت قد القى في قلبه الرعب وزهده في الحياة ، فانه لم ينسه الآخرة ولم
يزهده فيها :

يا عين قد نمت فاستنبهي
اكره ان القى حمامي ولا
لا بد من موت بدار البلى
ما اجتمع الخوف وطيب المنام
بد لحى من لقاء الحمـام
والله بعد الموت يحى العظام (٣)

بل انه ليخاف الآخرة كما يخاف الموت :

الموت باب وكل الناس داخله
الدار جنة خلد ان عملت بما
يا ليت شعري بعد الباب ما الدار
يرضى الآلة وان قصرت فالنار (٤)

فلا مال الا مال التقى :

وما لك غير تقوى الله مال وغير فعالك الحسن الجميل (٥)

(١) الديوان ٣

(٢) الديوان ٣

(٣) الديوان ٢٣٨ وتلاحظ الاشارة الى البعث في البيت الاخير .

(٤) الديوان ٩٦ وفي هذا البيت كذلك اشارة واضحة صريحة الى البعث .

(٥) الديوان ٢٠٥

ولا ثياب إلا ثياب التقى :

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى تغلب عريانا وإن كان كاسيا (١)

ولا شيء مما يتنافس عليه الناس معادة إلى الفخر إلا التقى :

لا فخر إلا فخر أهل التقى غدا إذا ضمهشم المحشـر
ليعلمن الناس أن التقى والبر كانا خيرا ما يذخـر
ما أحق الإنسان في فخـره وهو غدا في حفرة يقبـر
ما بال من أوله نطفـة وجيفة آخره يفخـر (٢)

ففي التقى الفخر كله :

إلا أنما التقوى هي العز والكـرم وحبك للدنيا هو الذل والعدم
وليس على عبد تقى نقيصـة إذا صحح التقوى وإن حاك أو حـجم (٣)

وابوالعناهية قد حجم وعيب عليه ذلك ١ فان فاتته في ذلك شرف ، ففي تقوى الله

كل الشرف :

وإذا اتقى الله امرؤ واطاعـه فيداه بين مكالم ومعـال
وعلى التقى إذا ترسخ في التقى تاجان : تاج سكينـة وجـلال (٤)

ولا تنس تقوى امرئ بدون قناعة :

نعم الغرائض الأرض قانع بـه ولكن عن الشر قصير الخطـا (٥)

(١) الديوان ٢٩٩

(٢) الديوان ١٠٣

(٣) الديوان ٢٤٣

(٤) الديوان ٢٩٥

(٥) الديوان ٦

ابو العتاهية ونفسه :

ما دام مذهب ابي العتاهية في الحياة قوامه الخوف من الحياة والتنفير منها ،

فليخل بنفسه يتدبر امر هذا النسق من المعاش ، وليقنع قبل كل شيء :

رجعت الى نفسي بفكري لعلها	تفارق من قد غرّها واذا لها
فقلت لها يا نفس ما كنت آخذًا	من الارض لو اصبحت املك كلها
فهل هي الا شبعة بعد جوعة	والا متى قد حان لي ان املكها
ومدة وقت لم يدع مرما مضى	علي من الايام الا اقلها
ارى لك نفسا تبتغي ان تعزها	ولست تعز النفس حتى تذلهـا (١)

ففي هذه القناعة عزاء لنفسه ، وفيها المفر من وجه الحياة المتجهم بالفناء :

ما قنع ما بقيت بوقت يـمـمـم	ولا ابغي مكثرة بمـال
تعالى الله يا سلم بن عمرو	اذل الحرص اعناق الرجال
هب الدنيا تساق اليك عفوا	اليس يصير ذاك الى الزوال ؟
فما ترجو بشيء ليس يبتس	وشيك ما تغيره الليالي
وحقك كل ذا يفنى سريعا	ولا شيء يدوم مع الليالي (٢)

وحياة فيها فناء ، كثير عليها الكفاف في اعتقاد ابي العتاهية :

حسبك ما تبتغيه القوت ما اكثر القوت لمن يموت (٣)

ويرافق معنى القناعة عند ابي العتاهية معنى الاستسلام واطراح المطامع :

على الناس بالتسليم والبر والرضا فما ضاقت الحالات حتى توسعت (٤)

(١) الديوان ٢٣٠

(٢) الديوان ٢٠٦ - ٢٠٧

(٣) الديوان ٣٤٦

(٤) الديوان ٤٩

وهي قناعة مصدرها اليأس قبل كل شيء ،

جمعت من الدنيا وحزت ومنيتنا	وما لك إلا ما وهبت وامضيتنا
وما لك مما يأكل الناس يغير ما	أكلت من المال الحلال فاقنيتنا
وما لك إلا كل شيء جعلته	أما لك لا شيء لغيرك ابقيتنا
وما لك مما يلبس الناس غير ما	كسوت والا ما لبست فابليتنا

(١)

ولا تتم التقوى بدون الصبر ،

وليس للمرء ما تمنى	وليس للمرء ما تخشى
هون عليك الأمور وأعلم	أن لها موردا ومصدرا
واصبر إذا ما بليت يومنا	فإن لها ما قد سلمت أكثر

(٢)

وانها لتحسن وتكمل باعتزال الناس • واليك فلسفة ابي العتاهية في ذلك يجملها

بهذه الرصية :

رغيف خبز يا بس	تأكله نسي زاوية
وكوز ماء بارد	تشربه من صافية
وغرفة ضيقة	نفسك فيها خالية
او مسجد بمعزل	عن الزور في ناحية
تدرس فيه دفترا	مستندا بسارية
معتبرا بمن مضى	من القرون الخالية
خير من الساعات في	في القصور العالية
تعقبها عقوبة	تلهي بنار حامية
فهذه وصيتي	مخبرة بحالتي
طوبى لمن يسمعها	تلك لعمرى كافيته
فاسمع لنصح مشفق	يدعى ابا العتاهية

(٣)

(١) الديوان ٤٦

(٢) الديوان ١١٨

(٣) الديوان ٣٠٤ - ٣٠٥

فعنده ان زهده ناقص ما لم ينفذ يديه مرة واحدة من غرام الدنيا وساكنيها :

يظن الناس بي خيرا واني	لشر الناس ان لم تعرف عنسي
اجن بزهرة الدنيا جنونا	وانسي العمر فيها بالتمنسي
ويمن يدي محتبس ثقبيل	كأنني قد دعيت له كأنسي
ولو اني صدقت الزهد قهلا	قلبت لاهلها ظهر المجهن (١)

ففي هذه العزلة - كما رأيت - النجاة من الدنيا ، والمسلوان عن شرورها . فاذا ما خلا ابوالعناهية بنفسه ، وقد اعتزل الدنيا وعكف على التأمل ، فليقلب نظره في ما حوله ، وليجمل قليلا في ارجاء نفسه ينقذها من الآثام والمعاصي ، وسلاحه في ذلك زجر النفس وتبكيها والانابة الى الله . وفي الحق ان من هذه القوائد ما يوحى بروحانية خالصة تلامس اعماق النفس :

لا بكين على نفسي وحق لي	يا عين لا تبخلي عني بعبرتي
لا بكين على نفسي فتسعدني	عين موقرة تبكي لفرقتي
لا بكين ويبكي نفسي ذرو ثقتي	حتى المات اخلائي واخوتي
لا بكين فقد جد الرحيل الى	بيت انقطاعي عن الدنيا ورحلتي
امسي واصبح في لهو وفي لعب	ما ذا اضيع في يومي وليلتي
يا نفس ويحك ما الدنيا بياقية	فشرى واجعلي في الموت فكرتي
اشكو الى الله تضيقتي ومسكنتي	اشكو الى الله تقصيري وقصوتي (٢)

وليتبصر في احوال الدنيا ، وليستغفر ربه على ما قدم من ذنوب :

سبحان علام الغيوب	عجبا لتصريف الخطوب
تعري فروع الانس بي	وتجتني ثمر القلوب
حتى متى يا نفس تغتبر	ين بالامل الكذب
يا نفس توبسي قبل ان	لا تستطيعي ان تتوبسي
واستغفري لذنوبك	الرحمان غفار الذنوب (٣)

(١) الديوان ٢٦٣

(٢) الديوان ٣٠٠ - ٣٠٢

(٣) الديوان ٣١

وانهما لذنوب كثيرة ،

فاغفر ذنوبي انهما جمعة

واستر خطائي انك الساتر (١)

وليكرا آلاء الليل واطراف النهار التضرع لله ، والندم على ما اقترف من شرور ، نشيدا روحانيا

رائعا :

الهي لا تعذبني فاني
وما لي حيلة الا رجائي
فكم من زلة لي في البرايا
اذا فكرت في قدسي عليها

مقر بالذي قد كان مني
وعفوك ان عفوت وحسن ظنني
وانت علي ذو فضل ومَنَّ
عضضت اناملي وقرعت مني (٢)

فيه الاقرار بالانتم والخوف من حساب الله :

ليت شعري غدا اأعطى كتابي

بشمالي لشقوتي ام يميني (٣)

ومن الحق بعد هذه الجولة الطويلة في زهدياته ، ان نلمس شعث هذه المعالم

الزهدية ، ونتبين طريقه الزهدي بنظرة عابرة . فجماع القول في نظرته الى الحياة

ان لا خير فيها والموت يشوهها ويكدس صفوها . فاذا كان المرء فيها غابر سبيل فليقطع

صلته بها ، وليضن عليها بالجهد والسعي .

اما نظرته الى الموت ، فخلاصتها ذلك الخوف الشديد والرغبة البالغة للذات

يسيطران عليه ، ويحملانه على تصوير الموت صورا عديدة منكرة ، فاذا به مكب على وصف

اهواله ، ثم لا يلبث ان ينفلت من ذلك الى التحذير منه والاعتاظ به ، والتخلي لاجله عن

الدنيا ، والاستعداد للحياة الصحيحة - الحياة الاخرى - بالتقى والعمل الصالح ، واطراح

(١) الديوان ١٢٠

(٢) الديوان ٢٦٣

(٣) الديوان ٢٦٣

الميل للدنيا بتذليل النفس وترويضها على القناعة والصبر والاستسلام ، والعكوف على الوحدة ، والاستغفار .

ولعلنا محقون في زعمنا - بعد ما رأينا من زهد - ان زهدا يخلو من المبادئ ولا يحمل فلسفة . ولقد صدق الاستاذ المقدسي حينما وصفه بقوله " وكان في شعره يقلد الزهاد ورجال الدين تقليداً " (١) . قالوا قبح الله ان لم يجد فيما قاله حدود الوعظ والنصح ، والتبشير والوعيد . ذلك انه خلو من التأمل والفكر . فانت اذا تقرأ لزوميات ابي العلاء المعري مثلاً ، تستطيع ان تخرج من معظمها بمنهج له ايجابي في الحياة كما في قوله :

الدين انصافك الاقوام كلهم والمرء يعييه قود النفس مصحبة وصومه الشهر ما لم يجن معصية	واي دين لا يسي الحق ان وجبا للخير ، وهو يقرود العسكر اللجبا يغنيه عن صومه شعبان او رجبا (٢)
--	---

او :

الدين هجر الفتي للذات عن يسر	في صحة واقتدار منه ما عمرا (٣)
------------------------------	--------------------------------

فقد حدد الدين ، ورسم مفهومه العملي له في الحياة ، او قل وصف لك منهج الحياة

كما يراه :

فلا تأكلن ما اخرج الماء ظالما ولا بيضامات ارادت صريحه ولا تفجعن الطيروهي غوافل ودع ضرب النحل الذي بكرت له فما احزته كي يكون لغيره مسحت يدي من كل هذا فليتنسي	ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح لاطقالها دون الغواني الصرائح بما وضعت فالظلم شر القبايح كواسب من ازهار نبت فوائيح ولا جمعت له للندى والمنايح ابدت لشأني قبل شيب المسائح (٤)
---	---

(١) امراء الشعر ١٢٢

(٢) اللزوميات ١٥ / ١

(٣) اللزوميات ٣٦١ / ١

(٤) اللزوميات ٢١٨ / ١

هذه هي العدالة في منطقة « فاذا تزهد ابو العلاء ، وعزف عن الدنيا ، فانما لينفرد بنفسه ، يفكر ويتدبر ، ويقلب النظر في الوجود ومشكلاته ، ويرسم طريق النجاة . فهو في زهد ايجابي بناء ، في حين ان ابا العتاهية سلبى يتبسط العزائم ، ويخور الهم . ايمن الفلسفة حين يبصر الناس بشرور الدنيا ويحثهم على اعتزالها ؟ »

الم نرى دنيا تصرف حالك	وغدرك يا دنيا بناء وانتقالك
فلست بدار يستتم بك الرضا	ولو كنت في كرف امرى بكمالك
حرامك يا دنيا يعود الى الفنا	وذو اللب فينا مشفق من حلالك (١)

او حين يذكرهم بالموت فيدعوهم الى الاعراض عن الدنيا ورفضها ؟ »

الا نحن في دار قليل بقاءها	سريع تداعيلها وشيك فناؤها
نزود من الدنيا التقى والنهى فقد	تنكرت الدنيا وحان ^{الرفق بها} اعتزالها
غدا تخرب الدنيا ويذهب اهلها	جميعا وتطوى ارضها وسماؤها
ترقى من الدنيا الى اى غاية	سموت اليها فالمنيا وراءها (٢)

فزهده من هذه الناحية تشخيص جزئي ، وليس تشخيصا كاملا ، للمرض . اما العلاج فلا يصفه لك . يقول لك ان الناس غافلون ، جشعون ، مخادعون ، ولكنه لا يشير لاصلاحهم بغير الوعظ المعاد . وعبوب مجتمعه التي يندد بها لا تصور مجتمعه بالذات ، ولكنها تنطبق على اى مجتمع فاسد - غدر ومكر ورأى - وفقدان وفاء ، وتطاحن على حطام الدنيا . و اى مجتمع بشري لا يتعاقب عليه الغدر والمكر والرأى ، ولا يتنافس فيه الناس على الحطام ؟ انقول ان مجتمعه ليس مجتمعا معينا بالذات ،

(١) الديوان ١٨٨ - ١٨٩

(٢) الديوان ١٠٨

ولكنه الحياة كلها ؟ انقول ان نقائص هذا المجتمع انما هي نقائص الحياة باكملها ؟
 ومع ذلك فماذا رأى في هذه الحياة من نقائص الا القناء والزوال والاماني الباطلة ؟
 وماذا ارتأى من علاج لذلك ؟ عملا صالحا في عزلة عن الدنيا ، وتأهبا
 للقاء الله بالتقوى ، اى الموت . وهكذا جاء زهده ضحلا ، فاقع اللون ، محدودة
 معانيه وعادية مكررة . وهو الى الموعظة اقرب منه الى الحكمة والتأمل . ثم انه
 لم يأت بجديد في هذا الزهد ، فإى زاهد عادى كان حريا ان يجد ما وجده ابو العتاهية
 من ختل الدنيا ومكرها ، وفناء البشر ، وضياع المنى . اما الجديد ، فالالفاظ تصوغ
 المعاني الواحدة بقوالب شتى ، والبحور المختلفة تنتظم الفكر الواحدة . فقد تغنيك
 قصيدة واحدة عن ديوانه كله " . . . ولكن ابا العتاهية اتى في هذا الباب بما لم يسبق
 اليه ، وزاد في معانيه زيادة بشار وابي نواس في ادب اللهو والمجون . واضح تعبير
 في ذلك ان نقول انه فلسف الزهد ، وملا الادب العربي - في عصره - بالموت
 والتخويف منه وما بعده ، واحتقار اللذة والجد في الهرب منها . . . وشعر لجمهور الناس
 لا للخاصة . . . وقد كان لشعره صبغة دينية علمية فلسفية . . . " (١) . وكان
 شعره فيه ذلك الشعر السهل الجميل الذى وصفه المبرّد اوجز وصف واجملته وابلغته
 حين قال " كان يخرج القول منه كمخرج النفس قوة وسهولة واقتدارا " (٢) . ولن نستطرد
 في تقويم هذا الزهد الآن ، وفي الحكم عليه ، فان ذلك محله الفصل القادم .

(١) ضحى الاسلام ١٩٤/١ - ١٩٥

(٢) راجع ضحى الاسلام ١٩٥/١

- الفصل الرابع -

- ؛ -

ختم القول في زهد ابي العتاهية

قلنا في فصل سابق ان الباحثين ، قدامى ومحدثين ، مجمعون على ان ابا العتاهية قد ختم حياته بالزهد . ولكنهم في تأويل هذا الزهد طائفتان : طائفة المصدقين ، وطائفة المكذابين . فالتقضية اذن عبارة عن هجوم ودفاع . ولا يصح حكم قبل ان نقف على حجج كل فريق وبراهينه . فلنستمع الى بعض روايات الغريقيين .

من ذلك رواية يرويها صاحب " الاغانى " بسند عن الحسن بن محمد عن هارون بن مخارق عن مخارق المغني ، قال : " جاءني ابو العتاهية فقال : قد عزممت على ان اتزود منك يوما تهبه لي ، فمتى تنشط ؟ نقلت متى شئت ، فقال : اخاف ان تقطع بي ، نقلت : والله لا فعلت ، وان طلبني الخليفة ، فقال يكون ذلك في غد ، نقلت : افعل . فلما كان من غد باكرني رسوله فجئته فادخلني بيتا له نظيفا ، فيه فرش نظيف ، ثم دعا بمائدة عليها خبز سميد وجاؤنا بفاكهة وريحان والوان من الانبذة ، فقال : اختر ما يصلح لك منها ، فاخترت وشربت وصب قدحا ثم قال : غنني في قلبي فغنيت فشربت قدحا وهو يبيكي احربكا وما زال يفتح علي كل صوت غني به في شعره فاغنيه ، ويشرب ويبكي حتى صار العتمة ، فقال : احب ان تصبر حتى ترى ما اصنع فجلست ، فامر ابنه وعلامه فكسرا

كل ما بين ايدينا من النبيذ وآلته والملاهي ، ثم امر باخراج كل ما في بيته من النبيذ وآلته ، فاخرج جميعه ، فما زال يكسره ويصب النبيذ وهو يبكي حتى لم يبق من ذلك شي ، ثم نزع ثيابه واغتسل ثم لبس ثيابا بيضا من صوف ، ثم عانقني وبكى ثم قال : السلام عليك يا حبيبتي وفرحي من الناس كلهم سلام الفراق الذي لا لقاء بعده ، وجعل يبكي وقال : هذا آخر عهدى بك في حال تعاشر اهل الدنيا . . . " (١)

واننا نستطيع على الرغم من الصنعة والرومانطيقية الباديتين في هذه الرواية ، وعلى الرغم من السذاجة البالغة ان نستنتج امورا قد تلقى بعض الضوء على هذه القضية الشائكة . من ذلك ان الرجل كان مقبلا على الدنيا ولمذاتها ايما اقبال ، وهذا مما اخذه عليه المشككون في زهده . ومن ذلك ان في تعليل زهده غمضا لم يجل . ولا نستبعد ان تكون الرواية كلها من نسج راوية فسيح الخيال . وهذه رواية اخرى فسي " تاريخ بغداد " تتميز بالوضوح ، وتشرك الاولى في سذاجتها " . . . قلت لابي العتاهية ما الذي صرفك عن قول الغزل الى قول الزهد ؟ قال : اذا والله اخبرك اني لما قلت :

الله ببني وبين مولاتي	اهدت لي الصد والملاهي
منحتها مهجتي وخالصتي	فكان هجرانها مكافاتي
هيمنني حبها وصيرني	احدوثة في جميع جاراتي

رايت في المنام في تلك الليلة كأن آتيا اتاني فقال : ما اصبحت احدا تدخله بينك وبين عتبة يحكم لك عليها بالمعصية الا الله تعالى ؟ فانتهت مذعورا ، ونبت الى الله تعالى من ساعتني من قول الغزل " (٢)

(١) الاغانسي ١٠٧/٤ - ١٠٨

(٢) تاريخ بغداد ٢٥٨/٦

لننح وهن الرواية وضعفها جانبا ، ولنقبل مثل هذا التعليل السطحي .
 بيد ان ابا العتاهية لم يتبع قول الغزل . ألم يحبس الرشيذ ويضربه لما اى
 ان يقول غزلا ، فاذعن ؟ (١) ، ثم ان الامتناع عن قول الغزل غير التزهّد . ومع
 ذلك فان "نكلسون" يقول في هذا الصدد - ما فحواه - " ان حبسا بسي
 العتاهية لما اى ان يقول غزلا ، ما هو الا - كما رجح "غولدزهر" - تأويل
 شعبي قريب لاصراره على قرض الشعر الديني الذي كان يعد خطرا من حيث اتجابه
 الى التفكير الحر " (٢) .

ومهما يكن من امر ، فالذى تعلنه مثل هذه الروايات - وهي متشابهة فسي
 فحواها وفي سداجتها وافتقارها الى التحليل والاستقراء ، ان الرجل كان على شيء
 من التزهّد . نتبين هذا ايضا في ثنايا نصوص مختلفة . من ذلك نص ورد فسي
 " الاغانى " قال محمد بن امية : " كنت جالما بين يدي ابراهيم بن المهدي ،
 فدخل اليه ابو العتاهية وقد تنسك ولبس الصوف وترك قول الشعر الا في الزهّد . . . (٣)
 وفي " مروج الذهب " انه تنسك ولبس الصوف على اثر فضله في حب عتبة (٤) .

اما الحجة الاساسية التي يحتج بها المتشككون في زهده ، فتعبر عنها هذه
 الرواية تعبيرا حسنا : " انشد المأمون بيتا بي العتاهية يخاطب سلما الخاسر :
 تعالى الله يا سلم بن عمرو
 اذل الحر من اغناق الرجال

(١) الاغانى ٢٩١/٤ ، ٦٢ ، ٦٨

(٢)

Nicholson , A Literary History of the Arabs, 298

(٣) الاغانى ١٢/١٤٥ ، راجع ايضا الاغانى ٢٩١/٤ ، ٦٢ ، ٦٨

(٤) مروج الذهب ٦/٢٢٣ - ٢٢٦

فقال المأمون : ان الحرص لنفسك للدين والمرءة . والله ما عرفت من رجل قط
حرصا ولا شرها قرأيت فيه مصطنعا . فبلغ ذلك سلما فقال : ويلسي على المخت
الجزار الزنديق ، جمع الاموال وكثرها وعبأ البدور في بيته ثم تزهد مرااة ونفاقا
فاخذ يهتف بسي اذا تصديت للطلب" (١) ورد عليه سلم بهذه الابيات :

ما اقبح التزهيد من واعظ	يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزيده صادقا	اضحى وامسى بيته المسجد
ويرفض الدنيا ولم يقنعها	ولم يكن يسعى ويسترفد
يخاف ان تنفد ارزاقه	والرزق عند الله لا ينفد
والرزق مقسوم على من تـرى	يناله الابيض والاسود
كل يوفى رزقه كاملا	من كف عن جهد ومن يجهد (٣)

فالذي يلوح ان ابا العتاهية كان رجلا حرصا على الدنيا ، مقبلا عليها . أليس
هذا ما توحى به رواية المسعودي من ان تنسكه كان نتيجة اخفاقه في الوصول الى
عتبة ؟ ... وهذا عليه (على الرشيد) ابو العتاهية وهو لا يشك في
الظفر بها . فقال له الرشيد : والله ما قصرت في امرك . ومسرو ، وحسين ،
ورشيد ، وغيرهم شهود لي بذلك . وشرح له الامر . قال ابو العتاهية : فلما اخبرني بذلك
مكثت مليا لا ادري اين انا ثم قلت له : الآن يشمت منها اذ ردتك ، وعلمت انها
لا تجيب احدا بعدك . فلبس ابو العتاهية الصوف وقال في ذلك من ابيات :

(١) الاغانى ٧٥ / ٤

(٢) واضح ان البيت يكسر هكذا . والصواب (ورفض) كما في سائر النسخ .

(٣) وفيات الاعيان ١٧ / ٢ . راجع كذلك معجم الادباء ٢٣١ / ١١ . وقد وردت بعض
هذه الابيات في " الاغانى " منسوبة الى الجمار ابن اخت سلم الخاسر هذا (٧٦ / ٤)

فقال المأمون : ان الحرص لمفسد للدين والمروءة . والله ما عرفت من رجل قط
حرصا ولا شرها فראيت فيه مصطنعا . فبلغ ذلك سلما فقال : ويلسي على المخت
الجزار الزنديقي ، جمع الاموال وكنزها وعبأ البدور في بيته ثم تزهد مرااة ونفاقا
فاخذ يهتف بي اذا تهديت للطلب^(١) ورد عليه سلم بهذه الابيات :

ما اقبح التزهيد من واعظ	يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقا	اضحى وامسى بيته المسجد
ويرفض الدنيا ولم يقنعها	ولم يكن يسعى ويمتد
يخاف ان تنفذ ارزاقه	والرزق عند الله لا ينفد
والرزق مقسوم على من تـرى	يناله الابيض والاسود
كل يوفى رزقه كاملا	من كف عن جهد ومن يجهد ^(٢)

فالذى يلوح ان ابا العتاهية كان رجلا حرصا على الدنيا ، مقبلا عليها . اليس
هذا ما توحى به رواية المسعودى من ان تمكنه كان نتيجة اخفاقه في الوصول الى
عتبة ؟ ... وغدا عليه (على الرشيد) ابو العتاهية وهو لا يشك في
الظفر بها . فقال له الرشيد : والله ما قصرت في امرك . ومسرور ، وحسين ،
ورشيد ، وغيرهم شهود لي بذلك . وشرح له الامر . قال ابو العتاهية : فلما اخبرني بذلك
مكنت مليا لا ادري اين انا ثم قلت له : الآن يثبت منها اذ ردتك ، وعلمت انها
لا تجيب احدا بعدك . فلبس ابو العتاهية الصوف وقال في ذلك من ابيات :

(١) الاغانى ٢٥ / ٤

(٢) واضح ان البيت يكسر هكذا . والصواب (ورفض) كما في سائر النسخ .

(٣) وفيات الاعيان ١٧ / ٢ . راجع كذلك معجم الادباء ٢٣١ / ١١ . وقد وردت بعض

هذه الابيات في " الاغانى " منسوبة الى الجمار ابن اخت سلم الخاسر هذا (٧٦ / ٤)

وخططت عن ظهر المطي رحالي
فغنيت عن حل وعن ترحــــــــــــــــال (١)

قطعت منك حبائل الآمال
ووجدت برد الياسمين جوانحي

وهكذا نرى ان الذين كذبوا زهد بنوا حكمهم على تاريخه الحافل باللهو والحرص
على الدنيا . ولكن ليس بين روايات الفريقين رواية يصح ان يقوم عليها الحكم في هذه
القضية ، سوى اشارات عارضة تطعن في زهد لحرصه او لتمسكه بالدنيا . قال
فيه ابراهيم بن المهدي :

والموت لا يسهو وقلبك ما هي
عن عينه قبل الممات تناهــــــــــــــــي
دبها وانت عن القيامة لاهي
والدار دار تفاخر وتباهــــــــــــــــي
تحتاجن لها فانك لاهــــــــــــــــي
تحتاج منك لها الى اشياء (٢)

ان المنية امهلتك عناهــــــــــــــــي
يا ويح ذى السن الضعيف اما له
وكلت بالدنيا تكيها وتــــــــــــــــي
والعيش حلوا والمنون مريــــــــــــــــرة
فاختر لنفسك دونهما سبــــــــــــــــلا ولا
اني رأيتك مظهرا لزهادــــــــــــــــة

وقصارى ما نجمله من مثل هذه الاشارات والروايات التي تطعن في زهد ، ان قوام هذا
الطعن ما عرف عن الرجل من حب للحياة وميل الى الاستمتاع بها . ولكن كلا الجانبين ،
جانب "الدفاع" وجانب "الهجوم" لم يستغرقا الجهد في اقامة البينة . فهذه
الروايات جميعا باستثناء التي ترد زهد الى نكبتة في غرامه ، لا تذكر سببا واضحا لتحوله
الى حياة الزهد . وخلاصتها انها - بما فيها التي تطعن في هذا الزهد - تعترف
ضمنيا بانه ختم حياته على نحو من التزهد ، وان يكن هذا التزهد في نظرها رثاء ومخادعة .

(١) مروج الذهب ٢٣٥/٦ - ٢٢٦

(٢) الاغانسي ١٠١/٤ - ١٠٢

فلننح جانباً هذه الروايات التي لن تكون لنا ذات غناء كبير ، ولننتلصص الامور في اصولها - في ابي العتاهية نفسه ، في عصره وشخصيته ومزاجه . ولن نعرض الى كل هذه المواضيع التي توسعنا في بسط بعضها في فصول قائمة سابقة ، الا بالقدر الذي يستلزمه منا سياق البحث .

اما عصره ، فنحن نعلم انه لم يغر بالتزهد فحسب ، ولكنه كان من احفل العصور الاسلامية بالزهاد . نفسي الوقت الذي كان فيه ابو نواس وشار وسواهما من زمرة المجان يعيشون في المجتمع العباسي فسادا وفسقا ، كان امثال ابراهيم بن ادhem ، وشقيق البلخي ، ورابعة العدوية ، والفضيل بن عياض ، وغيرهم من الزهاد يملؤونه صلاحاً وورعاً . وهكذا انبثق ضوء الردة الروحية من خلال دياجير المجنون الحالكة . فليس بالبدع اذن ان يكون العصر من العوامل التي اسهمت في تكوين نزعة شاعرنا الزهدية . وقد لا يكون زهد هذه ثورة خالصة على الفساد الخلقي ، او السياسي ، ولكنه من العوامل التي اهابت به لان يقف ذلك الموقف اليائس من الحياة . وعصره - في هذه الناحية - قد بلور هذا الموقف وجلى هذا اليأس ، وشجعه على التصدي للمجتمع في شعر زاهد مثائهم . فما لا شك فيه ان في مزاج الرجل استعداداً طبيعياً للتشائم والقنوط ، وان فيه خوفاً واضطراباً . وآية ذلك ، هذا الشعر الكبير الذي فرضه في تصوير احوال الموت ورهيته . فالواقع ان الموت لم يعد له - في ما عبر عنه - مجرد حقيقة قاسية يتعظ بها ويعظ ، بل غداً وسواساً ينخر في عظامه وشبحاً يطارد ، اينما حل وانى اتجه ، فلا يفتأ يرهب الناس به ويخيفهم ليحمرانه في حيرته وجزعه غير وحيده ، وليتسلى بخوفهم عن خوفه ، وليستأنس بمصائبهم . وان اية قصيدة

له في الموت لتتطرق بهذه الحال النفسية المضطربة :

أأغفل والمنايا مقبلات	عليّ ، واشترى الدنيا بدينــــي
ولو اني عقلت لطال حزــــي	وريت اخاء كسل اخ حزــــي
واظلمات النهار لحزن قلبي	ويت الليل مفترشا جبينــــي (١)

اصغ اليه يقول :

ارى الموت لي حيث اعتمدت كميناً	واصبحت مهموماً هناك حزينا
سبلحفتني حادى المنايا بمن مضى	اخذت شمالاً او اخذت يميناً
يقين الفتى بالموت شك ، وشكه	يقين ، ولكن لا يراه يقيناً
علينا عيون للمنون خفيــــــــة	تدب ديباً بالمنية فيــــــــة (٢)

اي ان ابا العتاهية مصاب - بلغة علم النفس - بـ "هستيريا الموت" والذعر منه .

فلا غرو اذا استمد من هذه الحال النفسية الشاذة مدداً يحارب به هذه الحياة التي لم تحمل اليه الا الرعب والخوف . يضاف الى ذلك ما كان يرافقه من احساس دائم بمركب النقص او الشعور بالضعة . ولقد رأينا انه عمد الى الدعوة الى التقى والزهد يعتاض بهما عن ضعة منشئه حين قال :

دعني من ذكرا ب وجــــــــد	ونسب يعلميك سور المجــــــــد
ما الفخر الا في التقى والزهد	وطاعة تعطي جنان الخلــــــــد (٣)

او حين زعم انه جلس يحجم تواضعاً للاجر . ونحن نعلم انه نشأ في اسرة كان منها الحجام والجزار ، فلن نستغرب اذا وجدناه يسخر اذ به الطييع ليسرف في تمجيد التقى

والقناعة ، وليقطع دابر المتقولين العائيين عليه الحجامه :

الا انما التقوى هي العز والكريم	وحبك للدنيا هو الذل والعدم
وليس على عبد تقى نقيــــــــة	اذا صحح التقوى وان حاك او حجم (٤)

(١) الديوان ٢٦٦

(٢) الديوان ٢٦٨

(٣) الديوان ٦٩

(٤) الديوان ٢٤٣

فمجل حاله النفسية ومزاجه وعصره ، جميع ذلك يغريه بالزهد • ولكن لماذا شك
معاصروه وغير معاصريه في صدق هذا الزهد ؟ قهارى ما حملته اليأس مطالعاتنا
في هذا الشأن ان شكهم قوامه :

— ماضيه الماجن

— الطعن في عقيدته

— اقباله على الحياة ونفوره من الموت

— بخله

اما ماضيه ، فالروايات مجمعة على انه كان ماجنا ، وان ابا العتاهية كان مختفا ،
فاسدا • (١) فاذا ما عدل عن الخمر واللغو الى النسك والصلاح ، فذلك في ظن زملائه
في الفتك والعبث رياء • وبعبارة اخرى ، فانه امر بعيد الاحتمال ، عسير التصديق •
فاذا عجب له نفر منهم ، وابتوا تصديقه لغرابته ، فليصموه بالزور والبهتان •

اما الطعن في عقيدته ، فقد كان بداع من الزعم بانه كان مذبذبا^(٢) في دينه ، وانه
مولى اتهم بالزندقة^(٣) • ولكن هذا الطعن لم يصح لان قضية عقيدته كلها لم يفصل
فيها بعد ، ولا يزال الباحثون في خلاف من امرها • اضاف الى هذا ان تهمة الزندقة
هذه لم تثبت • وفي "الآغانى" ان حمدويه صاحب الزنادقة ، بات طيلة احدى الليالى
يرقبه فلما أعجزه ان يجد عليه مأخذا ينس منه وانصرف خاسئا^(٤) •

(١) الآغانى ١ / ٤

(٢) راجع الآغانى ٦ / ٤

(٣) راجع الآغانى ٣٤ / ٤ ، ٣٥

(٤) الآغانى ٣٥ / ٤

وأما اقباله على الحياة ونفوره من الموت ، ففي حاجة الى بعض التفصيل : لا ريب في ان
 ابا العتاهية قد احب الدنيا واقبل عليها مدنفا كلفا • ولا ريب في ان الدنيا لم تواته •
 وهذا الاحساس بالحرمان من الدنيا ولد في نفسه النقرة عليها • فاذا كان في زهدياته
 ابيات توحى بالتمسك بالدنيا والنفرة من الموت والبكاء على الشباب ، فهذا في اعتقاده
 من قبيل التنديد بشدة يأسسه من الحياة ، وطول تمرسه باحوالها • فاذا بكى شبابه
 فليس معنى ذلك انه تمسك بالدنيا بقدر ما هو تصوير للمرارة التي خلفتها الحياة في
 اعماقه • خذ مثلا قوله :

يا عجب الدنيا لعين تعجبت	ويا زهرة الايام كيف تقلبت
تقلبني الايام بداء وعجوبة	تصعدت الايام لسي وتصوبت
وطابت ايامي على ما يروعني	فلم ار ايامي من الروع اعتبت
سانمي الى الناس الشباب الذي مضى	تخرمت الدنيا الشباب وشيبت (١)

تَرَ انه لا يرثي شبابه ولا يأس على ما فات من عمره ، ولكنه يجعل من هذا التأسى
 على الدنيا والشباب مظهرا من مظاهر الفناء الذي يرهب به الناس ويتوصل به الى الزهد •
 اسمعه يقول :

انما تنفي الحياة المنايا	مثلا ينفي المشيب الشبابا (٢)
توقن بانه لا يأسى على شبابه بقدر ما يأسى على ما ضاع من عمره سدى ، وهو في غفلة عن	
حقيقة الحياة • وصحيح ان في الابيات الآتية ما يوحي بانه عشق دنياه يوما :	

يا عاشق الدار التــــــــمي	ليست له بمواتيـــــــه
احببت دارا لـــــــم تـــــــزل	عن نفسها لك ناهيـــــــه
اترى شبابك عائـــــــدا	من بعد شببك ثانيـــــــه (٣)

(١) الديوان ٥١

(٢) الديوان ٢٩

(٣) الديوان ٣٠٣

ولكنه لا يسترسل في هذا العشق ، وإنما يتعظ بتجارسه السابقة القاسية ، ويجعل
 من سحر الدنيا واجتذابها للناس واغترارهم بها سلاحا يتسلح به في الدعوة إلى
 اعتزالها . ثم إن الزهد ليس حتما أن يقتل كل صبوة ، ويكس كل نزوة أو يبيت كل احساس
 بالوجود . والزاهد الحق ليس الرجل الذي يكذب نفسه ويدعي أن الدنيا من المباهج
 واللذائذ خلاء ، ولكن الزاهد الحق من اقرب بسحر الدنيا وسلطانها فاعرض عنها على
 عمد ، وقسا على نفسه على كره منها ورغبة إلى الاستمتاع بها . رأى زاهد ذلك الزاهد
 الذي لا يعد الطعام الشهوي مثلاً ، متعة وبهجة فيفتري على الطبيعة الكذب ؟
 رأى فضل له إذا امتنع عن شيء ينفر منه أصلاً . فابو العتاهية حين يقول في معرض زهدياته :
 لعمر أبي أن الحياة حلوة
 وللموت كأس يا لها ما امرها (١)

أو :

أجن بزهرة الدنيا جنونا وأنسى العمر فيها بالتمني (٢)

فليس ذلك اعتصاما بالحياة ، ولكنه تذكير بغرورها وبانخداعها ، وإذا قال :

الشباب أحدي الميتين تقدمت أحداهما وتأخرت أحداهما (٣)

فإنه لا يبكي لفرقة الشباب ولا يحزن لرؤية الشباب ، ولكنه يتعظ بيزوال الأولى واقبال الثاني :

الليل شيب والنهار كلاهما رأسي بكثرة ما تدور رحاهما
 يتأهبان لحومنا ودماؤنا ونفوسنا جهرا ونحن نراهما (٤)

فذلك وصف لقسوة الحياة وعتوها لا بكاء عليها . وإذا رأى الموت عاما في الناس فهتف :

ألا يا موت لم أر منك بـدا أتيت وما تحيف وما تحابي
 كأنك قد هجمت على مشيبي كما هجم المشيب على شبابي (٥)

فليس ذلك جزءا من الشيب ولكنه تعبير صادق عن قسوة الموت وجبروته . وهذا الخوف من الموت قد ينتقص من زهده ، ولكنه لا يطعن فيه . فقد يخشى احدنا الممرض فيعيش في قلق وحيرة ، وهو معافى دون ان تتأثر بنيتة بهذا الخوف . واذا وجد ان الناس قد انقضوا من حوله ، وقد ولت عنه الحياة بجمالها وقوتها ومغرياتها فانشد :

لله عقلي ما يزال يخونني	ولقد اراه وانه لمصيب
لله ايام نعمت بليتها	ايام لسي غصن الشباب رطيب
ان الشباب لنا فق عند السورى	ما للمشيب مخادن وحبيب (١)

فادرك ان في ذلك استفحالا لنزعة الزهدية . فانه يستعيد بهذه الابيات العناصر المختلفة التي اغترس بالزهد : لقد قلب النظر في دنياه ، وقد قضى فيها آثر سني حياته على نفسه وأحفلها بالخصب والنضرة ، سني الشباب ، فوجد ان الذين كانوا يسعون اليه انما كانوا يسعون الى شبابه وما يستتبع هذا الشباب من قوة ويسر ، ثم وجدهم وقد ولي عنه هذا الشباب ، قد انقضوا من حوله وتركوه قائل وحيدا . فلم لا يجعل من اساءه على تلك السنين التي خدع فيها اسي على الشباب الذي كشف له زواله عن حقيقة الحياة المرة ، وقد كانت عنه مستورة بخيوط واهنة زاهية ؟ ومع هذا فنحن لا نزع ان ابدا العتاهية كان في حياته الزاهدة منقطعا عن الدنيا كل الانقطاع . وسنرى فيما بعد ان مسلكه في حياته كان غير مسلكه في شعره .

واما بخله ، فهو من مظاهر حرصه على الدنيا . ولقد تواترت الانباء في ذلك كثيرا . والراجح ، بناء على هذه الروايات ، ان الرجل كان بخيلا . ولكن هل يضاد البخل الزهد وينفيه ؟ لنتساءل أولا لم كان أبو العتاهية بخيلا ؟ نحن نعلم انه نشأ نشأة خاملة معدمة ، وانه لم يزل يتحسس مواضع النقص فيه من ضعة نسب ، ووضاعة اصل ، وعوز .

فإذا ما اقبلت عليه الدنيا ، واشتد حرصه عليها ، فخلاله مد فروع بعاملتي الخوف والنقص ،
 الخوف من الايام البائسة الشديدة التي كابسد فيها الحرمان ، والنقص لكل تلك المعاني التي
 افتقدها في مطلع حياته . فلا غرو اذا كنز ماله وتقانى في الحرص عليه . وما لنا نؤغسل
 في الاستقصاء ، فدونا المثل الذي نشاهده كل يوم - الطفل المشوق الى الحلواء ، وقد
 حرسته امه من القدر الذي يشبع نهمه منها ، لا تكاد تمنح له لسانحة يجد في يده
 منها شيئاً ، حتى يستحيل شرباً عنيفاً ، لو تجمع اهل الارض جميعاً على ان يستنفذوا منه
 شيئاً منها ما وجدوا الى ذلك سبيلاً .

وقد يكون البخل مفسدة للزهد . ولكن من قال ان ابا العتاهية كان زاهداً
 كهؤلاء الزهاد المنقطعين في صوامعهم الى الله وحده ؟ لا مريّة في ان المصادر عن
 النهج الذي انتهجه في حياته ، في طور الزهد ، تكاد تكون معدومة . ولا محيص
 لنا من ان نعتد شعره الزهدي الذي استخرجنا منه في الفصل السابق مجمل آرائه الزهدية .
 فماذا يعكس هذا الشعر ؟ انه لا يعكس اي نسق لحياة زهدية . ولقد رأينا ، ونحن نجول
 فيه ، خلوا من اية فلسفة . واين الفلسفة في قوله يصف الايام وتقلبها :

دارت نجوم السماء في الفلك
 قد انقضى ملكه الى ملك (١)

ما اخطف الليل والنهار ولا
 الا لنقل السلطان عن ملك

او في زوال الدنيا :

ودع الركون الى الحياة فتنتفع
 لم تذهب الايام حتى تنقطع
 حتى تشتت كل امر مجتمعة
 لو قد اتاك رسوله لم تمتنع (٢)

اياك اعني يا ابن آدم فاستمع
 لو كان عمرك الف حول كاملاً
 ان المنية لا تزال ملحمة
 فاجعل لنفسك عدة للقضاء من

(١) الديوان ١٩٠

(٢) الديوان ١٤٨

او في رعد الناس بالموت ،

هو الموت فاصنع كلما انت صانع
الا ايها المرء المخادع نفسه
ويا جامع الدنيا لغير بلاغته
وكم قد راينا الجامعين قد اصبحت
لوان ذوى الابهار يرعون كلما
فما يعرف العطشان من طال ربه
وانت لكأس الموت لا بد جارع
رويدا أتدرى من أراك تخادع
ستتركها فانظر لمن انت جامع
لهم بين اطباق التراب مضاجع
يرون لما جئت لعين مدامع
فما يعرف الشبعان من هو جائع (١)

فهو زهد لا يعكس حياة زاهد ، ولكنه يعكس بالتأكيد نزعة زهدية واضحة . فهل
تطورت هذه النزعة في ذهن ابي العتاهية حتى غدت منهجا ؟ اغلب الظن انها لم تتحول
هذا التحول الكبير . اذن فكيف كان زهده ؟ لم يكن زهدا كزهد النساك
المنقطعين الى الوحدة والعبادة ، ولكنه كان زهدا فنيا ، اى طريقة مستحدثة للتعبير
عن المعاني الزهدية التي تجول في نفسه وفي خاطره . فابو العتاهية اذن زاهد
فني اكرما هو زاهد صوفي . ولكن نزعة الزهد الاصيله كامنة في قلبه . واذا
كان التعلق بالدنيا يعيب زهد الزهاد المعروفين ، فانه لا يفسد منحى كمنحى ابي
العتاهية الزهدى .

وصحيح ان شعره لا يعكس كرها للدنيا ، بيد ان تمسكه بها كتمسك اى انسان .
وصحيح انه كان ماجنا قاحشا في اول امره ، ولكن انصرافه الى الجد في آخر ايامه صحيح
كذلك . ومثل هذا التحول لا يتم بدون ميل الى رصانة الحياة ، واستخفاف ببهارجها .
ولا بد من طبيعة تدفع الى ذلك فقد تكون حجت في اول عمره بدافع الصبا ، ثم ما لبثت حجت

شبه ونضج ان بانث وتبلورت • ولا ننسى ان ابا العتاهية شاعر ، فاذا تحول نظره عن زخرف الدنيا الى حقائق الحياة والموت ، واذا أعرض عن اللهو الى التعفف والتأمل ، وعن العبث الى الرزانة والهدوء ، فليس ذلك بدعا ولا عجبا • حتى ان الروايات التي طعننت في زهده ، وكذبت له لم تعرض الى شعره في الزهد ، وكأنها تقول ان زهده كان فنا اكرما كان مسلكا^(١) . فلقد تحول عن نهج زملائه الشعراء المجان في اقبالهم على الحياة ، ولكنه لم يتحول عن الحياة كلها • والذين عدوا زهده زائفا محقون من هذه الوجهة ، ولكنهم لم ينصفوه حين انكروا عليه نفوره من التهالك على الدنيا ، او احساسه بتفاهة الحياة وخوفه من الموت ، ولعله كان اولى واقم لو قالوا ان تحوله الى التنفير من الحياة والدعوة الى اعتزالها ، ما هو عن اقتدار منه ويسر ، ولكن عن عجز وهلع • فاذا وجد في ~~الملك~~ هذا الخوف انما اكتفى بهذا القدر من الزهد الذي نزم انه زهد فكري فني • ومن تحصيل الحاصل ان نقول ان في طبيعته استعدادا الى هذا التفكير المتشائم اليائس الزاهد ، الذي تضافرت عوامل شتى على امداده وتغذيته حتى اتضح قويا في زهدياته • ثم ان قوام نفسية ابي العتاهية الخوف ، خَافَ الْمَوْتَ كَرَسًا الى الآخرة ، وَخَافَ الزَّوَالَ فُكِرَ الدُّنْيَا ، وَخَافَ الْحَيَاةَ كُلَّهَا فَلَجَأَ الى الزهد والدعوة الى اعتزال الدنيا • ففي ذلك له عوض من وجوه عدة : فيه عوض عن ماضيه الشائن ضعفا ومجونا • وفي هذا الزهد اطراح لكل المفاخر والامجاد التي حرما :

ونسب يعلي بك سور المجدد
وطاعة تعطي جنان الخلد (٢)

دعني من ذكر اب وجهد
ما الفخر الا في التقى والزهد

(١) في "الموشح" إشارة الى تفاهة زهدياته " . . . العباس بن الاحنف في الغزل مثل ابي العتاهية في الزهد يكثران الحز ولا يصيبان المفصل " (٢٩١) •

وفيه عوض بالتنفيس عن نزعة فنية يحتبسها . فقد حدث ابن ابي الابطاح قال :
 " اتيت ابا العتاهية فقلت له : اني اقول الشعر في الزهد ، ولي فيه اشعار كثيرة ،
 وهو مذهب استحسنته لاني ارجو ان لا آثم فيه ، وسمعت شعرك في هذا المعنى
 فاحببت ان استزيد منه ، واحب ان تنشدني من جيد ما قلت ، فقال : اعلم ان ما قلته
 ردي ، قلت : وكيف ؟ قال : لان الشعر ينبغي ان يكون مثل اشعار الفحول
 المتقدمين ، او مثل شعر بشار وابن هرمة ، فان لم يكن كذلك فالصوات لقائله
 ان تكون الفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ، ولا سيما الاشعار التي
 في الزهد . فان الزهد ليس من مذاهب الطوك ، ولا من مذاهب رواة الشعر ، ولا طلاب
 الغريب . وهو مذهب أشغف الناس به الزهاد واصحاب الحديث والفقهاء واصحاب الرياء
 والعامّة ، وأعجب الاشياء اليهم ما فهموه ، فقلت : صدقت . . . " (١) .

ومهما يكن من امر فقد كان في نفسه هوى للزهد ، قولا ان لم يكن فعلا .
 فكان في زهده شاعرا ولم يكن ناسكا . لم يكن ينتمي الى طائفة الزهاد المتصوفين -
 العاكفين على العبادة . فاذا كان في شعره مراثيا " فهو ورياءه واشعاره من مظاهر
 التصوف ، لان التخليق باخلاقي الزهاد لا يكون الا ان صح لهم اسم وصيت ، ولا جدال
 في ان الزهاد كان لهم سلطان في ذلك العهد ، وكان يسرا ابا العتاهية ان يقف من الخلقة
 ذلك الموقف المشرف الذي كان يقفه عمرو ابن عبيد ، وعبد الله بن المبارك ،

وقد صح له شيء من تلك الاحلام ... (١) . فزهد ابي العتاهية اذن كان من لون خاص فريد ، لا تتلمس اصوله في اخفاقه في حبه مثلاً ، فقد رأينا هذا الحب اقرب الى ان يكون صنعة واقتمالا . وانما تستقصى مصادره في نفسية ابي العتاهية ومزاجه . فالواقع ان لدى الرجل نزعة الى التشائم بفطرته ، والزهد مظهر من مظاهر التشائم . فاذا حجب الشباب هذا الاستعداد فترة من الزمن ، فان الكهولة كفيلة بان تكشف عنه وتعلنه ، وتستقصى كذلك في عصره الذي كان فيه تيار الزهد موازياً او معاكساً لتيار الفحش والفسق . فاذا اعرض ابو العتاهية عن حياة الله والاولى ، او تخلف عن مجلس زملائه السابقين في العبث ، فانما

(١) التصوف الاسلامي ١٩/١ - عمرو بن عبيد : من فضلاء عصره وزهاده وعلمائه المشهورين . قيل وصفه الحسن البصري بقوله : " كان الملائكة اذيتة وكان الانبياء ريتة " . وكان ذا دالة بالغة على ابي جعفر المنصور ، وحظوة كبيرة عنده حتى انه رثاه لما مات . ولد سنة ثمانين للهجرة ، وتوفي سنة مائة واربعم واربعين للهجرة . (ومنهم من قال قبل ذلك او بعده بقليل) - راجع وفيات الاعيان ١٣٠/٣ - ١٣٣ - .

عبد الله بن المبارك : جمع بين العلم والزهد ، وتفقه على سفيان الثوري ومالك بن انس . وكان ورعاً . قالت ام هارون الرشيد عنه ، لما رأت الناس حوله وقد قدمت ولدها الرقة : " هذا والله الملك ، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس الا بشرط واعوان " . ولد سنة مائة وثمانين للهجرة ، وتوفي سنة مائة واحد وثمانين او اثنتين وثمانين للهجرة - راجع وفيات الاعيان ٢٣٧/٢ - ٢٣٩ - .

ليخلو بنفسه يتدبر حقائق الحياة ، ويرجع البصر في الكون حوله فيرى حقارة الدنيا وتفاهتها ، ويشاهد احوال الموت وبطشه ، فيفيض شعره بأسا يحمل على الزهد في الحياة ، لا ليختط لنفسه خطة زاهدة في عيشه . ذلك لا يعني مثلاً انه ترك القصر وسكن الكوخ ، وقلّ عن جسده الديباج وارتدى الصوف ، وانه حرم على نفسه اطيب الطعام واعتاض عنها بما يمسك عليه رقبته . اغلب الظن انه لم يفعل شيئاً من هذا القبيل . ولكنه كان في قرارة نفسه مدركاً لحقيقة الحياة والموت ، ينبه الناس اليها ، ويعبر عنها بشتى الشكول والصور . وهذا لا يعيب اباً العتاهية الذي لم يدع انه كان زاهداً كهؤلاء الزهاد المعروفين المتخليين من الدنيا . وغاية ما قاله في زهد ياته انه ادرك سخر الحياة وباطلها فاتعظ بها ، وعمل على ان يتحلل من اسرها فقال :

قد رأيت الدنيا الى ما تصبح	كل شيء منها صغير حقيقير
انا في حيلة التخلص منها	وعلى ذلك الا لك قد يير (١)

لم يقل انه نفخ منها يديه ، ولكنه كان مخلصاً مع نفسه ومع الناس ، فاقرب بصراحة انه يجهد نفسه في سبيل الخلاص منها .

فابو العتاهية اذن لم يكن زاهداً بالمعنى المألوف ، المعروف ، ولكنه كان زاهداً من حيث الفن الشعري . ولكن مثل هذا لا يتأتى من غير حافز نفسي والحافز كان في قرارة نفسه . كان احساساً قوياً ملحاً باليأس من الحياة ، وما اليأس الا بعض الزهد ، بل قل انه الجانب النظري منه . فهل كان ابو العتاهية زاهداً نظرياً ؟ الراجح انه كان كذلك اكثر مما كان زاهداً عملياً . ولكننا وان نفينا عنه صفة الزاهد العملي ، فاننا لا نستطيع ان نجرده من نزعة الزهد اصلاً ، وان تكن هذه النزعة لم تتجلى وتتطور

تطورا عليا . وهذا الشعر الزهدى الكثير الذى قاله ، هل يعقل ان يكون كله صنعة وتكلفا لا ينبع عن احساس ، ولو ضئيل ، بما يحمله من معان ؟ لا يعقل هذا ولا يصح . ففي هذا الشعر نزعة للزهد بارزة . ولننظر الساخطين على ابيى العتاهية والمنكرين عليه صدقه في زهده ، فنقل ان فيه نزعة ظاهرة لليأس من الحياة وللتناسل . وان الذين قالوا ان ابا العتاهية يمثل التيار المضاد لتيار الفساد في عصره محقون في قولهم على هذا الاساس . فلقد كان النغم الشائع في عصره صخبا ومجونا . اما رنة السكينة وهمسة الحشمة ، فلم يتح لهما من ينشدهما ، ولو خافتا ، من ادباء العصر نشيدا واضح النبرات ، ميزا الالحن ، الا ابو العتاهية . وهنا تكمن مكانة ابي العتاهية الحق في الزهد " يقول "نكلسون" - ما مؤداه - " ان ابا العتاهية كان اول ، ولعل آخر برهان ، في تاريخ الادب العربي على تطويع الشعر للغة العادية البسيطة مع المحافظة على مزايا الشاعرية " (١) .

ولعل في هذا بعض المبالغة . انما المهم ان ابا العتاهية قد نهج لمعاصريه وللآحقين نهجا فذا جديدا ، هو النظم في الزهد والتقى (٢) فقد اوتى قدرة غريبة على تطويع اللفظ والمعنى على السواء ، فبسط معاني الزهد ، وقلب النظر فيها ، وعرضها بقوالب وصور شتى . اى انه " شعر الزهد " . فلا غرو اذا تأثر به اديب كابن عبد ربه . يقول الدكتور جبرائيل جبور : " ولعل ابن عبد ربه قد تأثر بابي العتاهية في زهده . وقد شابهه بالرجوع عن حياة اللهو الى الزهد ، وان شئت

نقل شأبه بالرجوع عن شعرني اللهم الى شعرني الزهد ، وما اكثر ما يستشهد
 يا شعرا أبي العتاهية في العقد في مواضع الزهد . وما اكثر ما يردفها بآيات
 له في الموضوع نفسه ، فيذم الدنيا والزمان الذي عاش فيه ، كما كان يذم أبو العتاهية
 دنياه وزمانه ، ويذكر الموت ويدعو الى الالتفات الى الحياة الآخرة كما كان يفعل أبو العتاهية " (١)

لقد كان قبل أبي العتاهية شعر زاهد^١ ولكن أبا العتاهية جدد في
 ذلك وطور وزاد في معانيه زيادة بشار وأبي نواس في أدب اللهم والمجون " واضح تعبير
 في ذلك أن نقول أنه فلسف الزهد وملا الأدب العربي - في عصره - بالموت
 والتخويف منه وما بعده واحتقار اللذة ، والجهد في الهرب منها . . . وشعر لجمهور
 الناس لا للخاصة " (٢)

بهذا استحق أبو العتاهية فضل ريادة شعر الزهد العربي الذي أكسب عليه ،
 يجدد فيه ويطور ، ويميز ، ويبتكر ، كما عكف أبو نواس على شعر اللهم يعمل فيه فنه وأدبه .
 واستحقه إذ كان في ريادة هذا العالم ، المجهول تقريبا في الأدب العربي ، رائد نزعة
 خلقية وهنت في عصره . كانت النزعة الى اللهم والفسق شائعة مألوفة في أدب العصر
 وبين أدبائه ، ولكن النزعة الى التأمل في الحياة ، والاتعاظ بالموت ، لم تكن ذات شأن

(١) ابن عبد ربه وعقده ١٣٥

(٢) ضحى الاسلام ١٩٤/١ - ١٩٥ .

ملحق بالصفحة ١٤٤

(يضاف الى الفقرة الثانية بعد كلمة " زاهد " في السطر الاول فيها)

x x x

... لا يتعدى نطاق الاشارات والتأملات ، ولا يعدوان يكون لونا من اللون التأفقي من الحياة
او الحضر على التقى بالتهويل بالموت والتخويف بالاخوة ، او هو خاطرات عابرة تعرض لقائلها تحت
ازمة نفسية او افتعال وقتني سريع الزوال ، واما انه نهج وطريقة التزامهما الشاعر وبني صرح
ادبه عليهما ، فلا نعرف سابقا لابي العتاهية في هذا : توفر على معاني الزهد فقلّب النظر
فيها وبدأ القول واعاده ، وجعل ذلك لنفسه منجها . فمثل قول عروة بن اذينة :

نراع اذا الجنائز قابلتـــــــا	ويحزننا بكاء الباقيات
كروعة كُتلة لمعار ذـــــــب	فلما غاب عادات راتعاجه (١)

تجد له شبيها في كبير من شعراي العتاهية من دون شك :

عجبت من آمل وواعظـــــــه	م	الموت فلم يتعظ ولم يكــــد
يجرى البلى فيها علينا بـــــــا		كان جرى قبلنا على لبـــــــد
يا موت يا موت كم اخي ثـــــــقة		كلقتني غمض عينه بيـــــــدى
يا موت يا موت صبحتـــــــا بك	م	الشمس ومست كواكبـــــــا لا سد
يا موت يا موت لا اراك مـــــــن	م	الخلق جميعا تبقي على احــــد (٢)

ولكن معاني عروة لم تكن نتاج شعر له زاهد كثير ، ولكنها نتاج بيتين فحسب لعلنا لا نعثر على
غيرهما له .

(١) البيان والتبيين ٢٠١ / ٣

(٢) الديوان ٧١-٧٠

في ادب هؤلاء الادباء الى ان جاء ابو العتاهية فتولاها بشعره السهل الممتنع ،
وعبر عنها اوضح تعبير ، وايسره ، وابسطه ، فحققت له الريادة من وجهتين
معاً : الوجهة الخلقية ، والوجهة الفنية . وان شاعرا كأبي العتاهية
له كل مقومات الشعيرة الحق ، وله مثل هذا الفضل في الخلق والفن ، لجدير
باكثر من هذه الصفحات القصيرة التي أوصل ان تكون قد وفته بعض حقه من التعريف .

- الباب الثالث -

- : -

مختارات من زهديات ابسي العناهية

لعل من تمام التعريف بابسي العناهية ، ان نختتم هذا البحث المتواضع - الذي لم يستوعب جميع ما كان ينبغي ان يستوعبه من شأن هذا الشاعر - بشيء من شعره الزهدي ، وقد نسقناه بحيث يلتئم مع فصول الرسالة :

x x x

زوال الدنيا

(١) - السهم في الدسم

كفاك بدار الموت دار فناء	لعمرك ما الدنيا بدار بقاء
يرى عاشق الدنيا بجهد بلا	فلا تعشق الدنيا أخى فناء
وراحتها بمزوجة بمنى	حلاوتها بمزوجة بمنى
فانك من طمأن خلقت ومنا	فلا تمسح يوما في ثياب مخرقة
وقل امرؤ يرضى له بقضاء (١)	لعلك تلقى امرؤك شاكر را

(٢) - الدنيا مراب

طالما سحبت خلفي الثيابا	طالما حلا معاشي وطابا
طالما ناهزت صحبي الشرابا	طالما طارعت جهلي ولعبا
فرمانى سهماء واصابا	طالما كنت احب التهابا
اين تبغي هل تريد السحابا	ايها الباني قصورا طولا

(١) الديوان ٢

ان رماك الموت فيه اصابا
ابن ما شئت ستلقى خرابا
بك والايام الا انقلبـا
انما الدنيا تحاكي المرابا
(١) وكما عاينت فيه الضبـا

انما انت بوادي المنايا
ايها الباني لهدم الليالي
أأمنت الموت والموت يا بـي
لو ترى الدنيا بعين بصيرة
انما الدنيا كفي تولـي

(٣) - البيت الحـق

وما لك الا ما وهبت وامضيتـا
اكلت من المال الحلال فافنيتـا
امامك لا شيء لخيرك ابقيتـا
كسوت والا ما لبست فابليتـا
وقصرت عما ينبغي وتوانيتـا
سموت الى ما فوقها فتمنيتـا
(٢) ستبدل منها عاجلا في الثرى بيتـا

جمعت من الدنيا وحزت ومنيتـا
وما لك مما يأكل الناس غير ما
وما لك الا كل شيء جعلتـه
وما لك مما يلبس الناس غير ما
وجمعت ما لا ينبغي لك جمعه
تفنى المعنى حتى اذا ما بلغتها
ايها صاحب الابات قد تخذت له

(٤) - عظة الغنا

تصرفهن حالا بعد حـال
وما لي لا اخاف الموت ما لـي
ولكني اراني لا ابالـي
تفانوا ربما خطرروا ببالـي
ولا ابغى مكاثرة بمـال
اذل الحرص اعناق الرجـال
اليس يصير ذاك الي السـزال
وشيكا ما تغيره الليالـي
(٣) ولا شيء يدم مع الليالـي

تعبي نفسي السـر الليالـي
فما لي لست مشغولا بنفـسي
لقد ايقنت اني غير بـاق
وما لي عبرة في ذكر قـدم
ما قنع ما بقيت بقوت يـدم
تعالى الله يا سلم بن عمرو
هب الدنيا تساق اليك عـفو
فما ترجو بشي ليس يبقـي
وحقك كل ذا يفنى سريـعا

(١) الديوان ٢٨

(٢) الديوان ٤٦ - ٤٧

(٣) الديوان ٢٠٥ - ٢٠٧

(٥) - اللذة المنغصة

نعم الموت كل لذة عيش
عجبا انه اذا مات ميت
حيثما وجه امرؤ ليفوت ال
انما الشيب لابن آدم ن
من تمنى المنى فغرق فيها
ما أكل العقل في عين النسا
انما تنظر العيون من النسا

م

يا لقومي للموت ما اوحاه
صد عنه حبيب رجفاه
موت فالموت واقف بحذاه
قيام في عارضيه ثم نعاه
ما قبل ان ينال مناه
س لاقلاله وما اقمناه
من الى من ترجوه او تخشاه (١)

(٦) - خداع الدنيا

الا كل مولود فللموت يولد
تجرد من الدنيا فانك انما
وافضل شيء نلت منها فانه
وكم من عزيز اعقب الدهر غيرة
فلا تحمد الدنيا ولكن ذمها

ولست ارى حيا لشيء يخلد
سقطت الى الدنيا وانت مجرد
متاع قليل يضمحل وينفد
فاصبح محروما وقد كان يحسد
وما بال شيء ذمه الله يحمد (٢)

(٧) - عيش للده

ركنا الى الدنيا الدنة ضللة
وانا لنرمي كل يوم بعبرة
نسر بدار اورثتنا نضاغنة
اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى
اخي كن على يأس من الناس كلهم

وكشفت الاطماع منا المساوية
نراها فما تزداد الا تعاديه
عليها ودار اورثتنا تعاديه
لقلب عريانا وان كان كاسيه
جميعا وكن ما عشت لله راجيه (٣)

(١) الديوان ١١ - ١٢

(٢) الديوان ٧٤

(٣) الديوان ٢٩٩ - ٣٠١

(٨) - ضلال المنس

- كأنسي خلقت للبقاء مخلدا
الى الموت الا ان يكون لمن ثوى
حسنت المنس يا موت حسنا مبرحا
ومزقتنا يا موت كل مـزق
الا يا طويس السهو اصبحت ماهيا
انسي كل يوم نحن تلقى جنازة
وفي كل يوم منك نرثي لمعول
الا ايها الباني لغير بلاغمة
الا لزوال العمر اصبحت بانيسا
كأنك قد وليت عن كل ما ترى
- وان مدة الدنيا له ليس ثانيا
من الخلق طرا حيثما كان لاقيا
وعلمت يا موت البكاء البواكيا
وعرفتنا يا موت منك الدواهيما
واصبحت مغترا واصبحت لاهيما
وفي كل يوم منك نسمع ناديا
وفي كل يوم نحن نسمع باليما
الا لخراب الدهر اصبحت بانيسا
واصبحت مختالا فخورا مباهيما
وخلقت من خلفته عنك ماليا

(١)

غدر الدهر

(٩) - تقلب الدهر

- وما الدهر يوما واحدا في اختلافه
وما هو الا يوم يؤس وشدة
وما كل ما لم ارج احرم نفعه
ايا عجيبا للدهر لا بل لريبه
وشت ريب الدهر كل جماعمة
اذا ما خليلي حل في برزخ البلبي
- وما كل ايام الفتى بسرا
يوم مسرور مرة ورخسا
وما كل ما ارجوه اهل رجاء
يخرم ريب الدهر كل اخسا
وكذ ريب الدهر كل صفاء
فحسبي به نأيا وبعد لقاء

(٢)

(١٠) - لثم الدهر

- وانك يا زمان لذو صروف
وما لي لست احلب منك شطرا
- وانك يا زمان لذو انقلاط
فاحمد منك عاقبة الحلاط

بعثت الهم لي من كل باب
كحلم النجم أو ظل السحاب
وليس يعود أو لمع السراب
وأرجلهم جميعاً في الركاب
بما أسدى غداً دار الثواب (١)

وما لي لا الح عليك ألا
أراك وإن طلبت بكسل وجهه
أو الأمل الذي ولّى ذهابه
وهذا الخلق منك على وفاءه
وموعد كل ذي عمل وجمعي

(١١) - عبر الدهر

والنبايا تجوس كل البلاد
لتتالن من قرون أراها
هنا أفنين من مضى من نزار
هل تذكرت من خلا من بني الأصفر م
هل تذكرت من خلا من بني ساء
أين داود أين سليمان
راكب الريح قاهر الجن والأنس م
أين نمرود وأبنه أين قنارو
إن في ذكرهم لنا لأعتبرا
وردوا كلهم حياض النبايا
أيها العزمع الرحيل عن الدنيا م
لتتالنك الليالي وشيكها
اتناسيت أم نسيت النبايا
انسيت القبور إذ أنت قيهها
كيف الهو وكيف اسلو وانسى م
أيها الواصلي سترقص وصلبي
يا طویل الرقاد لو كنت تدري

والنبايا تبید کل العباد
مثل ما نلنا من نمود وعباد
هنا افنن من مضى من اباد
اهل القباب والاطراد
سان ارباب فارس والسواد
ن المنيع الاعراض والاجناد
بسلطانه مذل الاعباد
ن وهامان اين ذوالاوتاد
ودليلا على سبيل الرشاد
ثم لم يعدروا عن الايراد
تزود لذاك من خير زاد
بالنبايا فكن على استعداد
انسيت الفراق لـلاولاد ؟
بين ذل ووحشة وانفـراد
الموت والموت رائج ثم غـاد
عنك لو قد اذقت طعم افتقادي
كنت ميت الرقاد حي السهاد (٣)

(١٢) - ريب الدهر

معطله منازل
أعاليه أسافل

لمن طليل أسائله
غداة رأيتـه تنـعـي

(١) الديوان ٢٤

(٢) الديوان ٢٥ - ٢٧

ولكن باد آهله	وكت اراه مأهولا
معرضة مقاتله	وكل لاعتصاف الدهر
وريب الدهر شاطله	وما من مسللك الا
وينفضل من يناضله	فيصرع من يمارعه
واحيانا يخالطه	ينازل من يهيم به
وتارات يعاجله	واحيانا يؤخره
على قوم كلاكله (١)	كفالك به اذا نزلت

جبروت الموت

(١٣) - لدوا للموت

فلكم يهبر الى تياب	لدو للموت وايندوا للخراب
نصير كما خلقنا من تراب	لمن نينسي ونحن الى تراب
اتيت وما تحيف وما تحاب	الا يا موت لم ار منك بدا
كما هجم المشيب على شابسي (٢)	كأنك قد هجمت على مشيبسي

(١٤) - المصير الحتم

دار تنادي بها ايامها بيدي	انا نفسي دار تنغيص وتكيد
بانت لنا فانقصي ان شئت ازيدي	لقد عرفناك يا دنيا بمعرفة
فينا وفيك بتفريق وتبعيد	نرى الليالي والايام معرفة
يرجو الخلود وما هي دار تخليد	جد الرحيل عن الدنيا وساكنها
في كل وجه فروسي عنه اوحيد	يا نفس للموت بي عين موكله
فما عنائسي بتاسيس وتشبيد	ان كانت الدار ليست لي بباقيده
الا جرى منه مكروه يتجرى به	لم يكسب الدهر يوما من مسرتيه
لو قد اتاني لقد ضلت اقاليدي	ولي من الموت يوما (٣) دفاع له
مصرف بين خذلان وتأيب	الحمد لله كل الخلق منتقم
موت تؤديه ساعات المواليه (٤)	وكما ولدته الوالدات الى

(١) الديوان ٢٢٧ - ٢٢٨

(٢) الديوان ٢٣

(٣) واضح ان في الامر خطأ نسخيا ، فهي في اعتقادنا محرفة عن يوم (لحالة الرفع)

(٤) الديوان ٨٤ - ٨٥

(١٥) - نـدأ الموت

نار هذا الموت في الناس طرا
انما الدنيا بلاء وكـ
ما استطاب العيش فيها حكيم
انت في دار ترى الموت فيها
ابت الدنيا على كل حـ
انما تنفي الحياة النايـ
ما ارى الدنيا على كل حـ
بينما الانسان حي قـ
غير ان الموت شيء جليـ
اي غيش دام فيها لـ
اي ملك كان فيها لقـ
انما داعي المنايا ينـ

كل يوم نزيد النـ
واكتساب قد يسـ
لا ولا دام له ما استطابـ
مستشيطا قد ازل الرقـ
آخر الايام الا نـ
مثلا ينفي المشيب الشـ
نا لها الا اذى وعذابـ
اذ دعاء يومه فاجابـ
يترك الدور خرابا يـ
اي حي مات فيها قـ
قبلنا لم يسلبوه استـ
احملوا الزاد وشـدوا الركـ (١)

(١٦) - بداية النهاية

يعزّ د فاع الموت عن كل حيلة
ونفس الفتى مسرورة بنـ
وكم من مفدى مات لم يرأهـ
امامك يا نومان دار سعـ
خلقت لا حدى الغايتين فلا تنـ
وفي الناس شر لو بدأ ما تعاـ

ويعيا بدأ الموت كل دـ
وللنقص تتموكل ذات نمـ
حبوه ولا جادوا له بغـ
يدهم النـ فيها ودار شـ
وكن بين خوف منهما ورجـ
ولكن كساء الله ثـوب غـ (٢)

(١٧) - رهبة الحساب

تقلدت العظام من البرايـ
ومهما دمت في الدنيا حـ
سأسأل عن امورك كنت فيـ
باية حجة احتج يـ

كأنني قد امننت من العقاب
فأنني لا افيق الى الصـ
فما عذرى هناك وما جوابـ
الحساب اذا دعيت الى الحساب

م

كتابي حين انظر في كتابي
واما ان اخلد في عذابي (١)

هما امران يوضح عنهما لي
فاما ان اخلد في نعيم

ضلال الانسان

(١٨) - العبرة بالخالدة

فكان فيهن الصاب والسلع
ولا على ما ولى به جزع
قيلبي بقم فما ترى صنعوا
كان لهم والايمان والجموع
شيئا من الثروة التي جمعوا
اعظم نفعاً من الذى ودعوا
هول حساب عليه يجتمعوا (٢)
ويحصد الزارعون ما زرعوا (٣)

لقد حليت الزمان اشطره
ما لي بما قد اتى به فزع
لله دّر الدنى لقد لعبت
بادوا ووفتهم الالهة ما
اثروا فلم يدخلوا قبورهم
وكان ما قدموا لانفسهم
غدا يُنادى من القبور السى
غدا تُوقى النفوس ما كسبت

(١٩) - الرحلة الكبرى

تدرى وتنعاك حين تطلّع
حتى متى انت بالصبا ولّع
بادوا جميعاً وما باد ما جمعوا
قيلبي الى التراب ما الذى صنعوا
بؤسا لهم اى موقع وقعوا
الدنيا فعنها بالموت ينقطع (٤)

الشمس تنعاك حين تغرب لـ
حتى متى انت لاعب اشر
ان الملوك الاولى مضوا سلفا
يا ليت شعري عن الذين مضوا
بؤسا لهم اى منزل نزلوا
الحمد لله كل من سكـ

(١) الديوان ٢٤

(٢) ظاهر في ذلك اللحن ، ولا نستبعد ان تكون تحريفاً عن " يجتمع " المضارع المجهول

(٣) الديوان ١٥٩ - ١٦٠

(٤) الديوان ١٤٨

(٢٠) - عز القناعة

حتى متى يستفزني الطمع
ما افضل الصبر والقناعة
واخذع الليل والنهار لا قوام
اما المنايا فغير غافلة
اي لبيب تصفو الحياة لـه

أليس لي بالكفاف متسع
للناس جميعا لو انهم قنعوا
اراهم في الغي قد رتعوا
لكل حي من كآسها جرع
والموت ورد له ومنتجع (١)

(٢١) - الحرص القاتل

الحرص لم ومثله الطمع
لوقف الناس بالكفاف اذا
للمرء فيما يقيمه سعنة
يا حالب الدهر دهر اشطره
يا عجباً لا مرء يخادعه
الناس في زرع نسلهم ويسد
ما شرف المرء كالقناعة
لم يزل القانعون اشرفنا
للمرء في كل طرفة حداث
من ضاق بالصرع مصيبتـه

ما اجتمع الحرص قط والسورع
لا تسعوا في الذى به قنعوا
لكنه ما يريد ما يسـع
هل لك في ما جلبت منتفع
الساعات عن نفسه فينخدع
الموت بها حصد كل ما زرعوا
والصبر على كل حادث يقع
يا حبذا القانعون ما قنعوا
يذهب منه ما ليس يرتجع
ضاق ولم يتسع لها الجـع (٢)

(٢٢) - عظة الايام

رضيت لنفسك سؤاتـها
فحسنت اقبح اعمالـها
وكم من سبيل لاهل الصبا
واي الدواعي دواعي الهوى

ولم تأل حبا لمرضاها
وصعرت اكبر زلاتـها
سلكت بهم عن بنياتها
تطلعت عنها لا فاتـها

(١) الديوان ١٥٩

(٢) الديوان ١٤٧ - ١٤٨

راى الفضائح لم تأتـ
على ذاك في بعض غراتهـ
تداعي بزنة اصواتهـ
يسارق نفسك ساعاتهـ
على العالمين لميقاتهـ
واحوالها ثم ريعاتهـ
وايامها وعلاماتهـ
اذا سحرتنا بلذاتهـ
ولا نتعرف حالاتهـ
تردد فيها بآفاتهـ
فيعتبرون بامواتهـ

(١)

لورأى الناس نبيا
انت ما استغنيت عن
فانما احتوت السهم

للہ درّہ ایک ای زمان
کل یوازہ العودہ دائبہ
فاذا رأی رجحان حبة خرد ل

اصبحت فیه وای اهل زمان
یعطی ویاخذ منک بالمیزان
مالک بودتہ مع الرجحان (۳)

المَرْءُ مَنْظُورٌ إِلَيْهِ
مَنْ كَتَبْتُ تَبْغِي انْ تَكُونُ
مَا دَامَ يَرْجِي مَا لَدَيْهِ
مَنْ كَتَبْتُ تَبْغِي انْ تَكُونُ
الدَّهْرُ ذَا فَضْلٍ عَلَيْهِ
مَنْ كَتَبْتُ تَبْغِي انْ تَكُونُ
وَقَدْ عَمَّا فِي يَدَيْهِ
مَنْ كَتَبْتُ تَبْغِي انْ تَكُونُ

(٤)

- (١) الديوان ٥٥ - ٥٦
(٢) الديوان ٢٩٥
(٣) الديوان ٢٦٠ - ٢٦١
(٤) الديوان ٢٨٥

(٢٦) - نعمة الفساد

يا خليلي لا اذم زفانسي
لست احصي كم من اخ كان لي م
لم اجد له موافيا فتصدقت م
ليت حظي منه ومن مثله ان
احمد الله كيف قد فسد الناس م

غير انسي اذم اهل زمانسي
منهم قليل الوفاء حلوا اللسان
بحظي منه على الشيطان
لا تراه عينسي وان لا يراني
وقل الوفاء في الاخوان (١)

(٢٧) - التيه من الجهل

حتى متى ذوالتيه نفسي تيهه
يتيه اهل التيه من جهلهم
من طلب العز ليقى به
لم يعتصم بالله من خلقه

اصلحه الله وعافاه
وهم يموتون وان تاهوا
فان عز المرء تقواه
من ليس يرجوه ويخشاه (٢)

(٢٨) - حياتان

عمر الفتى ذكره لا طول مدته
فاحصي ذكرك بالاحسان تفعله

وموته خزيه لا يومه الداني
يكن كذلك في الدنيا حياتان (٣)

(٢٩) - خاتمة المطاف

رغيف خبز يا بــــــــــــــــس
وكــــــــوز ماء بــــــــــــــــارد
وغرفة ضيقة
او مسجد بمعــــــــــــــــزل
تدمن فيه دفتــــــــــــــــرا
معتبرا بمن مضــــــــــــــــى

تأكله في زاوــــــــــــــــية
تشربه من صافــــــــــــــــية
نفسك فيها خالــــــــــــــــية
عن السورى في ناحــــــــــــــــية
مستنددا بســــــــــــــــارية
من القــــــــــــــــرون الخالــــــــــــــــية

(١) الديوان ٢٦٠

(٢) الديوان ١٢

(٣) الديوان ٢٥٩

خير من الساعات فسي	فسيء القصور العاليه
تعقبه عاقبة	تخلي بنار حاميه
فهذه وصيتي	مخبرة بحاليه
طوبى لمن يسمعه	تلك لعمري كافيه
فاسمع لنصح مشفق	يدعي ابا العتاهيه (١)

نعمه التفوى

(٣٠) - زاد التفوى

اذن حسي تصمي	اسمعي ثم عسي وعسي
انا رهن بمضجع	فاخذري مثل مصرعي
عشت تسعين حجة	في ديسار التزعزع
ليس زاد سوى النفس	فخذى منه او دعني (٢)

(٣١) - القصد والزهد

ان القريرة عينه عبيد	خشي الآله وعيشه قصيد
عبد قليل النوم مجتهد	لله كل فعالة رشيد
نزّه عن الدنيا واطلها	لا عرض يشغله ولا نقيد
حذر خمي الكدار مهجته	ما ان له في غيرها وكيد
مستجمل في الله محتقر	هزل المخافة عنده جدي
متذل لله مرتقب	ما ليس من اتيانه بدي
رفض الحياة على حلاوتها	واختار ما فيه له الخلد
يكفيه ما بلغ المحل به	لا يشتكي ان نابه جهدي
فاشدد يدك ان ظفرت به	ما العيش الا القصد والزهد (٣)

(١) الديوان ٣٠٤ - ٣٠٥

(٢) الديوان ١٦٠

(٣) الديوان ٧٩ - ٨٠

(٣٢) - صفقة المغبون

اتقي الله بحمدك
ايها العبد الى كسم
كم وكما عاهدت مولا
اعط مولاك كما تطلب
ف
قاصدا او بعض جهـدك
تشتري الغني برشدك
ك قلم توف بعهدك
من طاعة رسـدك (١)

(٣٣) - حسبك الله

الا اليس الله تهير الامور
ان امرا يصفو له عيشه
نحن بنوا الارض وسكانها
لا والذي امسيت عبدا لله
حتى متى انت حريص على
اذا عرفت الله فاقنع به
تبارك الله وسبحانه
ما انت يا دنياى الا غرور
تغافل عما تجن القبور
منها خلقنا واليها نهير
ما دام في الدنيا لحى سرور
كثير ما يكفيك عنه اليسير
فعندك الحظ الجزيل الكثير
من جهل الله فذاك الفقير (٢)

(٣٤) - يرى ولا يرى

لا رب ارجوه لي سواك
انت الذى لم تنزل خفيـا
ان انت لم تهدنا ظلمنا
احط علما بجميعنا
ان لم يخـب سعي من رجاك
لم يبلغ الوهم منتهـا
يا رب ان الهدى هداك
انت ترانا ولا تراكنا (٣)

(٣٥) - البلاء الجميل

تعالى الواحد الصمد الجليل
هو الملك العزيز وكل شيء
وما من مذهب الا اليه
وحاشى ان يكون له عديل
سواء فهو منتقص ذليل
وان سبيله لهو السبيل

(١) الديوان ٨٦

(٢) الديوان ١١٢ - ١١٨

(٣) الديوان ١٨١ - ١٨٢

وان له لمنّا ليس يحصى
وان عطاءه عدل علينا
وكل مفوه اثنى عليه
ايا من قد تهاون بالمنايا
الم تر انما الدنيا غرور
وان عطاءه له هو الجزيل
وكل بلائه حسن جميل
ليبلغه فمنحصر كلليل
ومن قد غره الامل الطويل
وان مقامنا فيها قليل (١)

(٣٦) - سقيت قبور الصالحين

ما ذا يفوز الصالحون به
لولا بقايا الصالحين غدا
سبحان من سقت مشيتهم
سقيت قبور الصالحين ديم
ما كان اثبتهم لنا ورسم
وقضى بذاك لنفسه وحكم (٢)

(٣٧) - فخر النفس

ايا رب يا ذا العرش انت حكم
فيا رب هب لي من ذلك حلما فاني
الا ان تقوى الله اكبر نسبة
اذا ما اجتنبت الناس الا على النفس
اراك امرا ترجو من الله غفوه
فحتى متى يعصى ويعفو الى متى
وانت بما تخفي الصدور عليم
ارى الحليم لم يندم عليه حليم
تسامى بها عند الفخار كرم
خرجت من الدنيا وانت سليم
وانت على ما لا يحسب مقيم
تبارك ربي انه لرحيم (٣)

(٣٨) - اليه المصير

الا اننا كلنا بائس
وبدوهم كان من ربهم
فيا عجباً كيف يعصي الاله
والله في كل تحريك
وفي كل شيء له آية
واي بني آدم خالده
وكل الى ربه عائد
ام كيف يجوده الجاحد
وفي كل تسكينة شاهده
تدل على انه الواحد (٤)

(١) الديوان ٢٠١ - ٢٠٢

(٢) الديوان ٢٣٧ - ٢٣٨

(٣) الديوان ٢٤١ - ٢٤٢

(٤) الديوان ٦٩ - ٧٠

(٣٩) - القريب البعيد

لـك الحمد يا ذا العرش يا خير معبود
شهدنا لك اللهم ان لست محدثا
وانك معروف ولست بموصوف
وانك رب لا تزال ولم تزل

ويا خير مسؤول ويا خير محمود
ولكنك المولى ولست بمجود
وانك موجود ولست بمجدود
قريبا بعيدا غائبا غير مفقود (١)

(٤٠) - سبحان ربك

سبحان ربك ما اراك تتوب
سبحان ربك ذي الجلال اما ترى
سبحان ربك كيف يغلبك الهوى
سبحان ربك ما تزال وفيك عن
سبحان ربك كيف يلتذ امرؤ

والراس منك بشيء مخضوب
نوب الزمان عليك كيف تنوب
سبحانه ان الهوى لغلبوب
اصلاح نفسك فترة ونكوب
بالعيش وهو بنفسه مظلوب (٢)

(٤١) - توبه

سبحان علام الغيوب
تعمرى فروع الانس بى
حتى متى يا نفس تغتر
يا نفس توبى قبل ان
واستغفرى لذنوبك
اما الحوادث فاللهداح
والموت خللق واحد
والسعي في طلب التقى
ولقل ما ينجو الفتى

عجبا لتصرف الخطوب
وتجتى ثمر القلوب
ين بالامل الكذوب
لا تستطيعى ان تتوبى
الرحمان غفار الذنوب
يهن دائمة الهبوب
والخلق مختلف الضروب
من خير مكتسب الكسوب
المحمود من لطن العيوب (٣)

(١) الديوان ٧٠

(٢) الديوان ٢٢

(٣) الديوان ٣١

(٤٢) - استغفار

الهسي لا تعذبني فانسي
 وما لي حيلة الا رجائي
 فكلم من زلة لي في البرايا
 اذا فكرت في قدومي عليها
 يظن الناس بي خيرا وانسي
 اجن بزهره الدنيا جنونا
 وبين يدي محتبس ثقيلا
 لو اني صدقت الزهد فيها

مقربا لذى قد كان منسي
 وعفوك ان عفوت وحصن ظنسي
 وانت علي ذو فضل ومن
 عضضت انا ملسي وقرعت سنسي
 لشر الناس ان لم تعف عنسي
 واقني العمر فيها بالتمنسي
 كأنني قد دعيت له كأنسي
 قلبت لاهلها ظهرا المجهن (١)

x x x x
 x x
 x

مصادر البحث ومراجعته

افتضنا الامانة للعلم ان نورد اسماء جميع الكتب التي كانت لنا ذات عون فسي هذا البحث . واذا كان بينها ما لم يشر اليه قبل الآن في هوامش البحث ، فلانه لم يكن اكثر من مرشد الى مصادر او مراجع اعتمدنا عليها ، او كان ذا صبغة عامة لا يتميز بها وحده كأن يورخ للعصر مثلا .

x x x x
x

المصادر

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - الاشبهسي ، شهاب الدين احمد ، المستطرف في كل فن مستظرف ، ج ١ ، دار الطباعة ببولاق ، القاهرة ١٢٧٢ هـ .
- ٣ - ابن ابي الحديد ، عز الدين ، شرح نهج البلاغة ، ج ٤ ، مطبعة دار الكتب العربية ، القاهرة ١٣٢٩ هـ .
- ٤ - ابن ابي اصيبعة ، ابو العباس احمد ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج ١ ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٨٨٢ هـ .
- ٥ - ابن ابي يعقوب ، احمد ، (ابن واضح) ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، مطبعة الغربى ، النجف ١٣٥٨ هـ .
- ٦ - ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي ، الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ليدن ١٨٧١ .
- ٧ - ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن ، مناقب الامام احمد بن حنبل ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- ٨ - ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة ، المطبعة الادبية ، بيروت ١٨٧٩ .
- ٩ - ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد ، وفيات الاعيان وانباء ابناؤ الزمان ، ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٤٨ / ١٩٥٠ .

- ١٠ - ابن أبي سلى ، زهير ، الديوان ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٤٤ .
- ١١ - ابن أبي الصلت ، امية ، الديوان ، المطبعة الوطنية ، بيروت ١٩٣٤ .
- ١٢ - ابن عبد ربه ، شهاب الدين احمد ، العقد الفريد ، ج ٣ ، ٤ ، ٦ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٠ / ١٩٤٩ .
- ١٣ - ابن قتيبة ، ابو عبدالله محمد بن مسلم ، تأويل مختلف الحديث ، مطبعة كردستان العلمية ، القاهرة ١٣٣٦ هـ .
- ١٤ - ابن قتيبة ، ابو عبدالله محمد بن مسلم ، الشعر والشعراء ، ج ٢ ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٦٦ هـ .
- ١٥ - ابن قتيبة ، ابو عبدالله محمد بن مسلم ، عيون الاخبار ، ج ١ ، ٢ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٥ / ١٩٣٠ .
- ١٦ - ابن قتيبة ، ابو عبدالله محمد بن مسلم ، المعارف ، غوتنغن ١٨٥٠ .
- ١٧ - ابن قتيبة ، عمرو ، الديوان ، مطبعة جامعة كايمبرج ، كايمبرج ١٩١٩ .
- ١٨ - ابن قيس الجوزية ، محمد بن ابي بكر ، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة ، ج ٢ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .
- ١٩ - ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ، البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١٠ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٨ / ١٣٥٨ هـ .
- ٢٠ - ابن المعتز ، ابو العباس عبدالله ، طبقات الشعراء ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٦ .
- ٢١ - ابن منظور ، ابو الفضل محمد بن مكرم ، لسان العرب ، مادة : شعب .
- ٢٢ - ابن نباتة ، ابو بكر محمد ، شرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ، المطبعة الميرية ، القاهرة ١٢٧٨ هـ .
- ٢٣ - ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحق ، الفهرست ، ليسينج ١٨٧١ / ١٨٧٢ .
- ٢٤ - ابو العتاهية ، الانوار الزاهية في ديوان ابي العتاهية ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٨٨٦ .
- ٢٥ - الاصبهاني ، الراغب ابن محمد القاسم حسين ، محاضرات الادباء ومحاورات البلغاء والشعراء ، ج ١ ، مطبعة المولحي ، القاهرة ١٢٨٧ هـ .
- ٢٦ - الاصطخرى ، ابو اسحق ابراهيم ، مسالك الممالك ، ليدن ١٩٢٧ .
- ٢٧ - الاصفهاني ، ابو الفرج ، الاغانى ، ج ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١٢ (دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٢٧ / ١٩٥٠) ج ١٤ ، ١٥ ، ١٦ (بولاق ، القاهرة - ١٢٨٥ هـ) .

- ٢٨ - البحتري ، ابو عبادة الوليد بن عبيد ، الحماسة ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٩٢٩ .
- ٢٩ - البخارى ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل ، صحيح البخارى ، ج ٧ ، دار الطباعة ، القاهرة ١٣١٥ هـ .
- ٣٠ - البغدادى ، ابو منصور عبد القاهر ، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم ، مطبعة المعارف ، القاهرة ، ١٩١٠ . ج ٤ ق ٢ .
- ٣١ - البلاذرى ، احمد بن يحيى ، انساب الاشراف ، مطبعة الجامعة العبرية ، القدس ١٩٣٨ .
- ٣٢ - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ج ١ ، ٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٨ / ١٩٥٠ .
- ٣٣ - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ، التاج في اخلاق الملوك ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩١٤ .
- ٣٤ - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، ج ٢ ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٣٨ .
- ٣٥ - الحصرى ، ابو اسحق ابراهيم بن علي ، زهر الآداب وثمر الالباب ، ج ٢ ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٩٢٥ .
- ٣٦ - الحنبلي ، ابن العماد ابو الفلاح عبد الحسي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ج ٢ ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ٣٧ - الخطيب البغدادي ، احمد بن علي ، تاريخ بغداد او مدينة السلام ، ج ١ ، ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٣١ .
- ٣٨ - الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى ، حياة الحيوان الكبرى ، ج ١ ، المطبعة الميمنية ، القاهرة ١٣٠٥ هـ .
- ٣٩ - السبكى ، عبد الوهاب ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٣ ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .
- ٤٠ - السراج ، ابو نصر عبد الله ، اللمع في التصوف ، ليدن ١٩١٤ .
- ٤١ - الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، ج ١ ، ٢ ، مطبعة حجازي ، القاهرة ١٩٤٨ / ١٩٤٩ .
- ٤٢ - الطبرى ، ابو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ١٠ ، ١١ ، ليدن ١٨٧٩ / ١٩٠١ .
- ٤٣ - العباسي ، ابو الفتح عبد الرحيم ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، ج ٢ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٤٧ .

- ٤٤ - القشيري ، أبو القاسم عبد الكريم ، الرسالة القشيرية ، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى ، القاهرة ١٣٣٠ هـ .
- ٤٥ - القلقشندي ، أبو العباس أحمد ، صبح الاعشى ، ج ٢ ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩١٣ .
- ٤٦ - الكبسي ، محمد بن شاكر بن أحمد ، فوات الوفيات ، ج ١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥١ .
- ٤٧ - المرزباني ، أبو عبيد الله محمد بن عمران ، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٣ هـ .
- ٤٨ - المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب وصناديق الجواهر ، ج ٦ ، ٧ ، ٨ ، المطبعة الوطنية ، باريس ١٨٦١ / ١٨٧٦ .
- ٤٩ - المعري ، أبو العلاء أحمد ، لزوم ما لا يلزم ، ج ١ ، مطبعة التوفيق ، القاهرة ١٩٢٤ .
- ٥٠ - المقدسي ، شمس الدين أحمد ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ١٩٠٦ .
- ٥١ - النواجي ، شمس الدين محمد بن الحسن ، حلبة الكميت في الادب والنوادر المتعلقة بالخمريات ، مطبعة ادارة الوطن ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .
- ٥٢ - الوشاء ، أبو الطيب محمد ، الموشى ، ج ٢ ، ليدن ١٣٠٢ هـ .
- ٥٣ - اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن اسعد ، مرآة الجنان وغير اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ج ٢ ، مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد ، حيدر آباد ١٣٣٨ هـ .
- ٥٤ - ياقوت الرومي ، شهاب الدين ، معجم الادباء ، ج ١ ، ٤ ، ١١ ، مطبعة دار المأمون ، القاهرة ١٩٣٦ / ١٩٣٨ .
- ٥٥ - ياقوت الرومي ، شهاب الدين ، معجم البلدان ، ج ١ ، ٣ ، ليسيغ ١٨٦٦ / ١٨٧٠ .

المراجعـــــــــــــــــ

- ١- امين ، احمد ، ومحمود ، زكي نجيب ، قصة الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٩ .
- ٢- امين ، احمد ، ضحى الاسلام ، ج ١ ، (الطبعة الرابعة ١٩٤٦) وج ٣ (الطبعة الرابعة ١٩٤٩) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .
- ٣- بدوى ، عبد الرحمن ، من تاريخ الالحاد في الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٥ .

- ٤ - يرانق ، محمد احمد ، ابوالعتاهية ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٤٧ .
- ٥ - البستاني ، فؤاد افرام ، الروائع عدد ١٠ ، ابوالعتاهية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٧ .
- ٦ - جار الله ، زهدى حسن ، المعتزلة ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٤٧ .
- ٧ - جبور ، جبرائيل ، ابن عبد رسه وعقده ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣ .
- ٨ - جبور ، جبرائيل ، عمر ابن ابي ربيعة ، ج ١ (عصر ابن ابي ربيعة) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٥ .
- ٩ - حتي ، فيليب وجرجي ادورد ، وجبور جبرائيل ، تاريخ العرب ، ج ٢ (مطول) بيروت ، مطبعة الكشاف ، ١٩٥٣ .
- ١٠ - حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ٢ ، مطبعة الشيكشي ، القاهرة ١٩٤٨ .
- ١١ - خلف الله ، محمد ، دراسات في الادب الاسلامي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٧ .
- ١٢ - دى بوراة ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٤ .
- ١٣ - زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ، ج ٢ (طبعة سنة ١٩٤٧) ج ٣ (طبعة سنة ١٩٣١) ، مطبعة الهلال ، القاهرة .
- ١٤ - شريف ، محمد بديع ، الصراع بين الموالى والعرب ، دار الكاتب العربي بمصر ، القاهرة ١٩٥٤ .
- ١٥ - الصعدي ، عبد المتعال ، ابوالعتاهية الشاعر العالمي ، مطبعة الشرق الاسلامية ، القاهرة ١٩٣٩ .
- ١٦ - عبد النور ، جبور ، التصوف عند العرب ، بيروت ١٩٣٨ .
- ١٧ - الحقاد ، عباس محمود ، الفلسفة القرآنية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٧ .
- ١٨ - العمر ، قدرى ، من الادب ، ج ١ ، دمشق ٢ سنة ٢ .
- ١٩ - فروخ ، عمر ، التصوف في الاسلام ، مطبعة الكشاف ، بيروت ١٩٤٧ .
- ٢٠ - كريم ، قون ، الحضارة الاسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الاجنبية ، ترجمة الدكتور مصطفى طه بدر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٧ .

- ٢١ - لا يوم ، جول ، تفصيل آيات القرآن الحكيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،
(ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي) ، مصر ١٩٢٤ .
- ٢٢ - مبارك ، زكي ، التصوف الاسلامي ، ج ١ ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٣٨ .
- ٢٣ - الحقدسي ، انيس ، امراء الشعر في العصر العباسي ، المطبعة الاميركانية ،
بيروت ١٩٤٦ .
- ٢٤ - نيكولسون ، رينولد ، في التصوف الاسلامي وتاريخه ، مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، (ترجمة " ابو العلا عفيفي ") ، القاهرة ١٩٤٧ .
- ٢٥ - الوهابي ، خلدون ، مراجع وتراجم الادباء العرب (مادة : ابوالعناهيية) ،
الشركة الاسلامية للطباعة والنشر ، بغداد ١٩٥٦ .
- ٢٦ - البازجي ، كمال ، معالم الفكر العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٤ .

المنشورات الدورية

- ١ - عباس ، عبد الحليم ، " ابوالعناهيية " ، مجلة الرسالة ، صفحة ١٣٠٦ ، العدد
٥٧ ، سنة ١٩٣٤ .
- ٢ - النابلسي ، سليمان فارس ، " التصوف الاسلامي " ، مجلة الرسالة ، صفحة
٩٨ ، العدد ٨١ ، سنة ١٩٣٥ .

المراجع الاجنبية :

- 1°/ Brockelmann, Carl , Geschichte der Arabischen Litteratur,
V. 1., Weimar , 1899 (Abul Atahiya) -
- 2°/ Brockelmann, Carl , Geschichte der Arabischen Litteratur ,
Sup. V. 1. Leiden , 1937 (Abul Atahiya) -
- 3°/ Encyclopaedia Britannica , , " Sufism " (Anonymous) -
- 4°/ Oestrup , J., " Ab'ul-'Atahiya " , The Encyclopaedia of Islam .
- 5°/ Nicholson , R., " Ascetism-Muslām " , Encyclopaedia of Religion
and Ethics .
- 6°/ Nicholson, Reynold , A Literary History of the Arabs ,
The University Press , Cambridge 1953.

الفهرست

١	الباب الاول - (ابو العتاهية واحوال عصره)
١	الفصل الاول - عوامل التطور في الحياة العباسية
١٣	الفصل الثاني - مظاهر التطور في الحياة العباسية
٣٦	الردة الروحية
٤٤	الفصل الثالث - ابو العتاهية : معالم شخصية
٤٤	نسبه ونشأته
٤٦	استقامته
٤٨	عقيدته
٥٤	شعره وشاعريته
٥٨	حبسه
٦٦	زهده وآخر امره
٦٧	وفاته
٧١	الباب الثاني - (معالم الزهد في شعراي العتاهية)
٧١	الفصل الاول - الزهد قبل ابي العتاهية
٧١	النزعة الزهدية قبل الاسلام
٧٦	النزعة الزهدية في صدر الاسلام
٧٩	تأثير النزعة الزهدية بالتصوف الدخيل
٨٢	الفصل الثاني - مفاسد المجتمع العباسي في شعراي العتاهية
٩٩	الفصل الثالث - الحياة والموت في شعراي العتاهية
١٢٦	الفصل الرابع - ختام القول في زهد ابي العتاهية
١٤٦	الباب الثالث - (مختارات من زهديات ابي العتاهية)
١٦٢	مصادر البحث ومراجعته